

صناعة النساء في..

بيت حرام

تأليف

جرانفيل باركر

مراجعة

د. جيهان خريبة

ترجمة وتقديم

د. سيد الإمام

بطاقة فهرسة :

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: بيت مدراس

تأليف: جرانييل باركر

ترجمة وتقديم: د. سيد الإمام

مراجعة الترجمة: د. جيهان خريبه

رقم الايداع ٢٠١٧/١٧٨٥٦

الترقيم الدولي / ٨-١٩-٠٠-٨٣٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٧



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة: ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت: ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ / ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5y@ahoo.com

مقدمة الترجمة

١- حضور الإسلام

حين هممت بقراءة (بيت مدراس) ضمن مشروع لترجمة أعمال "جرانفيل باركر"، وتقديمه لقراء العربية، لم أكن أتوقع - في الحقيقة - أن للفكر الإسلامي المتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة حضور في المعالجة الدرامية بأي حال من الأحوال. ولكن هذا ما كان، وإن يكن - فيما رأيته - حضورا مشوها يستقي أسسه من الصورة التي انطبعت في الأذهان خاصة في ظل السلطنة التركية، التي ورثت مفهوم الخلافة والهوية الإسلامية، وأشاعت ثنائية "الحرمك - السلامك" في العمارة كما في الحياة العامة، ومن ناحية ثانية كان حضور الإسلام يخفي خلفه نوعا من الانحلال المقنع بأردية عقائدية تسوغه، ويمنح - في الوقت نفسه - احتراماً زائفا للنساء، حين يستنكر الرجل الخوض في شأنهن علانية!. والواقع أن هذا الحضور نفسه أضاف دافعا جديدا لا لترجمة النص فقط لأسباب مهنية، ولكن أيضا للتعليق علي قضيته، لاسيما وأنها باتت تلح علي العقلية العربية مع تصاعد ما يعرف بتيار الإسلام السياسي متعدد الأطياف، الذي يسترجع في كليته المنظور المشوه نفسه الذي تبناه "قنسطنطين" في بنية (بيت مدراس)، ذلك المسيحي الذي يعلن جذوره اليهودية من الشرق العربي مثلما يعلن إسلامه، ويفخر بعالم "الحريم"، باعتباره قاعدة نهضة الشرق الإسلامي وصحوته التي من المنتظر أن تواجه حضارة الغرب!

وتعد (بيت مدراس) الرابعة في إنتاج "باركر" ككاتب درامي، خلال العقد الأول من القرن العشرين بعد (تزويع أن ليت)، (ميراث فويسبي)، و(النفاية). ويبدو أن "باركر" حريص منذ باكورة إنتاجه أن يضع معالجته علي خلفية تاريخية تتسم بالشمول والاتساع لتطور أوضاع الطبقة

السائدة بانجلترا منذ انهيار أرستقراطيتها في أواخر القرن الثامن عشر ، علي نحو ما عاجله في (تزويج أن ليت) ، كما أنه قد يعني بتفصيلات وإشارات نصية ، تستدعي يقظة المتفرج الإنجليزي لأطره المرجعية التي تكفل حل شفرتها وتحديد مقاصدها الخفية ، من ناحية ، ودمجها من ناحية ثانية في الأثر العام . وعلي مستو آخر ، تتضح في معالجته تأثيرات الاشتراكية الفابية التي كانت قوية الأثر في عصره وفي رؤية حزب العمال ، ثاني الأحزاب الفاعلة في إنجلترا وقتذاك ، والتي ربما تعمقت بصداقته الطويلة مع "برنارد شو" ، الذي يعد أحد مفكريها البارزين . إلا أن حضور الإسلام اللافت بالتأكيد للقارئ العربي يستدعي - علي مستو آخر - وعيا بسياق أكبر يتضمن بالحتمية علاقات إنجلترا الدولية وتطور النزعة الاستعمارية عامة جنبا إلي جنب تطور النظام الرأسمالي والطبقة السائدة عشية الحرب العالمية الأولى . والحقيقة أن هذا السياق لا يفرض نفسه من خارج النص ، ولا يعد مجرد خلفية محايدة يمكن الاستغناء عنها في فهم وتحليل النص ، ولكنه ينبع من الفعل الدرامي المهيمن ، وما يتفرع عليه من تفصيلات .

٢- الفعل وتحديد السياق.

لقد أتم "باركر" عمله (بيت مدراس) في ١٩٠٩ ، وأخرجها علي المسرح ١٩١٠ ، وأجرى أحداثها في حيز زمني من الفترة نفسها ، قد لا يزيد عن أربعة وعشرين ساعة ، إلا أن العمق الزمني كان يرجع بالأحداث إلي ما وراء ذلك بنحو ثلاثين عاما تقريبا ، أي عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر . وفي هذا الحيز الزمني كان "قنسطنطين" قد ترك إنجلترا في ريعان شبابه ليجوب في أنحاء إمبراطوريتها ، ولاسيما شرقها ، متخليا لابنه "فيليب" تدريجيا عن إدارة شركته ، "بيت مدراس" ،

وهي شركة أقمشة وأزياء نسائية . ولكنه يعود في النهاية مسلما ملتجيا ليصفي علاقته بانجلترا بل وبأوروبا ككل ، ويبيع الشركة إلي السيد " ستات " ، أحد أقطاب الرأسمالية الأمريكية ، ومن هنا يتشكل الفعل الرئيسي في المسرحية . غير أن هذا الفعل بالحيز الزمني الذي يستند إليه يستدعي - في الوقت نفسه - سياقاً تاريخياً أكبر لتفسيره وإلقاء الأضواء عليه ، قبل الإلمام بتفصيلاته الممكنة .

فمن ناحية يستدعي هذا الفعل مرحلة تطور السوق الرأسمالي من المرحلة التنافسية إلي المرحلة الاحتكارية بما فيها من تكتيل لرأس المال ، وراء إنشاء مؤسسات كبري متعددة الفروع المنتشرة علي نطاق واسع سواء من حيث التسويق والإنتاج ، أو من حيث التمدد الجغرافي داخل وخارج الحدود القومية . وكان لابد أن تتميز هذه المرحلة بالعناية الفائقة بدراسة السوق واحتياجاته وزبائنه وأساليب التأثير فيه بالدعاية وفن الترويج للسلعة ، بما يضمن الزيادة المطردة في حجم المبيعات ، وبالتالي تجنب " الإفلاس - Bankruptcy " ، ولا غرو أن تعكس أسئلة " ستات " ، هذه السمة بوضوح ، في إطار عقده صفقة شراء مؤسسة شهيرة لصناعة الأزياء .

ومن ناحية ثانية يستدعي الفعل أوضاع الاستعمار ، الذي انخرطت فيه الرأسماليات الأوروبية ، ويوشك - بعد أربعة سنين فقط من إنتاج المسرحية - أن يصبح اقتتالا عالميا علي تشديد القبضة علي المستعمرات وتوسيع رقعة النفوذ الدولي من طرفين متكاملين ، وذلك لضمان السيطرة علي مصدر المواد الخام وفتح أسواق جديدة لتصريف المنتجات . ولعل هذا ما يفسر حديث " قسطنطين " عن رحلاته ومشروعاته التي أقامها في الشرق الأقصى وأفريقيا ، ولاسيما الجنوب

الأفريقي بما فيه من قري مثل "هايت - Hit" ، وأيضا الأراضي التي تحيط بالخليج الفارسي في إشارة وأضحى إلى إيران من ناحية والكويت ونحوها من مناطق الخليج العربية ، بالإضافة إلى العراق ، ولاسيما "بابل" التي ورد ذكرها في التوراة . كما يفسر من ناحية أخرى عدم انقطاع صلته بالبلد الأم ، التي طالما عاد إليها في زيارات قصيرة لأسباب خاصة ، إضافة إلى الأسباب العملية كرجل أعمال .

علي أن "قنسطنطين" يشير إلى جذور أجداده بين يهودي الشرق الأوسط ، واعتداده بهذه الجذور التي أورث ملامحها إلى ابنه "فيليب" ، ورغم أن أمه ربهته علي المسيحية وعمدته ، إلا أنه انسلخ عنها وتحول- فيما اعتبره معاناة روحية دامت فترة غير قصيرة من حياته- إلى الإسلام . ومن هنا فإن الفعل الدرامي يستدعي من ناحية ثالثة الوعي بعملية الاحتكاك الدءوبة التي خاضتها عواصم أوروبا- وبخاصة إنجلترا وفرنسا ثم ألمانيا- مع السلطنة العثمانية طوال القرن التاسع عشر . ولعل

القارئ يتذكر أن السلطنة العثمانية ، كانت آخر معقل يرث مركز الخلافة الإسلامية ويمثله سياسيا لأكثر من أربعة قرون ، ويحاول تجديده عبر عديد من المفكرين تحت شعار "الجامعة الإسلامية" في ظل مواجهة الغرب المطردة منذ الحملة الفرنسية ١٧٩٨ . ولكن كانت عملية الإحياء والتجديد كاشفة- في الوقت نفسه- لما انطوت عليه السلطنة من عوامل ضعف وتفسخ ، جعلتها تتبدي من منظور السياسة رجلا مريضا ، يعاني سكرات الموت التي تزيجها إلى ذمة التاريخ ، لثريه البني القومية . وفي هذا السياق نفسه تمكنت إنجلترا من احتلال مصر ووأد الثورة العربية سنة ١٨٨٢ ، بما رفعته من شعارات القومية المصرية تحت زعم الحفاظ علي وحدة أراضي الرجل المريض نفسه . ولكن لم يلبث وزير خارجيتها

ونظيره الفرنسي أن عقدا اتفاقية "سايكس-بيكو/ ١٩٠٤" التي تحمل اسميهما ، وتحدد دوائر نفوذ الدولتين في إرث الرجل المريض نفسه ، وهو ما تكشف عنه فعاليات الحرب العالمية الأولى التي دخلتها ألمانيا حليفا للسلطنة ظاهريا ، وإن كانت في الحقيقة تبحث بدورها عن نصيبها من الإرث .

ومن ناحية رابعة كانت الحركة الاستعمارية قد أدت إلي حوار الحضارات والثقافات المتباينة ، مما سوغ دراسات "الاستشراق-orientalization" التي عني فيها الغرب بدراسة ثقافة الشرقيين وفي المقابل دراسات "الاستغراب-westernization" ، التي عني فيها الشرقيون بدراسة ثقافة الغرب ولغته وآدابه وفنونه . وفي هذا الإطار نفسه نما الوعي بين أبناء المستعمرات بأنفسهم ، وكذا بخصوصية ثقافتهم وتراثهم وأنماط علاقاتهم الاجتماعية ، وأسباب وحدتهم القومية ، وتحلفهم الذي أوقعهم في قبضة المستعمر ، وبالتبعية التأهب لمواجهة حتمية مرتقبة معه . ولا غرو أن يتعمق هذا الحوار المتبادل بالاحتكاك المباشر بتبادل الوجود في شكل جاليات أجنبية متفاوتة العدد والنفوذ ، تؤسس لنمط علاقات ومصالح جديدة . ولاشك أن هذا الحوار ما أسفر عن كتابة "توماس كارليل" لكتابه (الأبطال) الذي وضع فيه علي رأسهم "محمد" ، نبي الإسلام ، كما أسفر عن ترجمة القرآن . ومن هنا تكتسب مناقشة علاقة الرجل بالمرأة عمقها وشمولها ، وإن يكن بإشارات موجزة ومكثفة خلال الفصل الثالث الذي يبني فيه المؤلف علي لسان "قسطنطين" ما اعتبره منظورا إسلاميا علي نحو يغري "ستات" برغبة التزود منها ويأسف- في الوقت نفسه- أنه لم يعن بقراءة القرآن .

وفي هذا السياق الذي يبدو أن الشخصيات تعيه ، ولو علي نحو

ضميني ، لم تبد انجلترا دولة قوية وإمبراطورية مترامية الأطراف لا تغرب عنها الشمس ، وتطول بأيديها أقصى الشرق في الهند وجنوب أفريقيا ، وتفكك الخلافة الإسلامية بدأب ومثابرة ، ولكن - علي العكس - تبدو من منظور "قنسطنطين" دولة مثيرة للشفقة والتقرز ، لاهية بالنساء الطليقة في الشوارع بشكل يثير الغرائز ، ويشتت الأذهان عن العناية بالعمل والإنتاج والابتكار ، وعليها من ناحية أخرى أن تتوجس خيفة من نهضة الشرق المرتقبة ، الذي حل بالإسلام مشكلته مع النساء وفصل متعته بهن في "الحريم" . كما أنها مفعمة بالتناقضات التي تضرب بجذورها من قاع المجتمع الفقير القذر ، إلي قمته الثرية اللامعة ، التي تهيمن علي رأس المال ، وتتجمل بالفنون والآداب وصنع التمدين "civilization" ، بينما تخفي أزمته الأخلاقية المستحكمة .

وعلي أية حال ، فإن قضية العلاقة بين "الرجل - المرأة" ، التي تتمركز في "بيت مدراس" ، بتجارة الأزياء وتصميم الموضة ، وفن عرض "الأنوثة - womanly" ، والتربح من ورائها ، وإيجاد الذرائع التي تسوغها ، لا تكاد تنفصل عن العلاقات الإنسانية المشوهة بين الشخصيات وأعماقها التاريخية والشروط الأخلاقية أو غير الأخلاقية التي تحكمها أو تتحكم فيها ، بتداعياتها النفسية . ولا ينفصل هذا وذاك عن النظام الرأسمالي السائد بتطوره ، وبما يفرضه من مفاهيم الطموح والنجاح ، ووعي - ضميني أو صريح - بمبدأ الاستغلال ، الذي يوسع تدريجياً وبالتبعية من رقعة المستغلين ويلقي بهم في هوة الفقر والعوز ، ويتداعى إلي صنع الفضيحة "scandal" والسمة "reputation" ، على موائد الحياة اليومية ، ليعاد ضحها بدورها وإخضاعها للنظام نفسه . ولعل هذا ما يتكشف من فعل بيع "بيت مدراس" ، الذي يبدأ بعودة

"قنسطنطين"، الذي يبدو وكأنه يصفي في الوقت نفسه كافة روابطه الاجتماعية القديمة: الزوجة والأبناء والعشيقات وشركاء العمل، بعدما يوقظها من ثباتها الطويل، ويرفع الغطاء عن روائعها المكتومة.

٢- شبكة العلاقات وخمائر النكد!

في بطن شديد يستغرق الفصل الأول- وفق أعراف الواقعية المتبعة وقتذاك- في تقديم شبكة العلاقات التي تترامي بين بيتي "هاكستابل" في "تل الدنمرك" وبيت "فيليب" في حدائق "فليمور"، وبينهما علاقات العمل. ففي تل الدنمرك أسرة "هاكستابل"، بزوجته "كاثرين"، وبناته العوانس الست، إذ توشك أكبرهن أن تكمل الأربعين، وأصغرهن في السابعة والعشرين، دون زواج لأي منهن. وإن كانت "جوليا" أبدت نوعا من التميز في تخطيط الرسوم بالألوان المائية في صغرها، بمعزل عن وصمة الغباء التي طاردها، إلا أن مدرسة الفن التي أوصت مدرستها بأن تلتحق بها، لم تزدها معرفة إلا بتجارة الفنون، ولم تنم ملكاتها مجال، فاكثفت بالتنفيس عنها في وقت الفراغ علي نحو لا يرضيها هي نفسها، فكانت تمزق أعمالها بيديها، ولكن أخواتها- رغم ذلك- جاملوها بتزين غرفة الاستقبال ببعض أعمالها. أما الصغرى "إيما"، وإن كان لها في الأعمال الكتابية، إلا أنها لا تحتاج لأي دخل منها فعليا فأنفقت ما كسبته علي ثيابها، وقرت في البيت مع أخواتها، ولما أوشكت أن تتزوج تبين للأسرة أن لخطيبها ذلة في ماضيه فأحجمت عن المشروع جملة. وهكذا بقي الست ينتظرن الزواج، في حالة وجود مؤجل أو كساد تجاري!، إذ يبدو أنهن من طراز عفي عليه الزمن، مما ختم فكرة الزواج نفسها بالفكاهة، مع تقدم العمر، بعدما وأدها في نفوسهن اليأس أو الإحباط، ولم يعد يكفي لتعويضها الالتزام الديني، أو الانشغال بتربية

ضفدعة ، أو زراعة نبات نادر بالشرفة ، أو الفخر بمشاهدة قصر الكريستال الذي تطل عليه شرفة البيت في "تل الدغرك" .

وبجانب أسرة "هاكستابل" ، توجد أخته "آماليا" التي هجرها زوجها "قنسطنطين" طوال الثلاثين عاما الماضية ، ولا تريد أن تعترف بالانفصال ، وتصر علي أنها لم تزل الزوجة الوفية والملتزمة في الوقت نفسه بواجبها نحوه . ولا تكاد الأسرة- من ناحية ثانية- تتقبل وجودها بينهم إلا باعتباره واجبا ، وإن كان لا يزيداها إلا عزلة وانطواءً علي نفسها . إنها البضاعة التي شهدت بوادر كسادها في السوق ، ولا تملك إلا أن تقتات أو هام رواج قديم ، يعينها علي البقاء . ولكن "هنري" يشير إلي أنها أخته التي لن يقبل أن يمسه أحد بسوء ، وفي الوقت نفسه يشار إلي أن "قنسطنطين" أخوه غير الشقيق ، ولما كان كل منهما يحمل لقباً مختلفاً "هاكستابل- مدراس" فالراجح أن العلاقة بين الثلاثة تعود للأمهات ، وربما ترشح لممارسة جنسية غير شرعية في هذا الجيل ، تفصح عن بنية وجود شائكة احتضنتها التربة الأخلاقية التي تحول دون الطلاق في المسيحية ، مثلما تحول دون تعدد الزوجات . إلا أن هذه البنية امتدت إلي "قنسطنطين" نفسه وانتقلت لابنه "فيليب" ، فإن كان قد تزوج "آماليا" ، ليبدأ بما لها مشروعه التجاري والمهني كمصمم أزياء مبدع ، إلا أنها- علي مستو آخر- لم تستطع استيعابه أو إرضاءه ، فانطلق في علاقات نسائية بعيداً عنها ، ومنها- ما أشار إليه "هنري" - بين الفتيات اللائي عملن في مشروعه ، ومنها أيضا أم "فيليب" التي استطاع أن ينتزعه منها ، وينفق علي تربيته بانتظام في مدرسة داخلية ، اعتبرها من أكثر المدارس تعليماً للرجولة "Manly"!! . وهكذا تشكلت خنائر النكد "annoyance yeasts" في عالم "قنسطنطين" من النساء اللائي قضى وطره منهن بحسب

سنة الطموح والاستغلال الرأسمالي ، وتسألنه الثمن وشيء من الواجب الأخلاقي ، ولو بالاعتذار عمّ سببه لمن من جراح ، ابتداء من "أماليا" ، إليّ العاملات عنده ممن أرضيته في وقت من الأوقات . وكنموذج للبرجوازي النذل هرب "قنسطنطين" خارج البلاد ، ولم يكن يعاودها إلا في زيارات قصيرة ، تكفي لتسديد مصروفات تربية "فيليب" ، ولكن رغم ما بذله في هذا السياق ، لم يستطع أن يمنح ابنه - فيما يواجهه به في استياء بالغ - الشعور بأن له بيتا . وهكذا أصبح "فيليب" نفسه أحد خمائر النكد التي عليه أن يواجهها ، بينما يواجهه - في الوقت نفسه - النقيح الروحي الذي تزايد فيه مع ظروف تربيته ، وأفقده الإحساس بالأمان ، بمثل ما أفقده الثقة في النساء ، وأورثه احتقار الشهوة وأهلها ، واحتقار المال والطبقة التي ينتمي إليها .

ومن المفهوم أن يتجنب "فيليب" إثارة الروائح المكتومة في خمائر النكد ، بخبر وصول أبيه لإتمام صفقة بيع شركته "مدراس" ، ذلك الخبر الذي يود أن يؤكد له لعمه ، حتى يحضر الاجتماع مع السيد "ستات" وبالتبعية يصحب معه صديقه "توماس" الذي يعد في الوقت نفسه ، وكيل أعمال "ستات" في لندن . ولكن هذه الخمائر التي طالما استقرت أمثالها في أرحام ميلودراما ابن الحرام ، يتجنب المؤلف تأثيراتها الانفعالية بمعرفة "فيليب" نفسه بها ، وإدراكه لتداعياتها ، إلا أنه لم يفلح كلية في مسعاه ، فالرغبة في تصفية الحساب مع "قنسطنطين" ، سواء من "أماليا" ، أو من عمه "هنري" أو من زوجته "كاتبرين" ، أكبر وأقوي من يحملها علي الكتمان وجود ضيف مثل "توماس" .

غير أن الخمائر نفسها تجدد تنويعه أخرى - علي مستوى علاقات العمل - تفجرت فضيحتها من أسبوع في الشركة ، ولم يستطع "هنري" أن

يحتويها ، ولا يلبث أن يفجرها طالبا "فيليب" أن يعينه عليها . فعلي نحو ما تسعى الأنسة "ياتيس" إلي الالتقاء بطبيب الشركة ، ومن ناحية ثانية تضبطها الأنسة "شانسلر" - مدبرة المحل والمشرفة علي العاملات - تقبل "بريجستوك" ، ويتضح من ناحية ثالثة أن "بريجستوك" متزوج ، ومن ناحية رابعة ينتشر الخبر حتى يصل إلي الزوجة التي تتهيج وتري فيه افتراء يقصد الإساءة إلي سمعة زوجها ، فإما الاعتذار أو تلجأ إلي القضاء وتطالب أيضا بالتعويض . وهكذا يتجدد نموذج العلاقات القديمة في هذا المربع من الشخصيات ، منتقلا في كليته من قمة الهرم الاجتماعي إلي قاعدته ، بينما يتعين علي "فيليب" أن يتعامل معه ، مما يكسب النموذج نفسه أمامه بعدا عاما ، قابلا للتريد والتكرار ، أما ما لم يختر له علي بال: أن يكون لأبيه "قنسطنطين" دخل بهذا الرباعي ، ولاسيما الأنسة "ياتيس" !! .

علي أن النموذج نفسه لا يلبث أن يتكشف في تنويعه علاقته بصديقه "توماس" من ناحية ، وزوجته "جيسكا" من ناحية ثانية ، وبالتبعية في علاقة "توماس" بزوجته وأم أطفاله الأربعة الذين يعترف بأدوارهم الحيوية في إقرار مكانته الاجتماعية ، لاسيما بعد استقالته كضابط في الجيش وانصرافه إلي الحياة العامة . إذ يباغته "توماس" نفسه بتحذيره من تداعيات التقارب الذي يزيد في علاقته مع "جيسكا" ، ذلك التقارب الذي تخطي الأطر الرسمية المفترضة ، إلي أن تبوح له بأخص شكواها من علاقتها مع "فيليب" ، وبأنه قد لا يستطيع أن يمنع نفسه من تطوير البوح إلي المعاشرة ، وفق ما عوده النساء اللائي عرفهن قبل أن يتزوج ، وربما بعد زواجه ، وإن ظل الأمر في الكتمان دون فضيحة !! . ولا ريب أن اعتراف "توماس" بما يجري في علاقته مع "جيسكا" ، وبهواجسه من أي تطورات محتملة ، حتى من نفسه التي قد لا يستطيع أن يفرض عليها

الانضباط الخلقي ، وإن نبه إلي أزمته الروحية ، يقود علي مستو آخر إلي تفرغ مثلث (الزوج - الزوجة - العشيق) من أي أثر ميلودرامي في تطوره المحتمل ، مثلما كان مألوفاً من مفاجآت هزلية في "الفودفيل" الفرنسي ، تتوالد من التكتّم والاختباء ، والظهور المباغت للزوج أو الزوجة .

وعلي هذا النحو تبني شبكة العلاقات تنوعات مختلفة ومتماثلة معا ، حول نموذج العلاقة بالمرأة يميز بين الزوجة وما تفترضه من أسئلة الواجب ، والعشيقة وما تفترضه من أسئلة السعادة ، بل ولذة الكتمان ، والغزو . وتمتد التنوعات بين سجينات "تل الدنمرك" ، من ناحية وسيدة حدائق "فليمور" التي تتمثل في "جيسكا" ، وتعد - فيما يقال - منجز "accomplishment" التمدين وصناعته من أخصص القدم إلي ذؤابة شعرها ، ومن طريقة حديثها إلي اهتماماتها ورغباتها ، وعماهما المتعمد عمّ يخرج عن حدود طبقته . وبين الطرفين تنويعه تجسدها "فريدا" ، زوجة "بريجستوك" ، والآنسة "ياتيس" ، أو "ماريون" ، والآنسة "شانسلر" التي تحطت بعنوستها الخمسين ، وتنذر أيضا بما ينتظر سجينات "تل الدنمرك" من ضيق أفق ، وكآبة تتحلي بالصرامة الأخلاقية ! ، بينما تعانين الكساد . ويبدو في الوقت نفسه الصراع واضحا في البنية الأخلاقية التي تتململ بين الشروط المسيحية المحددة للعلاقة بين الرجل والمرأة ونداء الفطرة "nature" ، بين الثقافة الإنسانية بما فيها من أدب وفن ، واصطناع التمدين "civilization" ، بين كبح الأهواء بالانضباط السلوكي ومطاوعة النفس ، بين سؤال الواجب "Duty" وسؤال السعادة "Happiness" . وقد أفلت "قنسطنطين" من هذا الصراع الذي شكل محنته الأخلاقية إلي الإسلام متصورا أن عالم الحريم يقدم له حلا كافيا وملائما ، ويبدو أنه حل مقنع أيضا لمحنة "توماس" . أما "فيليب" الذي

يعاني سؤال الماهية- بمعناها الوجودي منذ مولده ، وظروف نشأته- وافتقاد الأمان ، فلا يقتنع بهذا الحل حتى المناقشة الختامية مع "جيسكا" ، ويتوق من ناحية ثانية للاغتسال في مصلي وهمي ، يدعو به المصلي الأبيض "white-chapel" ، الذي قد يبدو صعبا ، ولكنه غير مستحيل في المعركة الروحية . كما أنه يأنف من التناقض الطبقي ويتألم من معاناة العامة ، ويدرك- مثلما تدرك زوجته "جيسكا- أن العناية بالفن والأدب ، قد تخفف وطأة الحياة وتجعلها محتملة ولكنه- خلافا لزوجته- ينجل من تقديم هذا المخدر إلي العامة من الفقراء وذوي الحاجة ، أو حتى يحدثهم عنه ، وكأنه يؤمن علي مقولة "برنارد شو" ، عن أن الفقر جريمة لا تقبل التبرير ، ولذلك يود التخلي عن عمله في إدارة صناعة النساء المتمدينة ، ويترشح لمجلس المقاطعة . ولكن هذا الصراع يتطلب- علي مستوٍ آخر- تحليلا للخطاب الدرامي والفكري معا ، بما يضيء جوانبه الخفية والملتبسة بين الواقع كما هو والمثل المفترضة .

٣- الخطاب الفكري والدرامي.

أ- الواقعية والكلاسيكية الحديثة:

ربما أمكن بسهولة ملاحظة أن الزمن الدرامي لا يستغرق أكثر من أربعة وعشرين ساعة ، علي نحو يذكر بوحدة الزمن الكلاسيكية ، فالفصل الأول يبدأ مساء الأحد ، ليمهد لاجتماع عقد صفقة البيع عصر الغد ، والتي تجري في الفصل الثالث ، بينما الفصل الثاني يجري زمنيا في الظهيرة من اليوم نفسه ، أما الفصل الرابع والأخير فيجري في المساء . ومن ناحية أخرى فإن الإشارة إلي وسائل مواصلات من نوع الأتوبيس أو سيارات الأجرة أو القطار ، ووسائل اتصال كالتلغراف أو التليفون أو نظام البريد ، سهلت التواصل بين أماكن عديدة ، والانتقال بينها- في

الوقت نفسه- بين الفصل الأول في قاعة الاستقبال في بيت "تل الدنمرك"، حتى الفصل الأخير في قاعة الاستقبال في بيت حدائق "فيلمور"، دون أن تتجاوز الأماكن مجتمعة مدينة لندن، مما يؤكد الالتزام بوحدة المكان أيضا. ومن ناحية الثالثة فإن هناك فعل رئيسي يعتمد علي بيع بيت مدراس، وعقد صفقته، ويبدأ بالتمهيد بوصول "قنسطنطين"، وينتهي برحيله، فيما بعد مشهد تصفية الحساب سواء بينه وبين زوجته "أماليا"، أو ابنه "فيليب"، أو بين "فيليب" وزوجته "جيسكا". ولا يخلو النسيج من خط فرعي يدمج وقائع علاقة الرباعي (الآنسة "ياتيس" أو "ماريون" - "بيرجستوك" - زوجته "فريدا" - والآنسة "شانسلر") في فعل تصفية الفضيحة، أو فض الروابط بينهم والشركة التي يعملون بها، بشكل يهد لاختبار حلم "فريدا" - في أرض الواقع - في أن يكون لها مشروعها الخاص، وتصبح من أرباب العمل، فإما تنجح، أو يتلعبها السوق على نحو ما تنذر الآنسة "ياتيس". وبذلك يصبح الفعل الفرعي تنويعا ممكنة علي الفعل الرئيسي، بل ويرتبط به ارتباطا وثيقا، حين يتضح أن "ماريون" أو الآنسة "ياتيس" خططت لعلاقة مع "قنسطنطين"، في أحد زيارته، أسفرت في الوقت نفسه عن الحمل الذي تخفى في الفضيحة، فكانت وحدة الحدث، وإن نوع علي الموضوع. ولاشك أن تكشف الوحدات الثلاثة علي هذا النحو ما يسوغ أن يطلق علي الواقعة التي لاحت بوادرها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، مصطلح "الكلاسيكية الحديثة - Modern classic".

وربما أمكن ملاحظة - علي مستو آخر - أن المادة تحتشد بعناصر ميلودرامية مستمدة من فصيلة ابن أو بنت الحرام، أو الطبيعي، أو غير الشرعي، ولكن تقاليد هذا النوع مثلما تعتمد علي المسافة الزمنية

الطويلة بين فعل الانتهاك الأخلاقي ، والظهور المفاجئ للمجرم ليتورط في علاقة غالبا ما تكون شائنة مع ابنه أو بنته ، دون أن يعلم أيُّ منهما حقيقة علاقته بالآخر ، فهي أيضا تعتمد علي فكرة الضحية البريئة التي غالبا ما تخدع لتسلب شرفها في لحظة متعة عابرة ، تكلفها غالبا . غير أن كافة العناصر الميلودرامية امتص المؤلف تأثيراتها المحتملة علي الأعصاب والمشاعر ، بأن جعل "فيليب" مدركا منذ البداية حقيقة الروابط التي تجمعهم سواء بأبيه أو بأمه الشرعية أو أمه غير الشرعية "أماليا" ، أو علي الأقل تجاوز أثر مفاجأة المعرفة بالتفاصيل بإحالتها إلي الماضي . ومن ناحية ثانية لم تكن "أماليا" مجرد زوجة مهجورة وابتليت بخيانة زوجها ، فلم يكن ثمة ما يربطها بهذا الزوج إلا أن تكون زوجة ، وحسبت أن مالها كان يكفي ليربطه بها عرفانا بجميلها عليه . ولا تكاد تختلف "فريدا" ، التي يبدو أنها متواضعة الجمال ، ورحبت فقط بأن تكون زوجة لرجل عديم المواهب مثل "بريجستوك" ، وتدافع عن وجوده في حوزتها ، دفاعه عن موقعه في العمل وخشيته أن يطرد منه . كما أن "ماريون" ليست أضحية بريئة خدعت وانتهكت علي غير إرادة منها ، ولكنها خططت بوعي وقصد لتتصيد رجلا ثريا ، يستطيع أن يضمن لها حياة رغيدة ، وتأتي أيضا التخلي عن طفلها أو طفلتها . صحيح أنها لم تستطع أن تتجنب الفضيحة ، إلا أنها رفضت ببساطة التخفي وراء خاتم لتبدو به متزوجة ، ورأت من حقها أن تحتفظ بأسرار حياتها ، وتستترها وراء غلالة من الأكاذيب: أن تقيم في مكان لا يعرفها فيه أحد ، وتزعم أن طفلها ابن أخيها علي طريقة باباوات روما ، أو أنها أرملة تربي طفلها! . وهكذا ظهرت امرأة قوية قادرة علي تقبل خسارة سمعتها غير المتوقعة في مشروعها لاستغلال أنوثتها كرأس مال ابتدائي يضمن لها ارتقاء السلم الاجتماعي ، ويبدو أنها خسارة غير ذات بال! .

وعلي هذا النحو جرى امتصاص العناصر الميلودرامية ، سواء بتقديم المعرفة بمخامير النكد ونفيها إلي ماضي ما قبل فتح الستار ، أو بإعادة بناء وعي الشخصية بالظروف الاقتصادية والاجتماعية غير المواتية باعتبارها الوسط الذي تتنفس فيه أفعالها في صراع البقاء والنجاح أو الطموح ، الذي تتخلخل فيها منظومة القيم ، ويعاد ترتيبها في كل حالة . وهذه الحيل الفنية أفرغت الفضاء الدرامي من الانفعالات الساخنة ، والخطب الأخلاقية جاهزة التكوين والتي تعيد إنتاج العظات التقليدية ، وآليات التوبيخ متفاوتة العنف والحدة علي انتهاك القيم السائدة ، علي نحو يمهّد للاعتراف بالخطأ والتوبة عنه والغفران بالتبعية . وفي المقابل اتسع المجال لآليات المناقشة الهادئة بعقل بارد أحيانا والمناظرة وآليات التبرير ، التي لا تخلو من طابع أيديولوجي ، ولو كان زائفا ، يكشف الشخصيات بمثل ما يكشف قوانين ونظم الواقع . ولا يخلو الفضاء في الوقت نفسه من آلية التهكم والسخرية ، والغمز ، بل والمطالبة المتبادلة بحس الدعابة " Sense of humour " . ومن هنا ينشأ التوتر الدرامي النابع من المفارقات الفكرية والملاحاة بين وجهات النظر المتعارضة وتقاطع أهداف الشخصيات ولو بغير قصد منها ، وليس من مفاجآت الحدث الممكنة ، كما تنشأ أجواء كوميدية خاصة لا أجواء خصومة عنيدة لا تكل إلا بتصفية أحد الطرفين ، نتيجة الاعتراف - صراحة أو ضمنا - بضمير أخلاقي وحيد ، تتفرع عنه الواجبات وتتولد الحقوق ، وتترتب الجزاءات .

ب- صناعة النساء وغريزة الجنس .

ولا غرو أن تكون شركة إنتاج وتسويق الأزياء النسائية في مركز الفعل الفرعي والرئيسي معا ، فهناك واقع النص والمنظور إليه بوصفه

اهتماما اجتماعيا واقتصاديا بصناعة النساء ، لا من حيث المظهر فقط بالثوب والقبعة وتنوع الأشكال والطرز هنا وهناك . ولكن هذه الصناعة نفسها تدعو لخلفية الوعي صناعات أخرى تتكامل معها وتجري مجراها: العطور ، الماكياج بألوانه وأصباغه وأساليبه التي تتناول أجزاء الوجه من الشفاه للبشرة ، إلي الجفون والعينين ، الحلي والمجوهرات زائفة وحقيقية ، تسريحات الشعر ، الرشاقة وتناسق أجزاء الجسم ، وفن السلوك "etiquette" علي المآدب وفي المنتديات العامة . عالم يمكن ببساطة تسميته بصناعة النساء ، لا يخفي اقتصادياته التي تجذب رؤوس الأموال التي تضع نصب عينها قابلية الرواج والتسويق والأرباح ، بمثل ما تجتذب إليها ملايين من العمال والفنيين المهرة ، والإداريين والمحاسبين للتكاليف وحجم العائد والمبيعات . عالم يعني بعرض "الأنوثة" والتنبه إلي مفاتها ، بأبهي صورة ممكنة ، ويشجع - وفق مقتضيات النظام الاقتصادي - علي استهلاكها ، وإدامة الإقبال عليها . عالم لا يمكنه - في الوقت نفسه - الاعتماد علي المغامرة غير المحسوبة ، ويتأسس علي احتياج إنساني لا غناء عنه ، يضمن بقاءه وازدهاره ، بل وأرباحه معا . ومن الخبل - بالتبعية - الخجل من هذا الاحتياج ، أو الفرار من مناقشته ، بالضبط كما لا نخجل من أي مناقشة عن حاجتنا إلي الأكل والشراب وحيز نظيف للتنفس ، بما يساعد علي البقاء . ولو افترضنا - صراحة - أن المجتمع تحكمه الإناث لا الذكور وأن بأيديهن إدارة اقتصاده ، لما كان غريبا أن تصبح الصناعة للرجال من منظور النساء! ، وبرغم ذلك لم يخل الأمر من عناية بهذا المنظور .

والواقع أن مشهد عرض الأزياء في الفصل الثالث ، يؤكد هذا التأسيس في كليته وتفصيله معا ، فالفاضلة بين ثوب وآخر ، تعتمد علي

قدر ما يبرز من فتنه ، ويلفت إليها الانتباه ويثيره من شبق . وكان "توماس" أكثر المعنيين بهذا المعيار واستجابة له ، علي نحو لفت نظر "فيليب" ، وأكد عليه . أما "ستات" - بغض النظر عن إثارتها أو بروده- فراح يناور علي الصناعة وأهدافها ، بأيدولوجية تعيد وضعها علي أساس من "الجمال - Beauty" ، الذي يستحق المعارض الفنية والندوات الأدبية ويستفز قريحة كبار الشعراء ، ويستأهل خدمته بالعمل علي تعميم فروعه في كافة أنحاء البلاد ، فيفيد منه نساء القصور في الريف والضواحي ويستفزههم للانطلاق من محابسهن وراء الشرفات . ولكن نظرة "ستات" - في الوقت نفسه- لا تكاد تخفي الأبعاد الاقتصادية من الترويج وزيادة حجم المبيعات ، خاصة وأنه يتبنى ملاحظة أن النساء ماكينتا إنفاق علي مثل هذه الأشياء ، كما يري أن الرجل أكثر استعدادا للنجاح في البيع للنساء ، والعكس صحيح! . أما "هنري هاكستابل" ، فيؤكد في صراحة تأسيس الصناعة علي الغريزة ، فحين اشترت إحدى بناته يوما ثوبا جميلا لافتا للأنظار ولاحظ إعجاب أخواتها به وتهافتهن عليه ، لم يخرج من تأمله الصامت وقتذاك ، إلا بأنها الغريزة ، مما ربما أسكته عن زجر بناته واعتبرها صرخة الأنوثة الحبيسة في "العنوسة- spinsterhood" ، وفي السياق نفسه يعترف "ستات" بأنها الغريزة الأنبل التي تديم جنسنا! .

وعلي أية حال فإن كان الأكل والشرب وحيز التنفس يندرج تحت "الاحتياجات الرئيسية- main needs" ، التي تشبع غرائز حفظ الذات "self-survival instincts" ، ولا نخجل منها بما تستدعيه من أنشطة وأفعال إنسانية ، فالجنس أيضا غريزة حفظ النوع نفسه ، ولا يتعين أن نخجل منها . إلا أنها غريزة معقدة فيما تنتهي إليه من تداعيات ، ولا

تبقى حبيسة حدود الفراش . إنها غريزة تبني المجتمع البشري ، ابتداء من الأسرة بوصفها الخلية الأولى ، وبالتبعية تؤسس للعواطف والمشاعر الإنسانية ، فتؤسس للأبوة والأمومة ، والبنوة ، والأخوة ، وتدعو لسلامة الجيرة "neighborhood" ، والصدقة "friendship" ، والزمالة "fellowship" ، والرفقة "companionship" ، لأنها علاقات - وإن يكن علي المدى البعيد - تعود لتشكيل الوسط الآمن للبقاء ، وترشح لعلاقة الزوجين ، بمثل ما ترشح لانتهاك الزوجية ، متى اعترها الإخفاق والتصدع ، والتبست بالشقاق والتنافر ، واستحالت بالشقاء وتباعدت عن السعادة والوئام ! . ومثلها مثل غيرها من الغرائز ، تنفس في أوساط اجتماعية / اقتصادية لها مقتضياتها وقوانينها القارة فيها ، ولها نسق قيم يسائل مشروعية الإشباع ووسائله . ولو اقتصرتم غريزة الجنس علي نداء الإشباع ، وظلت طليقة بلا حساب لانهار المجتمع وتداعت الأسرة وعلاقاتها ، وأفرغت من معناها ، ومن الحاجة إلي التمييز بينها .

ت- الرهان الإنساني والتمييز بين النوع والجنس

ولكن لما كان البشر بشرا لا حيوانات ، وتمتعوا بالعقل والقدرة علي اختزان التجربة ، وقراءتها ، وتطويرها ، والإفادة من تراكم الخبرة في تطوير العالم المحيط ، كان لابد- بالضرورة- أن يكون تمييز النوع "gender" بين رجل وامرأة ، عن تمييز الجنس "sex" بين "ذكور- males" ، و "إناث- females" ، ذا معنى ودلالة ، بحيث لا يجوز الخلط بينهم ، كما يجوز الخلط بين كلب وكلب ، وقطة وقطة ! . ففي دنيا الحيوان والبهائم لا يحتاج الذكر إلي التمييز بين أنثي وأنثي ، ولا الأنثي تحتاج إلي التمييز بين الذكور ، فهذا تجبه وتقبل عليه ، وذاك تكرهه وتدبر عنه ، مادامت تكتمل بأي منهم عملية المعاشرة والإشباع وأداء الوظيفة

الحيوية . ولما أدرك الإنسان بتراكم خبرته بدنيا الحيوان أنه لا يعني قط بمثل هذا اللون من التمييز وظف هذه الخبرة- بتوافر ركني العمدة والترصد- في تنمية ثروته الحيوانية بالفحل الطليق ، الذي تجر إليه إناث البهائم ليعاشرها ويخصبها ، فيكثر اللحم وتربوا الألبان ، دون إثقال ضميره- من ناحية ثانية- بأنه يحض علي الفسق والفجور ، أو تهيئة الأجواء لفاحشة الزنا وانتهاك المحارم وإشاعة الفساد في عالم الحيوان ، وتدنيس الزواج بالخيانة ، بين حيوان وحيوان! . وعلي مستو آخر لا يحتاج الحيوان لإشهار سؤال السعادة ، أو ينكفى محزوناً من سؤال الشقاء ، ولا يشغل بقضية الحرية والإرادة أو الاختيار .

وبالتبعية فمن المحال- إلا من قبيل الهزل- فرض سؤال التطور علي دنيا الحيوان ، في أسلوب الإثارة والاجتذاب ، أو المعاشرة ونمط الحياة ، بين أمس غابر وحاضر كائن ، وغد ممكن ، فهكذا كان وهكذا سيكون في أي مستقبل منظور وغير منظور . ولكن من المفترض أن البشر ميزوا بين النوع من ناحية والجنس من ناحية ثانية . والنوع هو الذي ميز بإدراكه الفروق الدقيقة بين الأفراد ، وإدراكه للذات الحرة المريدة التي تعي نفسها مثلما تعي موضوع الاختيار والانتقاء ، وتعني نتائج أن تختار علي ما تشعره من لذة أو ألم ، وسعادة وانطلاق أو كآبة واحتجاز دون رغبة الحياة . ولا غرو أن تقترن المسؤولية والمحاسبة- وكلاهما من المسائلة والحساب- بالإنسان وبقدرته علي أن يختار ويميز بين هذا وذاك من موضوعات الإشباع في العالم الخارجي ، أو الوسط المحيط ، فلا مسؤولية علي مضطر أو معتوه! ، كما لا مسؤولية لحيوان عن معاشرته أو عن عدوان ، لأنه في كل أحواله مضطر بجبر الغريزة والإعفاء من العقل والضمير .

والواقع أن التجربة التاريخية للنوع البشري علي الأرض في أحضان الطبيعة ، تؤكد أن الإنسان لم يتوصل إلي التمييز بين النوع والجنس دفعة واحدة وبشكل قاطع ، إنما قطع عديدا من المرحل والأشواط في هذا المضمار . وكان في فجر حياته جزءا من الطبيعة يخضع لما يخضع له الحيوان في الممارسة والأداء ، ولم يشعر بحاجة إلي منظومة من القيم تنظم إشباعه لاحتياجاته ، وعلاقاته . ولفترة طويلة من الزمن ظلت أفراده تعيش بروح القطيع الذي لا تتميز فيه مشاعر أو علاقات ، أو حقوق وواجبات ، بل وظل سر إنتاج الذرية وتجديد خلايا الحياة غائبا عن ذهنه مبتور الصلة بما يفعله مع الآخر ، فعبد الطبيعة مثلما عبد المرأة لأن كليهما احتفظ بسر الخلق والخصوبة ، فيما عرف بالمجتمع الأمومي .

ولكن بهبة العقل وتراكم خبرة الإنسان بالصراع مع الطبيعة/البيئة/الوسط ، والتأمل في التجارب التي يمر بها وتدوين الأفكار أنتج العلوم "sciences" التي جسدت رحلة تطوره في وجه الطبيعة واكتشاف قوانينها ، وفرض إرادته عليها ولم يعد عبدا لها . ومن ناحية ثانية أنتج الأساطير والفن والآداب والفلسفات ، وبلور في حياته المعتقدات ، وتعد هذه المنتجات أشكالا متنوعة لوعيه بالواقع اقتحم بها آفاق النوع يجلوها ويتبين خباياها ويتفهم ما تنطوي عليه من إرادة كامنة وراء أفعاله . فلم يكن حرا إبان كان يندمج في الطبيعة ويخضع لها ، مستسلما لما تمنح أو تجود به ، إنما اكتشف حرته في مواجهتها ، وفي سعيه للسيطرة عليها وتهذيبها وترويض جموحها .

وبالتبعية كان الرهان الإنساني في تمييز النوع العاقل عن مجمل دوافعه الغريزية العمياء ومنها الجنس ، فلم يشأ الإنسان اختزال كلية وجوده فيها ، ليرقى عن البهائم ، ولا يبقى تنويعه عليهم ! . ومما يكتسب دلالاته

كاملة في هذا السياق ، أن أوائل وأشهر النماذج الكوميديّة التي ابتكرها الفن ، كانت النماذج التي تركز اهتمامها علي إشباع الغرائز ، فهذا نمط الشره للطعام أو الشراب ، وذاك نمط الشهواني الذي لا ينفك عن التفكير في الجنس ، وثالث جبان يخشى حتى حفيف الأوراق علي الأشجار ، ويحسب أن العفاريّات تتلبس الأشياء ، مثلما كان يظن سلفه البدائي!.. وهكذا ، فكان مرجع الإضحاك في كل هذه النماذج مجتمعة أنها أدني مرتبة من الإنسان ، وحد الاعتدال!! .

وفي هذا الإطار تتبدى الجوانب الخفية في شخصية "فيليب ، أولا حين يواجه الأنسة "ياتيس" بأنه قد يكون له آراء غير تقليدية ، ولكنه لا يسمح لنفسه أن يقترف أفعالا غير تقليدية ، مشيرا إلي أنه لا يسمح لنفسه بالانفلات وراء غرائزه ، ولكنه أيضا يلتمس في نفسه المساحة الإنسانية القادرة أن تدعمها وتساندها وتتفهم دوافعها ، وتقدر خياراتها وتحترم ما تراه شأنها . وثانيا حين يبدي دهشته من "توماس" الذي لا يمكنه التحكم في غريزته ، ولا يمكنه أن يتعامل مع المرأة إلا بوصفها أنثي تريده ويريدها ، وينقاد وكأنه بلا إرادة ، فإن تمنعن عنه قليلا أو كثيرا ، فليحتجزن عنه إن شئن ، أو ليحجزهن من يعينه أمرهن . ويبدو أنه كان ينتظر أن تتأكد مرتبة الإنسانية فوق هاجس الجنس في نفس "توماس" ووعيه ، حتى يمكنه أن يتلقى شكاوى زوجته "جيسكا" ، لو كانت تعيسة معه ، بصفته صديقا لا محض "ذكر" . ولكن حين ينفي "توماس" عن نفسه إرادة كبح غريزته ، لا يتردد "فيليب" عن وصفه بالجحش السخيف مرة ، وبالطفل الكبير مرة ثانية . ويبدو أن "فيليب" - علي مستو آخر - أراد أن ينقل الاختبار والرهان إلي زوجته ، ليتبين مرتبة الإنسانية فيها وفعلها ، فيرخص لتوماس أن يقبلها إذا ما كان يعتقد أنها تريده ، فلو أن الهمجية-

كما يقول- هي التي تسود تماما ، واختارت "جيسكا" أن تكون غير مخلصه ليّ ، فكيف لي أن أمنعها . . حتى لو لي الحق أن أمنعها . وعلي هذا النحو تبدو آراء "فيليب" لا تقليدية أو مفارقة للسائد ، الذي يشغل بالغرائز فيتبدي همجيا متوحشا ، ومبتذلا علي نحو لا يطاق ، مهما تقنع ، ويبدو رهانه الذي قد يتعذر فهمه ومقصده ، علي التكامل الإنساني ، الذي يعي الرجل الحر بمثل ما يعي المرأة الحرة ، لا أن يعي نكرة "الذكورة" التي تكلفه أن يخدع الرجل بالبطش والاستبداد ، ويخدع المرأة بالامتلاك ! .

وعلي أية حال ، فإن خطاب "فيليب" بحثا عن الرقي الإنساني الذي لا يختزل الوجود في الجنس ، يعود ليندمج في خطاب المنتجات الثقافية عموما . ولا غرو أن خطاب منتجات الثقافة غير المادية ينتهي - في سلم الرقي- إلي تعظيم النوع العاقل المرید ، وتمجيد إرادة الاستغناء لا الاستسلام ، والحيلولة دون اختزال الوجود في الجنس ، والاحتفاء بكبح الغريزة وتنظيم أداءها وسبل إشباعها ، وليس وأدها في مهدها ، أو اقتلاعها من جذورها بما يهدد بقاء الفرد أو النوع . ولعل ذلك ما يعود ليفسر من ناحية أخرى أن منتجات الثقافة كانت- ولا زالت وستظل إلي أن يشاء الله- بحالة تراوح بين الطرفين ، ولا تطرد قط في خط مستقيم مع الزمن ، ولكنها إما مثالية "Idealism" ، أو مادية "Materialism" ، أو تأخذ من كليهما نصيبا علي سنة من التوسط والاعتدال ، أو تنتفض بالجدل "Dialectic" ، لأن القول الفصل ينهي الحرية والاختيار ، وينهي التنوع بين الناس .

ث- بين المسيحية والإسلام.

علي أن الخطاب الفكري الذي يلتحم بالبنية الدرامية ، لا يكتمل إلا

بالمنظور العقائدي الذي يفرض نفسه علي العلاقة بين الرجل والمرأة ، سواء المسيحي الذي ينتمي إليه مجتمع النص أو الإسلامي الذي فر إليه "قنسطنطين" ، واستدعاه في مناقشته لصناعة النساء ، بما دعاه لأن يتخذ موقفا فريدا لا يخلو من اشمزاز واستنكار من مشهد عرض الأزياء ، وما أثاره من ردود أفعال ، رغم أنه بلغ في صناعة النساء شأوا بعيدا ومشهودا- في الوقت نفسه- من النجاح والإبداع ، امتد للطبقة العليا . ولا يكتمل الخطاب نفسه- علي مستو آخر- إلا بالتماس جوانب المعني الكامن فيما اسماه "فيليب" بالمصلي الأبيض ، وكأنه يعبر عن معتقد ما يتجاوز المسيحية السائدة حوله ، مثلما تتجاوز عقيدة أبيه التي تحول إليها . وبغض النظر عن أصول العقيدة المسيحية ، والسياق التاريخي الذي ولدت فيه ، إلا أنها- وبلا إغراق في التفاصيل- تفرط وفق تقدير في المثالية من حيث نظرتها للغريزة الجنسية وبالتبعية للعلاقة بين الرجل والمرأة ، وما تنتهي إليه من أسس لتنظيمها .

فمن ناحية تعود المسيحية إلي مشهد الملكوت بين آدم وحواء ، وما انتهى إليه من غواية الشيطان بتعاطي الشجرة المحرمة ، لتؤسس مبدأ الخطيئة الأصلية ، لاسيما وأن مخالفة أمر الله اقترنت بأن أحس كلاهما- لأول مرة منذ بدء الخلق- بسوءتهما ، وجعلا ينخسفان عليها من ورق الشجر ، حتى يداريانها ، خجلا منها أمام الرب . ومن ناحية ثانية ، بنت خطة الحياة ، علي التهوين من شأن المرأة إن لم يكن احتقارها باعتبارها مسئولة عن غواية آدم بعدما أغوها الشيطان . ومن ناحية ثالثة تبنت هدف عودة الإنسان إلي ملكوت الله ، مبرأ من الإذعان إلي شهوة الجنس ، مشهرا سلاح الإرادة ضدها ، وربما دون غيرها ، فكانت الرهينة ، التي تُبني علي التربية الروحية للنوع ، في خصومة لدودة مع

"الجنس": مظهره، والإحساس به، وأعضائه، وعوامل إثارته، حتى أنها لم تكن لتسمح لمن يختار الرهينة، بالزواج أصلا. ومن ناحية رابعة حين أبدت نوعا من المرونة مع مبدأ الرهينة الذي قد لا يطاوعه إلا أولو العزم، وربما الذين أيدهم ربهم بروح من عنده، ليرتقوا سلم الكهنوت "الإكليروس"، شرعت لأحادية الزواج، ورأته سرا من أسرار الكنيسة المقدسة، لا يجوز نقضه بالطلاق، فلا يحق لإنسان أن يفصم صلة عقدها الله. ومن ناحية خامسة أثقلت رابطة الزواج بقيد "الواجب"، وحينما أبدت قدرا من المرونة في فصم رابطة الزواج، لم تجد من سبب إلا موت أحد طرفيه، أو خروجه عن الدين والملة، أو علة الزنا، وكلها خيارات جد مستعصية، أهونها فضيحة علنية مضمونة بالشهود، وتنتهي بالرجم العلني ربما حتى الموت.

وعلي هذا النحو أفرغت رابطة الزواج من أسئلة السعادة أو المتعة أو التفاهم والانسجام والتحمل الطوعي لرفقة الحياة، لحساب الالتزام بالواجب، وربما ليس ابتغاء مرضاة الآخر بل مرضاة الله وإن يكن باحتمال الشقاء الذي فرضه علي عباده، ولعلمهم يدنون به من ملكوت السماء. والواقع أن الحياة تجري غالبا في غير هذا المجرى الذي لا يعترف قط بأي هامش يمارس فيه الإنسان حق الخطأ في الاختيار، وينضج وعيه ويتبدل بين مراحل عمره، كما لا يعترف بفضل تجربة العشرة في كشف خفايا النفس وقدرتها علي الاحتمال بالرضي والقبول، دون أن تفسد بالمداهنة الممقوتة والرياء الممجوج، أو باللعنات التي تصبها ليل نهار علي ما ابتليت به من لدن أقدار لا فكاك منها إلا بما يزيد الروح شقاء علي شقائها. ولا شك أن هذا ما يفتح الأبواب والنوافذ الخلفية والدروب السرية، لأن ينهل الإنسان أقدارا متفاوتة من دين الطبيعة القديم، أو

يحتال بالنفاق وكتمان الشعور علي القيود ، ويتواطأ بالصمت وبالزهو وبالتسلية علي المخالفة التي تبني الفضيحة ! .

ولاشك أن هذا الإطار الديني ، ما يفسر التربية التي تتلقاها بنات "هاكستابل" الست ، وتبدأ بتعويدهن علي ارتياد الكنيسة ، وحضور القداس ، والإمام بما قد يعتريه من أخطاء ، ولا ينتهي بالملاحقة - التي بدت هزلية ومملة معاً - بسؤال أي منهن إلي أين تذهب ومن أين جاءت . كما أن هذه التربية أبت أن تغفر ذلة في ماضي خطيب احدي البنات ، وأطاحت بالزيجة جملة ، وسوغت الصمت فيما بينهن غالباً ، وبين الغرباء دائماً ، وبهذا صرن عبئاً علي أنفسهن وعلي الأبوين ، وأشياء يرجى أن تتخلص الأسرة منها ، في سوق حكم علي بضاعتهم بالكساد . ومن ناحية ثانية إن قدمت هذه التربية زوجة ، نسجت علي منوال "كاترين" أو "أماليا" ، أولهما تتيه بنفسها فخراً لأنها تفضلت بالزواج من "هنري" ، وهي سليلة تجار الجملة في سالف الزمان ، والثانية يملؤها الغيظ فقط لأنها منحت رأس مال لزوجها لبني مشروع ، ولم تصادف غير النكران ، ولكن لا هذه ولا تلك سألت نفسها سؤال السعادة ، وما يمكن أن تعطيه في الزواج غير التجهم والتسلط واحتقار الجنس وسيرته التي بثها الشيطان في أعطاف آدم وحواء . ولذا لم تستطع "أماليا" أن تجيب "قنسطنطين" ، عم إذا كانت سعيدة معه ، قبل أن تلومه أو تنتظر منه الندم علي هجرانها ، أو سؤالها الغفران ، واكتفت بأنها تود فقط أن تؤدي واجبها نحوه في أيامه الأخيرة قبل أن يختم عمره بالموت ! . وفي السياق نفسه نجد الأنسة "شانسلر" التي يبدو أنها امتداد المرأتين وإن يكن في دائرة العمل ، وقد أوكل إليها مهمة الإشراف علي العاملات ومتابعة سلوكهن بما لا يشين عفتهم ، فتعيب أن يكون من هدف المرأة

السعي إلي رجل ، رغم أن العنوسة مخيفة وفق ما أملته عليها التوراة ، ولم تستطع إلا أن تتمسك بعناد بفضح الأنسة " ياتيس " ، دون أن تسمح في نفسها بأي مساحة للتسامح ، أو الفهم ومعاودة التفكير .

وعلى مستو آخر ، لم يستطع " هنري " أن يجيب سؤال السعادة من وراء فخره بالالتزام بالواجب ، ويعترف بأنه حين ألم به المرض وأقعده فترة ، وأتاح له فرصة التأمل ومراجعة حياته ، وجد نفسه يحسد " قنسطنطين " ، لأنه استطاع أن يشق لنفسه طريقا ليحقق ما يريد أو ينهل من السعادة ، ولو كان أحيانا طريق الأبواب الخلفية إلي السوق السوداء ، يتحرر من أعباء الواجب لمجرد أنه كذلك . كما أنه لا يكاد يستغني عن خدمات عانس كالآنسة " شانسلر " لا تفرق بين الرجال ، فكلهم عندها سواء ، ويتسلى بما تفجره من فضائح تنقل سيرتها إليه ! ، وهكذا تستدعي منظومة الأفكار نفسها ، النفاق الاجتماعي ، والازدواج بين ظاهر ، وباطن تتعدد فيه الاحتمالات وتتوه الحقائق في بيداء الأكاذيب والانتحال .

ولكن هل الإسلام الذي تحول إليه " قنسطنطين " ، قدم له - في الحقيقة - مبررات دينية لشخصيته ، أو مخرجا من مثالية المسيحية بما تفرضه من قيود ، وما تنداعي إليه في الواقع المشهود ؟ . الواقع أن الإسلام أقر بقصة الشجرة وعصيان آدم وحواء في الملكوت ، ولكن لم يقر بمبدأ الخطيئة الأصلية التي تلزمهما وتلزم نسلهما من بعد . إذ تقبل الله توبة آدم ولم تعد من نسله نفس تحمل وزر أخرى ، وكل تلزم أفعاله عنقه إلي يوم الدين . ولم يُدّن الإسلام الجنس إدانة تميز التبرؤ منه ، وتحين السبل للإفلات من وجهه المقوت ، لأنه أداة عمار الأرض ، وأقر بما ينطوي عليه من متعة يرجى لها ، وتخفف - في الوقت نفسه -

وطأة الواجب لحفظ النوع إلي أن يشاء الله . والإسلام بالتبعية لم يلعن "المرأة" ، ولم يحملها مسؤولية الغواية أو سقوط البشرية من قمم الملكوت ، وحرم قتلها أو أدها حية بتهمة أنها أنثى يخشى أن تأتي لأهلها بالعار والشنار ، وهي المتمم للنوع ، ومكلفة مثلما يكلف الرجل سواء بسواء ، فتسأل عمّ تفعل ، ولا يسأل دونها أبوها أو عمها أو خالها أو زوجها أو ابنها ، أو كائن من كان . وأدرك نبي الإسلام أن قطاعا من الأعراب - علي الأقل - يخنزل المرأة في الأنثى ويطأنها كالبهيمة ، فأبى عليها مهانة الصورة ، ودعا إلي الرفق بها والتلطف معا والتحبب إليها ، بما يرد إليها إنسانيتها ، ويعلو بالغريزة فوق مرتبة الحيوان ! . ولم يقر الإسلام - في السياق نفسه - بالرهينة ، وإن اعترف بما فيها من انقطاع للعبادة ابتغاء مرضاة الله .

وعلى مستو آخر ، أسس الإسلام الزواج علي نية الدوام ، وعلي رضي وقبول الطرفين لا رضي الأهل الذين قد ينتحلون لأنفسهم مسؤوليات لم يحلها الله لهم . ولكن الإسلام أيضا أقر بهامش الخطأ في الاختيار ونضج الوعي وتبدل الشعور ، فأحل الطلاق دون ربطه بما يتقل الأرواح والنفوس ، واكتفي بأن يقر أي من الطرفين باستحالة العشرة إلا مع الشقاء ، الذي لن تحمد قط عقبى دوامه . ولا شك أن سؤال السعادة والطوعية والارتياح ، حاضر بقوة في علاقة الزواج ، ومقاصد الدوام ، أما إن استحال العشرة بالمعروف والود والرحمة ، وكلفت النفس ما لا تطيق صبرا عليه ، وما لا يسعها احتمالها ، ففراق بإحسان ، دون حاجة إلي انتحار ، أو نكران ملة ، أو فضيحة تزكم الأنوف وتسلي تفاهة السامعين ، أو قضايا أساسها العناد والثأر تستدعي التحكيم ، ونيش أسرار النفوس ، أو الإذلال والتهوين ! .

وربما بدا الإسلام وكأنه أحل تعدد الزوجات بحجة الإمتاع ، وأباح للرجل اختزال نفسه في فحل طليق بين القطيع أو يغترف من الشهوة ما شاء بلا قيود ، مادام يقوى علي الشراء وتسديد النفقات . ولكن الإسلام قيد هذه الإباحة صراحة وبوضوح بشرط ، يعلم خالق الإنسان نفسه ، أنه محال: ألا وهو شرط "العدل" بين النساء ، وقال "إن لم تعدلوا فواحدة" ، ثم عاد ليؤكد ويقطع: ولن تعدلوا بين النساء . فالثانية تعنى - ببساطة - أن الأولى لم تعد ترضيه علي نحو من الإنحاء ، فأبي عدل يستطيع بين من أساءت إليه - افتراضا - وحملته علي تركها ، وبين تلك التي أقبل عليها راجيا أن تنقع غلته وتواسيه عن جرحه الأليم ، وتحسن الرفقة معه في شركة الحياة؟! ، أم هي شهوة لا يلزمها وضع كل أولئك في ميزان العدل والإحسان؟ . ولكن الإسلام - من قبل ومن بعد - ترك الإنسان حرا مريدا لا يقتحم سريره كائن من كان ليفرض عليه ما لم يشأ بالرضي والقبول ، حتى الله وإن سمح لذاته العلية أن يطلع علي ما تخفي الصدور ، لم يشأ أن يفرض شيئا ، ولو كان الإيمان به . وعليه فإن الإنسان ملزم بحاسبة نفسه وأن يسألها الصدق فيما تفعل وما تقول ، قبل أن يحاسبه سواه ويربكه بتخمين مقاصده ونواياه .

ولكن واقع المسلمين بنزعة التملك واكتناز المال والتباهي بالثروات ، وتفرقة الناس بالطبقات ، في مجرى التاريخ لم يختلف عن واقع المسيحيين ، فلم يكن لهذا شأن بالمسيحية ولا لذلك بالإسلام شأن . فشتان ما بين تكريم المرأة في الإسلام واحترامها ، واحترام إرادتها وخيارها لمن يبي بها ، وبين الاستبداد بها واحتجازها وتعليق إرادتها ، والاستهانة بشأنها ، إلا أن تعد وعاء للنسل وإجابة لوطأة الفحل وقت يجرها من قفص "الحریم" . وشتان ما بين مبدأ يكرم المرأة بما كرمها الله ، ومبدأ يستعبدها

ويبتذنها ويجهلها ويسفّه رأيها ، ومن بعد كل هذا يخشى أن يطأها سواه ، فتستجيب له كما استجابت لمالكها الهمام ، فطعنه في شرفه بلا ارتداع . وكلما اشتدت وطأة هذه الأوهام بالأذهان والنفوس ، تعاظمت أيديولوجية الخداع عنها ، مرة ببذل الغالي والنفيس لعله يملأ عين الأنثى التي يود لو كحلها بالتراب ! ، ومرة بأنها "حريم" يمنعه من الامتهان ، ومرة لأنها أمكر خلق الله وكيدها عظيم ، ولا يؤتمن مكرها إلا بغل يدها ولسانها وجسمها بأقفاص ليتها ذهبية محكمة الإغلاق . ولا يكاد يدري الرجل - في هذا السياق - أن نظرتة للمرأة وسياسة ترويضها علي هذا النحو ، وراء ما يثقله من هواجس بها ليل نهار ، فهو في الحقيقة يخشاها خشية الظالمين من أحابيل المستضعفين ، الذين يلدغونهم دائما- وفي نهاية المطاف- من حيث أرادوا الأمان . ولا يكاد يدري الرجل - في هذا السياق- أن هذه النظرة للمرأة ، وتلك السياسة ، وليدة القهر والتوسع في الأملاك والإمبراطوريات علي جثث المستضعفين وإهدار آدميتهم بسبي النساء ، اللائي تعدن لتدمير الممالك نفسها ، وبمثل ما ابتلين به من أدواء ، ولو كن في خدور القصور ، ومن وراء الحجاب ! .

وهكذا نجد في واقع المسلمين والمسيحيين معا ، سياسة تشويه وتربية اختزال للنوع الإنساني في الجنس ، لن تثمر إلا خوفا مقيما في النفوس من النساء بإزاء الرجال ، والعكس صحيح ، فيتحولن فقط إلي قنابل موقوتة باسم الإناث ، وسيان بعد ذلك أن نجدهن في "تل الدنمارك" أو في حدائق "فليمور" أو يعرضن في حفل أزياء في شارع "بوندي" أو تأتين من باريس ، أو يحتجن في أقفاص الحريم بطول وعرض سلطنة بني عثمان . وهنا وهناك أساليب مختلفة تعالج "الذكر" و"الأنثى" ، وتجعل من ظاهر كليهما متعة وباطنه عذاب وتضحى دائما بالإنسان ، وتبقي أزمة النفوس

متقدة حية في صراع خفي بين الرجل والمرأة ، لأنها تجعل من علاقتهما علاقة "فريسة- prey" ترتهن بمهارة "صياد- hunter" ولا مهرب- لاحقاً- من تبادل الأدوار ، وغالبا بالطعم نفسه أو السلاح .

والواقع أن "قنسطيطين" يبدو سيد هذه الرؤية ، "الفريسة- الصياد" ، يبسطها في إيجاز صريح مع ابنه "فيليب" ، ولا علاقة لها لا بمسيحية- كما رأينا- ولا بإسلام . وحين أبي استفزاز أخيه "هنري" ، للحديث عن مجرى علاقته مع "أماليا" ، وعن مصيرها المنتظر في تصفية الحساب ، بحجة أنه لا يجوز لنفسه كمسلم أن يأتي بسيرة النساء علي مسمع من الغير! ، إنما فقط يجمّل رؤية الفريسة والصياد . وحين أبدى استياءه من عرض الأزياء ، واستنكر سفور وتبرج النساء في شوارع لندن ، لم يعكس- في الحقيقة احترامه- للنساء ، فسرعان ما كشف الغطاء عن رعبه وضعفه- في الوقت نفسه- الممزوج بلذة الافتتان بالإناث ، رعب وضعف أفسد عليه حاله ومزاجه- لاحقاً- وهو يري "أنثى" تهز أمام عينيه ساقها ، في حافلة ، وهو في طريقه إلي ابنه ، فيصمها بأنها شيطان! ، لأنها كادت أن تتمكن منه . وبالذعر نفسه يحاجي بأن سفور وتبرج النساء في الشوارع ، ومحض مرآها يكفل أن يشتت ذهن الرجل ، ويشغله عن نصيبه من العمل ، ويحذر من أنهن ستؤدين إلي انسحاق أوروبا أمام يقظة الشرق . فقد احتاط العالم الإسلامي بسياسة "الحريم"- التي لا غرو أنها تعجب "توماس"- ضد فتنة النساء ، وضمن التوافر للعمل ، وبقاء همية الرجولة ، وحل مشكلة العنوسة ، بالزواج بالجملة ، وفي الوقت نفسه أوجد البديل المنظم للجنس العشوائي ، وكساه بالشرعية! . ومن العجيب أن أطياف الإسلام السياسي اليوم تستعيد الرؤية التي اجتذبت "قنسطيطين" في آخر القرن التاسع عشر ، بكليتها سواء في تشخيص الداء

أو العلاج أو الأهداف أو حتى العنوان ، واعتبروها تجسيدا ليقظة أو صحوة الإسلام ، مع الحلم بأقفاص الحريم لأرباب الشيطان! ، دون أن يجرؤ أحدٌ علي نقدها أو كشف ما تنطوي عليه من خلل جوهري ، أو حتى يشعر بما فيها من خلل ، فظلت اليقظة وحلول أسئلة الحضارة حبيسة في أقفاص الحريم .

ج- الخواتيم ومحنة النظام

علي أية حال ، يبدو مستحيلا فهم (بيت مدراس) ، وشخصياتها ، ولاسيما بطلها "فيليب" الذي يعاني أزمة روحية مكتومة ، جعلته عصي الفهم ، حتى علي صديقه "توماس" ، دون فهم التناقض الطبقي في ظل رأسمالية الاقتصاد في مرحلته الاحتكارية ، سواء بارتكازه علي التملك "possession" ، أو بما يتمخض عنه من آليات التطلع والصعود ، قد تفرض التحايل- من ناحية ثانية- علي الأفكار والقيم الدينية ، ودمجها بمفهوم الثمن وعقد الصفقات . فهكذا تبدو زيجة "قنسطنطين- آماليا" ، صفقة حصل فيها علي جانب من ثروتها ، لبيني مشروعها ، مقابل أن يجعلها زوجة كما شاءت ، ويمنحها جزءا من شبابها وفحولته ، قدره بنفسه بوصفه صيادا ماهرا لا أكثر .

ويعتقد الصياد نفسه أخذ "قنسطنطين" نصيبه من المتعة في السوق السوداء ، مادام بمقدوره أن يصطاد ويضع للفريسة الطعم الذي تشاء ، وليس بمقدوره أن يطلق أو يتزوج ثانية بحكم الأعراف والدين السائد . وقد كانت "ماريون" واحدة من هؤلاء ، بل كان كلاهما ينصب للآخر الشراك ، فهو يريد المتعة بما فيها من أسباب الأنوثة والجمال ، وهي تريد زوجا ثريا يجعل منها سيدة مجتمعة ، فلا حاجة لها في أمثال "بريجستوك" أو غيره من العاملين في دار الأزياء . وانتهت الصفقة إلي أنها خسرت

شرفها وجربت المتعة ، وإن لم تتوقع الحمل ، وعليها أن ترضى - في النهاية- بما سيجود به الرجل الشهم من تعويض . وهكذا أيضا تبدو زيجة "فريدا- بريجستوك" ، صفقة وإن لم تكن في جمال "ماريون" ولا أنوثتها ، ولذا لم تطمح لأن تكون أكثر من زوجة عادية ، ولا خيار أمامها إلا رجل مثلها ، رعديد وعديم المواهب ، يتمسك بعمله ويخشى دواعي الطرد منه والهوان في البحث عن سواه ، وليس بوسعه إلا أن يرضى بها . وكلاهما من بعد يرتضى أن يقسم بالتوراة علي الوفاء فيصدقه الآخر ويقطع الشك باليقين ، ولا أحد منهما يؤمن بصداقة بين آدم وحواء ، ولا بمقتضى معرفة طويلة بينهما من الإشفاق وتبادل الآراء! . وكلاهما لا يفكر رغم ذلك في الإنجاب ، لأن الظروف غير مواتية لتربية أطفال . وكلاهما في الظرف نفسه يقتر علي نفسه ما أمكن ليوفرا معا رأس المال الذي يبدأ مشروعا فيما تعودا عليه من تجارة الأزياء ، ولكن في زمن الاحتكار ورأس المال الكبير تحذر "ماريون" من أن يتلع السوق مدخرات الفتات . ولعل هذا ما دعا إلي أن يتمسكا بما اعتبرا افتراء من الأنسة "شانسلر" ، ويصعدا أمره إلي القضاء والمطالبة بالتعويض ، ولو كان فيه فضيحة "ماريون" علي رؤوس الأشهاد .

وفي جميع الحالات التزام في الخواتيم بما يقتضيه قانون الإنتاج والتسويق ، حيث تتعرض السلعة إلي عدة إصدارات في السوق ، وفي كل منها عملية تقييم ومحاولة توظيف واستهلاك ، و صفقة بيع وشراء ، ثم تصفية أوضاع تعود بها إلي المصنع مجددا ليعاد الإصدار . . وهكذا . وفي هذا الإطار يري "قنسطنطين" أولا الإذعان لابتزاز "فريدا" وإسكاتها بشيء من المال ، ومن ناحية ثانية إعفاء "بريجستوك" ، وبالتالي إعادة إصدار كليهما كأرباب مشروع في السوق ، يخضع للاختبار الذي حذرت

منه "ماريون". ويرى - علي مستو آخر - توجيه الشكر للآنسة "شانسلر" وأن يعاد إصدارها في السوق كعانس قادرة علي إثارة الفضائح!. ويرى ثالثا إعفاء "ماريون" - بلباقة وكياسة طبعاً - وعلي "فيليب" أن يضعها نصب عينه، لفترة من الزمن، وإعادتها - لاحقاً - إلي عمل في صناعة وتجارة النساء بمرتب أعلي، ومن ناحية ثانية يضع لها في البنك مبلغاً يعينها علي تربية طفلها منه!، ومن ثم يعاد إصدارها إلي السوق امرأة عاملة وخبيلة محتملة!. ولو استطاع "قنسطنطين" تصفية حسابه مع "أماليا"، بالمنطق نفسه لفعلها، إلا أنه لا يمكنه أن يدفع لها ما تنتظر من اعتذار وندم، ولا أن يسألها العفو، ولا أن يصحبها معه ويضمها إلي ما اعتبرهن حريمه في الإسلام، بعد أن عافتها نفسه من زمان. فأى من هذا ثمن باهظ جداً، ولا شأن له أيضاً بمنطق إدارة الصفقات وتقدير الخسائر والأرباح. وهذا ما جعله في النهاية يفقد صبره عليها، بغضب يستدعي "فيليب" ويذكره بما كان بين أمه نفسها وأبيه من شحنة، بينما تضطر "أماليا" للإفلات من المواجهة مهيضة الجناح... وبذا يعاد إصدارها إلي السوق، لا هي زوجة ولا هي أرملة، فقط امرأة عجوز، أقرب إلي تنويعه علي الآنسة "شانسلر"، ولا ينتظر أياً منهما إلا الدير!. وفي ضوء هذه الخواتيم التي لا شك فيها، يمكن التنبؤ بأن "توماس" - الذي أبدى إعجابه بطرح "قنسطنطين"، وبخاصة عالم "الحريم" - سيحل تناقضات علاقته بزوجته بين تقديره دورها في تحقيق مكانته الاجتماعية من ناحية، وخيانتها الدائمة لها من ناحية ثانية، مثلما فعل قنسطنطين، أي الهجرة إلي الشرق، وتضميد جراح ضميره الأخلاقي في قفص حريم، دون أن يعدم من يحتفي به تحت راية الإسلام.

وعلي هذا لم يدخل ضمن تصفية الحساب أي صيغة عن "الحب" أو

نحوه من المشاعر الإنسانية ، التي تعتمد علي التميز والارتباط الروحي أو النفسي . حتى الصداقة أفرغت من معناها المحتمل بين "فيليب- توماس" ، بعد أن أمكن تهديدها بالذكورة التي قد تنطلق بين إناث هذا أو ذاك ، وكان من باب أولى أن تفرغ من معناها بين "توماس- جيسكا" ، بعدما عجز عن الإصغاء إليها دون أي هاجس جنسي . وفي السياق نفسه أفرغت من معناها بين "ماريون- بريجستوك" ، بعد أن أجهض أي قبول أو تصديق لأن يشكو أي منهما للآخر في خلوة ، أو يبادله الرأي والمشورة ، أو يشفق به ويربت كتفه ، ويقبل جبينه ، فقد كان التصور حاضرا أن ثمة من وراء ذلك كله أو بعضه فريسة وصياد ، أو شيطان قابع يحرك الخيوط إلي خطيئة ، والعياذ بالله ! .

وفي السياق نفسه ، أفرغت الأبوة بشكل مباغت حين أوشك "قنسطنطين" أن يلعب لعبته نفسها مع "جيسكا" ، زوج ابنه ، بعدما احتاج لجمالها وأنوثتها ، لولا أنها أحسته بالغريزة نفسها ، وردته عنها بغلظة مكتومة ، فاضطر إلي الانسحاب قبلما يلقي الهوان ! ، وكان تعليقها عليه بعد رحيله لا يشي قط بأي ارتياح إليه . والواقع أن "قنسطنطين" لم يكن أباً قط إلا بالمعنى البيولوجي ، بوصفه ذكرا ، وهو معني لا يربي قط ضميرا أخلاقيا في عالم الحيوان . ولعل هذا المعني نفسه ما دفع "فيليب" إلي إفراغ الأمومة من معناها الذي يوجب الاحترام والمودة علي الأبناء ، مادمت تعتمد فقط علي الرابطة البيولوجية . وبالتالي لا ينبغي أن تنتظر "آماليا" ، لا منه ولا من زوجته شيئا مما تراه حقوقا طبيعية ، فبالإضافة إلي أنها لم تكن أمّا حتى بالمعنى البيولوجي ، فالطبيعة لم ترتب شيئا من مثل هذه الحقوق ، وإلا رتبها في عالم الحيوان ، ومن ثم يرى أن الأمومة بمعناها القديم ، قد لا تعدو أن تكون امتلاكا جميلا ! . والراجح أن

"فيليب" يعني أن علاقة التملك لا تفرض أصلا أية مشاعر إزاء المالك من المملوك، لأنها تعني ابتداء بمصادرة إرادته الحرة وتحويله إلي شيء - وهي تلك الظاهرة التي ستعرف بالتشيعي "objectifying"، في الدراسات الفلسفية لاحقا- يمكن فقط التباهي به، إذا كان في ثمنه ما يستحق التباهي والافتخار، في دنيا الامتلاك!

وعلي هذا النحو يبدو "فيليب" - الذي يدرك تماما أن آراءه غير تقليدية، وقد تبدو صادمة للسائد- في معاناة روحية حقيقية، تستشرف معنى مختلفا وجديدا للعلاقات الإنسانية وتتجاوز محنة النظام بينما يتأمل بلا شك عالم عمه "هنري" في تل الدغرك، أو عالم أبيه، أو العاملين والعاملات في الشركة، أو تجربته مع "جيسكا". ويؤكد "فيليب" أزمته منذ البداية في إطار مواقفه مع "توماس"، بنزوعه إلي الترشيح في مجلس المقاطعة، والتخلي عن منصبه في إدارة الشركة، مع أنه يمكنه الجمع بينهما، ويزيد دخله لا أن ينقصه بإرادته، كما أن "ستات"، مالك الشركة الجديد، لم يطلب منه هذه الخطوة. والواضح أن "فيليب" لا يرضيه الواقع بكل أبعاده، ولا يمكنه في الوقت نفسه أن يهجره ويرحل عنه، فعالم صناعة النساء بما ينظمه من دلالات يصيبه بالتقزز، ووضعه- بالنهاية - إزاء أب لم يستطع إلا وصمه بالشیطان حين تبين دوره الخفي في أزمة "ماريون". ومن ناحية ثانية لا يمكنه الرضاء عن بنيته الطبقيّة، بما تنطوي عليه من انتهازية واستغلال، وتعيد تصنيف الناس بين فريسة وصياد، علي نحو ما في الغابة، لا كما يليق بالبشر. وترسخ في نفسه النفور من هذه البنية منذ فجر حياته العملية إبان كان معنيا بإلقاء محاضرات أدبية عن "شيللي" - فيما يقول لزوجته- واستمع إلي شكوى رجل من العامة صحبه بالقطار، وكان فريسة لآخر، فأحس بالحنج من

مصارحة الرجل نفسه بمساعاه ، أو محاجاته به . ومن ثم خلص إلي أن الفن والأدب قد يلطف الإحساس بالواقع غير المحتمل عند أبناء طبقتهم ، كما تصرح زوجته ، ولكنه لن يقدم حلا حقيقيا أو زائفا لأسئلة الواقع الذي يتنفسه الفقراء أيضا ، في ظل ظروف منحطة ولا إنسانية . ولعه استنكر - مع الاعتراف بأدميتهم - أن يهملهم ويزدرهم ، أو يولي عنهم لشأنه الخاص ، في أنانية تخصم من إنسانيته . وهذا ما يفسر - علي مستوي آخر - اهتمامه في مفتتح الفصل الرابع بمشكلة الفقر والقوانين التي توضع لهم ، ويفسر رغبته في العمل السياسي من خلال مجلس المقاطعة .

ولكن خيار "فيليب" الذي يعكس بلا شك مفهومه عن المصلي الأبيض ، يقتضي التضحية بمستوى المعيشة الذي اعتاده واعتادته "جيسكا" في الوقت نفسه ، ويقتضي أن ينهي علاقة ابنته بالمدرسة باهظة التكلفة والتي لا تتعلم فيها شيئا نافعا إلا تربية الزهور ، في سياق لمسة الجمال التي تصنع منها أنثى - في طبقتها - لا أكثر ، ويقتضي من ناحية ثالثة أن تتمرد "جيسكا" بالتبعية علي التربية نفسها ، وتجذ لنفسها عملا منتجا ، وبالطبع يجيئها أن تسأل عمّ يمكن أن تشغل به ؟ . ولما كانت الخيارات صعبة ، وتشكل محنة داخل النظام المألوف أو السائد ، وقد تؤدي إذا اكتست بالعناد إلي تدمير الأسرة ، وإن كانت - في الوقت نفسه - لها أهدافها التي تصب في اكتمال الشرط الإنساني ، وتجاوز ما في الاختزال الجنسي من المخطاط مقزز ، فإن "جرانفيل باركر" لا يحسمها ، وينهي عمله علي نحو متعمد باستمرار المناقشة بين الزوجين ، وكأنه يصدرها أيضا إلي جمهوره ليدلي بدلوه في أبعادها وأهدافها ، نحو بناء مستقبل أرقى . ولكن الواقع انصرف - برغم من ذلك - إلي غير ما أراد "فيليب" ، فانتعشت صناعة النساء وتطورت باطراد علي نحو مذهل بتطور المعرفة التقنية واطراد

النظام الاقتصادي إلي درجة التثيؤ ، وانتعش في المقابل الطب النفسي
ليعالج العجز عن التكيف كما يعالج أمراض استنفاد طاقة
الاستهلاك !!.

قدمت مسرحية (بيت مدراس) علي مسرح "دوق يورك"، مسرح "تشارلز فرومان" للذخائر الفنية في مساء التاسع من مارس سنة ١٩١٠. من إخراج جرانفيل باركر.

الشخصيات وتوزيع الأدوار:

رقم	اسم الشخصية	اسم الممثل
١	هنري هاكستابل - Henry Haxtable	إي و، جاردن - E. W. Garden
٢	كاثرين هاكستابل - Katherine Haxtable	الآنسة فلورانس هايدن - Florence Hayden
٣	لورا هاكستابل - Laura Haxtable	الآنسة آدا ماريوس - Miss Ada Marius
٤	ميني هاكستابل - Minnie Haxtable	إليزابيث تشسني - Elisabeth Chesney
٥	كلارا هاكستابل - Clara Haxtable	الآنسة جوي شاتوين - Miss Joy Chatwin
٦	جوليا هاكستابل - Julia Haxtable	الآنسة فيكتوريا آديسون - Victoria Addison
٧	إيما هاكستابل - Emma Haxtable	الآنسة سيبل ثورنديك - Sybil Thorndike
٨	جين هاكستابل - Jane Haxtable	الآنسة نيل كارتر - Miss Nell Carter

تشارلز بريانت - Charles Bryant	رائد هبسلي توماس - Hippisly Thomas	٩
دينيس إيدي - Dennis Eadie	فيليب مدراس - Phillip Madras	١٠
الآنسة فاي ديفيز - Miss Fay Davis	جيسكا مدراس - Jessica Madras	١١
سدني فالنتين - Sydney Valentine	قسطنطين مدراس - Constantine Madras	١٢
الآنسة ماي وايتي - Miss May Whitty	أماليا مدراس - Amelia Madras	١٣
آرثر وتبي - Arthur Whitby	يوستاس بيرن سقات - Eustce Berrin State	١٤
الآنسة ماري جيرولد - Mary Jerrold	ماريون ياتيس - Marion Yates	١٥
لويس كاسون - Lewis Casson	بريجستوك - Mr. Brigstock	١٦
الآنسة ماري بارتون - Mary Barton	مدام بريجستوك - Mrs. Brigstock	١٧
تشارلز مود - Charles Maude	ويند لشام - Windlesham	١٨
دونالد كاثروب - Donald Calthorp	بيلهافن - Belhaven	١٩

الآنسة أستا فليمنج - Miss Asta Fleming	ثلاثة عارضات أزياء Three Mannequins	٢٠
الآنسة مير فوجن - Miss Mair Vaughan		٢١
الآنسة ماري برندا - Miss Mary Brenda		٢٢
الآنسة ميللي إمدن - Millie Emden	خادمة في تل الدنمرك	٢٣
الآنسة إفتانجلين هيليارد - Evangeline Hilliard	خادمة في حدائق فيليمور	٢٤

* هذه الترجمة من طبعة: New York: Mitchell Kennerly Mcmxi-

1911

(الفصل الأول)

(عائلة "هاكستابل"، تعيش في تل الدنمرك، أما "هاكستابل" فهو الشريك الباقي علي قيد الحياة من شركة الأزياء الشهيرة التي أسسها مع "روبرتس"، في باكنهام، والموقف الآن بجانب أنه مفيد صحيا، فهو أيضا ملائم. وها هنا بيت جديد اشتراه "هاكستابل"، نصف منتهيا، ولذلك فداخله يكاد يوحى بخارجه، وقد قال البناء إن المرء يمكن أن يصفه بأنه وفق الأسلوب المتبع في عصر الملكة "آن"، الذي ينتمي إليه السيد "هاكستابل"، بعدما أوما بعينيه إلي الطوب الأحمر الذي يتقاطع مع حلي حجرية، فيبدو منقطًا، وهكذا كان يبدو أيضا من الداخل حيث كانوا يعيشون جميعا. عبر الحائط المنقط علي هذا النحو، الباب الأمامي ذو الكتل البارزة، والذي يتخلله الزجاج الملون، إنه يفضي إلي صالة ضيقة ومظلمة بلا داع، ولكن لها سفلى من الفسيفساء الأبيض والأسود للنظافة. علي اليسار سلم بجدار محبب أيضا ومنقط، وعليه سجادة من بروكسيل، وقد ثبتت بقضبان من النحاس ملتوية. وعلي اليمين غرفة الاستقبال التي بالكاد تعبر عن شخصية السيد "هاكستابل". أما التأثيث فوفق ذوق السيدة "هاكستابل". ومنذ خمسة عشر سنة أو نحو ذلك، أقحم علي مكان هذا المتحف العائلي إضافات تمثلت في الأنسات "هاكستابل" الست: "لورا-Laura" وعمرها تسعة وثلاثين سنة، و"ميني-Minnie"، "كلارا-Clara"، "جوليا-Julia"، "إيما-Emma"، و"جين-Jane"، وعمرها ستة وعشرين سنة.

خزانات من خشب الورد، في شكل صورة من إحدى الأكاديميات من أوائل السبعينيات، ولكنها معنونة بتاريخ سابق، ويبدو علي الأرجح أنها هدية زفاف. وهناك هدية زفاف أخرى عبارة عن ساعة ذهبية تتخذ

شكل شكسبير برأسه الضيقة ، ولكن لها زوج متقن الصنع من السيقان ، وأسندت علي نحو لا يخلو من إجلال وتقديس تحت قبة زجاجية . وهذه كانت كنوز السيدة "هاكستابل" في حجرة الاستقبال الأولى ، وعزاءها فيما بعد أيام شهر العسل المملة . لقد كانت ابنة لتاجر جملة في المدينة مقابل تجارة زوجها بالقطاعي ، ولكن في السبعينيات حتى تجارة القطاعي كانت ترفع الرؤوس . وما يوضع في الاعتبار مع ذلك ، أن "كاترين تومبس" ، قد منحت بعض الامتياز للشاب "هنري هاكستابل" ، بالزواج منه ، وحتى الآن كسيدة بدينة تقترب من الستين ، تتصور أنها بحفيف ثيابها ، ومعيار صوتها الرخيم ، مع العبارات التي تنتقيها بعناية ، أنها مصدر كرامة العائلة .

إن الاختلاف بين واحدة من أنسات "هاكستابل" ، وأخري ، يبدو للعين العابرة كالاختلاف بين قلم رصاص وآخر ، بينما ترقد هذه الأقلام علي منضدة امرئ بعد استخدام أسابيع . . مسألة فارق طول البري ، أو اللبس . أما امتياز "لورا" فيكمن في كونها مدبرة المنزل ، إنها القوة الصلبة المستمدة من تنظيم العشاء . إنها دائمة الصمت ، وبينما أخواتها صامتات مع الغرباء ، هي صامتة مع أخواتها . ولا تبدو أنها تقرأ كثيرا ، وأمنية واحدة تحلم بها ، لو خاضت مغامرات شرسة مع مكنسة سجاد جديدة . وحين عانت العائلة بعض المرارة في الصيف ، بسبب الموقد ، وما إذا كان ينبغي تغيير نبات السرخس^(١) ، أو المظلة الصينية ، كان من رأي "لورا" ، أن المظلة الصينية تجمع أقل الغبار الذي ينتجه اليوم . أما "ميني" ، و"كلارا" ، فقد مالا إلي التدين ، لا بشكل عاطفي ، فالأفعال معهم

(١) نبات السرخس بلا أزهار ، وله سعف يبدو مورقا أو ذا ريش . ويعاد إنتاجه بأجزاء تستمد من الجوانب السفلية للسعف . كما أن له نظام وعائي لفل الماء والمواد الغذائية .

و "كلارا"، فقد مالا إلي التدين ، لا بشكل عاطفي ، فالأفعال معهم لحظة جود للإيمان . وتبدلتا مع ذلك أخيرا ، من زيارة رئيس المقاطعة لحساب البعثات التبشيرية . . البعثات إلي الصين أو بلاد الصفصاف (وكلاهما واحد تقريبا) فنتائج الأعمال الصالحة لا يمكنهم أن يروها . وقد امتنعوا- بسعادة- عن السؤال عم إذا كانت تبرهن علي نوع من الرضاء الروحي الزائد .

أما "جوليا" ، فقد بدأت حياة ، ويمكن أن يقال إنها تركت المدرسة باعتبارها عبقرية . وكان لناظرة المدرسة عامين أو ثلاثة مع أمثال هؤلاء البنات الغيبات ، حيث لم تستطع أن تقاوم هذه الإثارة . ولكن رسومها بالألوان المائية كانت متوسطة . ولذا ارتدت "جوليا" الثياب المخملية البنية ، وأرسل بها إلي مدرسة فنون ، حيث لم يتركوها أبدا ترسم بالألوان المائية . وفي سنتين تعلمت ما يكفي عن تجارة الفنان ، وليس أبدا لتصنع رسوم الألوان المائية مرة ثانية . تجاوزت "جوليا" الآن الثلاثين ، وهي تعسة جدا . ثلاثة من رسومها المائية الأساسية المبكرة ، معلقة علي حائط غرفة الاستقبال ، وتسبب لها الخزي ، ولكن أمها لا تريد أبدا أن تنزلها . وفي الأجازة ، ستحاول "جوليا" ، بين وقت وآخر أن تجعله يوم تخطيط ، ولكنها تصرخ وتبكي أحيانا ، بينما تمزق المحاولة غير المجدية ، في أن تري علي الورق الأشياء التي تعلمتها . كانت "جوليا" ، "إيما" و "جين" ، من اتفقن منذ بضعة سنوات مضت ، علي تقديم أهمهم بهذا الركن المريح الواضح بشدة . ركن مريح ويعد فيما يبدو أداة ليكون ما تمنع طبيعة الركن نفسها أن يكون . لقد أرهقن أنفسهن ماليا ، ولكن ما سوغ لهن ذلك أن السيد "هاكستابل" ، كان أكثر إسرافا بشأن نفقات ثيابه ، ثم أمكنهن علي الأقل أن يتحملن شيئا ليس قبيحا تماما . و "إيما" ، واعية

بجال "جوليا"، جرت إلي حد بعيد وراء المعاطف والجيبات والذوق العام. وأمکن أن تكون ناجحة في مكتب، وربما تستحق ثلاثين شلنا أسبوعيا. ولكن العائلة لا تحتاج ثلاثين شلنا أخرى أسبوعيا، وهذه الهدية تددت كما كان متوقعا، ولذا تحولت "إيما" أيضا إلى عنف المزاج. أما "جين"، فشرسة قليلا، وإن يكن بشكل وديع بما يكفي. وإن كانت سلطة السيدة "هاكستابل"، في تطبيق كايح التربية الجيدة، قوية بما يكفي بشأن البنات الخمس، فقد انحسرت في المحاولة السادسة علي "جين"، التي تقدم لخطبتها بالفعل مرتين شابان غير مرغوبين تماما. وحققة أنها الآن كبيرة بما يكفي للكل، تشكل أمرا صادما ومزعجا للعائلة. وتمر أعياد الميلاد، ويبدو احتفالهن أقل تأكيدا، فلا أحد يود أن يصدق أن السنوات تمضي، حتى صاحب المناسبة نفسه، يغدو أقل قدرة علي التهرب من مغزاها، فيضحك ولا يلبث أن يغير الموضوع. ولذا فإن الأنسات هاكستابل لا تسأل إحداهن الأخرى أبدا بشكل صريح، عم قد يعنيه زواج الصغرى، وربما لا تسألن أنفسهن أبدا. إلا أن "جين" لم تتزوج، ولكن لو فعلتها- ما لم تهرب- ربما- لتفعلها، سيكون ثمة سبر للقلوب علي الأقل. وبالرغم من ذلك فقد سأل السيد "هاكستابل"، ذات صباح باكر، قبل أن يأخذ حمامه الدافئ الذي يكاد يرضيه: إن لم تتزوج البنات ذات يوم، فماذا تفعلن؟ الأمر لا يبدو وكأنهن تدخلن إلي دكان. وأجابته السيدة "هاكستابل": لا، الحمد لله.

ومنذ مرضه، راح السيد "هاكستابل"، يسأل أسئلة عديدة، عن أي شخص وأي شيء، وعن نفسه غالبا عن الكل. ولكن برغم ذلك المرض، كان من نوع أصحاب المحلات الناجحين التقليديين بما يكفي، يتغذى بنخشونة، سميئا قصيرا، وذا شارب كث. ولكن ثمانية عشر

شهرًا من العناية والغذاء المقنن والعزلة عن العالم، أضفت - فيما يبدو - لطفًا عليّ صوتته، ولمحة فكهة إليّ عينيه، وطفولة عليّ اندفاعات مزاجه القليلة... وأضافت - في الحقيقة - تلك اللهفة التي جعلته إجمالًا عجوزًا محبوبًا عتيق الفكر والأطوار. إننا في صباح يوم أحد، يوم مشرق من أيام أكتوبر، والعائلة مازالت في الكنيسة. غرفة الاستقبال خالية، يفتح الباب وتكشف الخادمة - ذات المئزر وغطاء الرأس - عن "فيليب مدراس" وصديقه الميجور "هيسلي توماس". "توماس" طويل الساقين، وتصرفاته متمعدة يتحرك عبر الغرفة إليّ النوافذ الفرنسية الكبيرة التي تفتح عليّ شرفة، تطل عليّ الحديقة، والعديد من الحدائق بعدها. "توماس" رفيق طيب. أما "فيليب مدراس"، فأكثر تعقيدًا من ذلك. وابتداءً، من الواضح أنه ليس إنجليزيًا فيما يتعلق بملامح معينة في شخصيته: التوهج ولون الصوت، والميل إليّ الميتافيزيقا في أحاديثه، كل أولئك يكشف عن - ربما - أصول شرقية. إنه طيب في السلوك، ولكنه بارد إليّ حد كبير، قادر عليّ التعامل مع قليل من التقاليد الإنجليزية... العاطفة المصقولة بالثقافة. في الخامسة والثلاثين من عمره، وأصغر بسنة أو اثنتين عن صديقه. تؤمن الخادمة قبة "توماس"، وتتنصب ممسكة بها. بينما "فيلب" يتجاوزها إليّ الغرفة، ويسأل:-

فيليب: منذ متى؟

الخادمة: خلال دقائق قليلة من الآن، هذا ما ينبغي أن أقوله يا سيدي. أوه، ألا ينتهي هذا اليوم بأن يكون الأحد

الثالث في الشهر؟

فيليب : لا أدري . "تومي" ، أليس كذلك؟

توماس : (من عند النافذة) لا تسألني . حسنا .. أعتقد يمكن أن

أخبرك (يفتش بصورة غامضة عن مفكرته)

الخادمة : لا ، لا أعتقد أنه كذلك يا سيدي . فلو أنه الأحد الثالث

فإن بعضهم سيتوقف للمشاركة في العشاء الرباني ،

وهذا سيؤخرهم عن العشاء ، ولكن لا أعتقد أنه كذلك

يا سيدي . (تراجع نحو الباب ، وتعلق القبعة علي

المقبض)

فيليب : أمازالت أمي تقيم هنا؟

الخادمة : السيدة "مدراس" ؟ ، نعم يا سيدي . (تختفي الخادمة

بعدها تحل القبعة . وعقب ذلك يدخل بسرعة شديدة

فيما لا بد وأنه بحاجة مقطوعة)

فيليب : حسنا ، عزيزي "تومي" ، ما هما الأمران بالغا الأهمية

في شخصية الرجل؟ ، موقفه من المال ، وموقفه من

النساء .

توماس : (يستبطئه بشكل لا يخلو من ضحك) نعم ، أنت مشحون

بالتعاليم الأخلاقية . لماذا السلوك نحو المال ، كما لو أنه

لم يوجد؟، إنني لم أقل أبدا لا ترتبط بمجلس المقاطعة .

فيليب : (بتعمد ، ولكن في تنفس عميق) من المستحيل تماما لأي رجل محترم ، أن يمشي بعين مفتوحة من " وترلو " ، إلي " تل الدنرك " في صباح يوم أحد ، دون أن يتمني ليّ الدعم في مجلس المقاطعة . (" توماس " يحصن نفسه في الأريكة)

توماس : لديك ما أدعوه بعقل المصلح ، ولا ينبغي أن أكرسه يا فيليبي . " هذا العقل يجعل الرجل تعيسا وساخطا ، ليس بنفسه ولكن بالناس الآخرين . تأكد . . وقد يجعله مغرورا ويضعه خارج شروط السواء من كلا الجانبين . لا تتخيل أنك يمكن أن تجعل هذه البلدة أفضل بمجرد تنظيمها .

فيليب : (بتقلب أهواء) ولكني مهتم جدا بإنجلترا يا " تومي " .

توماس : (دون أن يخلو رده من فكاهة) كلنا كذلك . ولكننا جميعا لا نحتاج إلي أن نقوله . حتى أنا أستطيع أن أهتم بإنجلترا ، فيما أعتقد ، ومع ذلك ينبغي أن ألتزم بالجيش وأبذل جهدي لأكسب العيش والعسل للزوجة ولأربعة

أطفال .. وليس مما يسؤني أن أكسبه لِنفسي . أقول لك ، لو أن كل امرئ اعتنى بنفسه وبعائلته ، وعاش حياة تقية ، مستقيمة وجادة .. معذرة ، ولكن يوم أحد انجلترا يمكن أن يمضي ببصيرة ملعونة ، أفضل مما يفعل بكل أشكالك من التدخل . (يضطجع . بينما يثبت " فيلب " عيناه علي مسافة بعيدة)

فيليب : بلد خليط ! .. غريزة المرء الأولي أن يكون خطيبا عنها .. أن يكتب شعرا وينفس عن مشاعره . اعتقدت ذات مرة أنه يمكنني التضحية بنفسني .. أقدم بضائعي لمسكين ، وأتفقد أحياء الفقراء .. أحتفظ بروحي الخالدة التي مازالت متسامية . ثمة شيء خطأ في العالم يا "تومي" ، شيء يأخذ رجلا مثلي ، كل وقته ليكتشف أن خبز الناس مطلوب ، وليس إما كعكا أو فتات .

توماس : بل هناك خطأ في الإنسان إذا ما فكر في الناس كما لو كانوا نملا علي كوم نمل .

فيليب : (يسترخي لبيتسم) هذا حقيقي تماما يا "تومي" . ولكم أحب أن أجري حوارا طيبا معك فعاجلا أو آجلا تقول

دوما شيئاً معقولاً .

توماس : شكراً! ، أنت مهذب ملعون .. وكالعادة .. خرجنا مباشرة عن الموضوع .

فيليب : فن الحوار!!

توماس : (خجلاً من الحكمة الدارجة) لتمض إلي مجالس المقاطعة الست ، إذا أردت . ولكن لِمَ تطيح بسبعمائة جنية ومنصب المدير ، لو أن الولاية أرادتك أن تحتفظ بهم؟ ويمكنك أن تضاعفهم أو أكثر .. بل وتدير المكان إذا أردت المطالبة بالإدارة .

فيليب : (بترفع تقريبا) "تومي" إنني أحتقر شركة "مدراس" . يمكن لـ "ستات" أن يشتريه ، ويفعل به ما يشاء .

(تصل "لورا" ، و "جوليا" . إنهما أول من يصل من الكنيسة . بفساتين وقبعات يوم الأحد ، وأفضل القفازات ، والمظلات ، وكتب الصلوات)

جوليا : أوه ، يا لها من مفاجأة!

فيليب : نعم .. نزلنا . آه ، أنتم لا تعرفونه . دعيني أقدم لكم الرائد "هيسلي توماس" .. ابنتا عمي ، الأنسة "جوليا

هاكستابل"، والآنسة "لورا هاكستابل"

جوليا: كيف حالك؟

توماس: كيف حالك..

لورا: كيف حالك..

جوليا: هل جئت لتري العمة "أمي"؟

فيليب: لا.. أباك

جوليا: سيرجع معها.. أخشي أن يكونا الأخيرين.

لورا: هل ستبقي للعشاء؟

فيليب: لا.. لا أعتقد

لورا: من الأفضل أن أخبرهم أنك لن تبقي. ربما يعدون لك

مكانا..

(تخرج "لورا"، متفادية بشكل مهذب أن تصطدم مع

"إيما"، التي تتبدى في مثل مظهر الآخرين، وتدخل في

اللحظة نفسها)

فيليب: أهلا.. "إيما"!

إيماء : حسنا . . يا للمفاجأة!

فيليب : أنت لا تعرفينه . . الرائد "هيسلي توماس" ، الأنسة "إيما
هاكستابل" . . .

توماس : كيف حالك؟

إيماء : كيف حالك؟ هل ستبقي للعشاء؟

فيليب : لا ، لن نستطيع (هذه الصيغة تكتمل للمرة الثانية ،
فينوع في الشرح) لقد أحضرت "توماس" سيرا ليساعدني
فقط في أن أنقل إلي عمي "هنري" ، قليلا من الأخبار .
أبي سيعود إلي إنجلترا غدا . .

إيماء : (بفم مستدير) أوه!!

جوليا : إنه صباح جميل للتجوال ، أليس كذلك؟

توماس : رائع في شهر أكتوبر . . (هذان الاثنان ينظران أولا
أحدهما للآخر ، ثم لخارج النافذة . تحديق "إيما" بتساؤل
إلي "فيليب")

إيماء : أعتقد أنه يعرف . .

فيليب : من النوع الذي يعرف . .

إيمـا : لماذا تبدو غريبا يا "فيليب" ؟ ("فيليب" يتهلل كثيرا مع
"إيما"، عن الأخريات)

فيلـيب : "إيما" . . لقد أغريت غريبا بالمناسبة كي يكون حاضرا ،
ولذا لن يستطيع أبوك وأمك - من قبيل الاحتشام- أن
يخوضا معركة عائلية معي مرة ثانية . أعرف أن في الأمر
حيلة ومكرا ، ولكننا أردنا السير معا . كما أن هناك
اجتماعا في الغد .

جـين : (تترقق عبر الباب) أنت؟؟ يا أمي ! (تستدير إلي
الصالة ، ومن الصالة يأتي صوت السيدة "هاكستابل"
الفخم: نعم يا "جين"!) ابن العم فيليب!
(تهل السيدة "هاكستابل" ، وتكتف كل التحيات العائلية
في واحدة)

م. هاكستابل: يا للمفاجأة!! . . هل ستبقي للعشاء؟

إيمـا : (متيقظة لفضول في الكلام مؤكدا) لا يا أمي . . لن
يستطيعا .

فيلـيب : يمكنني أن أقدم صديقي . . الرائد "هيسلي توماس" . .
خالتي السيدة "هاكستابل" .

م. هاكستابل: (بهيبة وترفع) كيف حالك مييجور "توماس"؟

فيليب: "توماس" هو مدير فرع شركة السيد "يوستاس ستات"،
في لندن .

توماس: كيف حالك؟

(السيدة "هاكستابل" تأخذ مقعداً ذا مساند، بروح من
ترتقي عرشاً، ومن هذا الموضع الممتاز تشرع في محاوره
مهذبه . توزع بناتها أنفسهن، وكذلك "فيليب"،
و "توماس")

م. هاكستابل: لست في الجيش إذن، يا مييجور "توماس"؟

توماس: كنت في الجيش ..

إيماء: "جيسكا" بخير تماماً يا "فيليب"؟

فيليب: نعم .. أشكرك .

إيماء: و "ميدررد"؟

فيليب: بخير .. لقد عادت إلي المدرسة .

م. هاكستابل: خريف دافئ بشكل رائع، أليس كذلك؟

توماس: بالضبط ..

م. هاكستابل: هل تعرف تل الدغرك جيدا؟

توماس : ليس تماما ..

م. هاكستابل: عشنا دائما هنا . أحسب أن المكان صحيّ ، ولكن لندن مكان صحي فيما أعتقد . أوه! عفوا .. ابنتي "جين" ..

جين : أهلا بك (يتصافحان بالأيدي بشكل رسمي . "إيما" بتعقل تذهب إلي النافذة لتنشيط الأجواء)

إيما : لدينا حديقة رائعة جدا ، وهذا شيء واحد ..

توماس : (ليس بريئا كلية من محاولة الهروب من مضيفته ، يخطط للنافذة أيضا) لاحظتها . أنا تواق للحدائق .

م. هاكستابل: (وقد تشتت انتباهها بخطى "جوليا" ، نحو الباب) إلي أين يا "جوليا"؟

جوليا : لأصعد بجاجياتي ، يا أمي .. (ترحل "جوليا" . حين كن فتيات صغار جدا ، كانت السيدة "هاكستابل" تسألهن دائما: إلي أين؟ عندما تتركن الغرفة ، وأين كنتن؟ وقتما تدخلن إليها ، ولم تسقط قط هذه العادة . أما هن فاستأن فقط منها ، بالصبر البالغ في ردودهن)

إيماس : (باستمتاع) ذلك قصر الكريستال .

توماس : حقا؟ (يتطلع كلاهما بتقدير بالغ إلي هذا المعلم الشهير . وقد اكتسب سكان تل الدغرك اهتمام التملك تقريبا نحو قصر الكريستال والغرب . وبعد تتحدث السيدة "هاكستابل" بصرامة مفاجئة لابن اختها)

م. هاكستابل: "فيليب" ، أنا لا أزج بصحة أمك في كل شيء

فيليب : (بشيء من اللين) ليست كذلك ، خالتي "كات"

م. هاكستابل: (معترفة بعدالة الرد السريع) هذا صحيح .

فيليب : عمي "هنري" ، يتحسن للأفضل فيما أظن

م. هاكستابل: أفضل بما يكفي الآن . أنا نفسي أصبت بنزلة برد

خفيفة . أحقا سيظهر أبوك مرة أخرى في إنجلترا؟

فيليب : نعم . . كان زاهدا فحسب ، وسيصل غدا

م. هاكستابل: أنا آسفة

جين : أمي! (تقذف السيدة "هاكستابل" أسفها بمثل الصرامة

المضاعفة التي احتجت بها "جين" . علي أية حال في

اللحظة نفسها يصل السيد "هاكستابل" نفسه بابتسامة

سارة)

هاكستابل : آه ، فيليب .. كان لدي فكرة إنك ستأتي .. ستبقي للعشاء . "جين" .. أخبرني عمته .. إنها تخلع غطاء رأسها .. ("جين" تطيعه . يلمح ظهر الرائد في الشرفة) من بالخارج؟

فيليب : "هيسلي توماس" ، كان لدينا رغبة في المشي . لا نستطيع البقاء ..

هاكستابل : أوه!!

م. هاكستابل : هل جئت في شغل؟

فيليب : حسنا ..

م. هاكستابل : يوم الأحد؟

فيليب : ليس تماما .. (تهز رأسها باستهجان متجهم . يأتي "توماس" من الشرفة)

هاكستابل : كيف حالك؟

توماس : بخير يا سيدي .. كيف حالك؟

هاكستابل : بخير ، صباح رائع ، أليس كذلك؟ فرصة سعيدة ..

رأيت قصر الكريستال؟ (بينما يستدير "توماس" بأدب تام ليري هذه الظاهرة مرة أخرى ، يسترضي "فيليب" خالته)

فيليب: سترين يا خالتي "كاثرين" ، أن لدينا في ظهيرة الغد المؤتمر الحقيقي الأول مع السيد "ستات" ، حول شراء الشركتين ، وسيمر أبي في إنجلترا ثانية ، ليحضر المؤتمر .

م. هاكستابل: طبعاً يا فيليب ، إن كان هذا عملاً ، فأنا لا أعرف عنه شيئاً . ولكن أليس من المقترح أن يحضره عمك أيضاً؟ (يتمتع صوتها بجاذبية جديدة . ويصبح فيليب متشياً جداً ، وكذا السيد "هاكستابل" ، الذي يعود لينضم إلي المحاورة)

فيليب: بشكل طبيعي ، يا خالتي العزيزة ..

هاكستابل: ما الأمر؟

م. هاكستابل: (الكلمة الواحدة التي تعبر عن حجم المسألة) قنستونطين ..

هاكستابل: (براءة متقنة) هذا مؤكد الآن ، أليس كذلك؟

م. هاكستابل: لقد ألمحت إلي ذلك بالأمس يا هنري ..

هاكستابل: أظن .. أظن أنني فعلت . (عينه تتحول بشعور الذنب)

م. هاكستابل: مستبعد الأمر تماما ، فيما يبدو لي .. (تعود "جين")

جـين : خالتي "ماري" قادمة ..

هاكستابل : (بشوشا مرة أخرى) أوه ! ابنتي "جين" .. رائد "توماس" ،

رائد "توماس" ..

جـين : (بشيء من التعقل) نعم .. يا أبي

م. هاكستابل: (بلباقة) أنت لا تدرك بشكل طبيعي أيها الرائد "توماس" ،

أنه لأسباب عائلية ، لا نحتاج أن نخوض فيها ، لم يتكلم

السيد "هاكستابل" إلي أخيه غير الشقيق لعدة سنوات .

(تلتقي عين "فيليب" ، بعين "توماس" ، في معاناة هزلية .

ولكن السيد "هاكستابل" أيضا يستغرق بابتهاج في

الموضوع المحرم)

هاكستابل : ثلاثون سنة ، فترة بسيطة جدا! . مذهل ، أليس كذلك؟

أهتم بالعمل نفسه . ألم يكن سهلا أن أوصله ..

تـوماس : سمعت ..

هاكستابل : أوه ، نعم .. سمعته سيئة

م. هاكستابل: (ناقمة) وقد تكون حسنة . . يا هنري . (تدخل السيدة "مدراس" . من الواضح أن "فيلب" ابن أبيه وليس ابنتها . إنه يبدو كذلك ككل ، ولكنها هدية أمه ، متي تعلق الأمر بلمسة من التقديس الذاتي التي غالبا ما تكون عن سوء تقدير للحقيقة . وتظهر فيها- هذه الأيام - أقل قابلية للحب كنوع من المزاعم المريبة عن حقوقها وأخطائها في مواجهة القلاقل التي كانت قوية جدا لها . إنها سيدة عجوز شاحبة ، ومنكمشة ، فرت الحياة منها .)

هاكستابل : (ومازالت بعض الصرامة باقية) "أمي" . . زوجك في إنجلترا مرة أخرى .

فيليب : (يقدم خده كابن ، فتقبله) كيف حالك يا أمي؟

هاكستابل : (هامسا) لباقة يا "كاثرين" ، لباقة!!

فيليب : لعلك تذكرين "ريجي توماس" ؟

توماس : أنا كنت مع "فيليب" في مارلبور ، يا سيدة "مدراس" .

م. مدراس : نعم . . أهو حقا يا "كاثرين" ؟ (بعدها تقدم لتوماس يدا

هزيلة ، وتبدي أختها تلك الاستجابة الأبرد ، تجد طريقا

إلي أريكة ، حيث تجلس صامتة مشغولة بنفسها . تحتفظ

السيدة "هاكستابل" بقبضة ملكية ، علي موضوعها)

م. هاكستابل: إنني عاجزة يا "فيليب" ، عن رؤية السبب الذي يتطلب

أن يخرق عمك قواعده؟

هاكستابل : أنت معنا يا فيلب؟!!

فيليب : بالطبع .. بالطبع .. من الأفضل لعمي "هنري" أن

يقرر ..

هاكستابل : طبيعي .. طبيعي (مازلت عينة مناشدة "فيليب" ، الذي

يعني به)

فيليب : منذ تقدم السيد "ستات" بعرضه ، لا يمكن أن تتعلق

الصفقة ببيت "مدراس" فقط .. ولكن لابد أن تتضمن

بيت "روبرت" و"هاكستابل" .. لو أن المالكين الأصليين

لا يستطيعان أن يلتقيا به حول مائدة مستديرة لحل

المسألة ..

توماس : (دبلوماسيا بشكل بالغ) نعم .. المسألة محرجة كثيرا ..

إذا أمكنني أن أقول ذلك بصفتي ممثلا للسيد "ستات" ،

يا سيدة "هاكستابل" ..

م. هاكستابل: لا تحسبها كذلك ، وهل تظن يا رائد توماس ، أن أي

قدر من الحرج ، ينبغي أن يقنعنا بأن نتجاوز عن تصرف
مشين شرير بهذا الشكل؟ (بهذا تهوي المقابلة إلي مثل
هذا الصمت المخزي ، بحيث يستطيع المسكين "هاكستابل
" فقط أن يضيف ..)

هاكستابل : أوه ، تحدثني عن شيء آخر .. تحدثني عن شيء آخر
(بعد لحظة يتبدى صوت السيدة "مدراس" الشاحب ،
بينما تستدير إلي ابنها)

م. مدراس : ومتي سمعت من أبيك ؟
فيليب : خطاب من "مارينباد" منذ يومين أو ثلاثة مضوا ،
ويتلغراف وصل صباح أمس .

م. هاكستابل : (بسطة المضيفة تسترد الأدب الآن ، والصوت الهادئ
للمحاورة) تركت الجيش منذ فترة طويلة يا ميچور
توماس ؟

توماس : من أربعة سنوات .

م. هاكستابل : وما الذي جعلك الآن تقبل علي تجارة الأزياء ؟
فيليب : (موضحا بدقة) السيد "سات" خبير مالي أمريكي
يا خالتي "كاتي" اشترى دار "برو" المكان الفسيح في

المدينة ، ويوشك أن يشتري دارنا أيضا ، ربما ..

م. هاكستابل: أمل ألا نكون حجر عثرة ..

فيــــــــيب : أوه ، لا .. لا ..

م. هاكستابل: لا ، لا شك أن "هنري" كان سيخبرني ، إذا ما كنا حجر عثرة (بينما تنحى الموضوع بهذه الرشاقة ، تظهر هناك وعبر الشرفة خطى آخر القادمين من الكنيسة: "ميني" ، و "كلارا" . جانب الذكور من المجموعة يعيد ترتيب نفسه)

هاكستابل : أهلا وسهلا .. أين كنتم؟

مــــــــيني : كنا نترىض بالمشي ..

م. هاكستابل: (بمفاجأة عميقة فيما يبدو) تترىضين بالمشي يا "ميني" ، أين؟

مــــــــيني : فقط علي طول الطريق إلي البيت .. اعتقدنا أن أمامنا وقت .

كــــــــلارا : هل لاحظت كم كانت العظة قصيرة؟

م. هاكستابل: أوه ، يمكنني أن .. ابنتي "كلارا" يا ميجور توماس ، ابنتي "

ميني .. مييجور توماس ..

ميني : (تبدأ الأنشودة التقليدية) كيف حالك .. ؟

توماس : بخير ، كيف حالك ؟

كلارا : كيف حالك ؟

ميني : كيف حالك فيليب ؟

فيليب : بخير ، كيف حالك ؟

كلارا : كيف حالك ؟ (تنتهي الأنشودة ، ويعم الاستقرار

المجموعة ، بينما "هاكستابل" يُسكت فيليب في هذه الأثناء

بروح من يؤمن علي سر) .

هاكستابل : بالمناسبة .. لا تنس يا فيلب أن تذكرني بشيء أود أن

أسألك عنه قبل أن تنصرف .. شيء هام إلي حد كبير .

فيليب : سأذكرك حيث تكون في الصباح . سيتفقد "توماس" ،

بعض المعالم الهامة

هاكستابل : (بغمز منتظم) نعم .. لن أمانع

فيليب : اجتمع السيد "ستات" ، في شارع "بوند" ، في الثالثة

تماما ..

هاكستابل: أعرف .. أعرف (يجد نفسه منتشيا ، فيستأثر بالمحاوره)
لقد تراخيت عن العمل يا "توماس" ، تراخيت منذ ألم
بيّ المرض .. كنت متراخ ..

م. هاكستابل: أنت بصحة جيدة الآن يا "هنري"

هاكستابل: هذا ليس الموضوع .. أريد الراحة .. كما تعرفين ..
الراحة ، وقتا للقراءة ، للتفكير قليلا .

م، هاكستابل: هراء!! (تضيف بتصحيح) سيعذرني ميغور توماس .

هاكستابل: (عن هوايته) أوه ، حسنا! .. الإنسان ينبغي أن
يخصص .. جانبا من حياته للقراءة

توماس: تمام .. أنجزت معظم قراءاتي في وقت مبكر من
حياتي ..

م. هاكستابل: الوقت الطبيعي للقراءة ..

هاكستابل: آه .. محظوظ! من المفترض أنك متعلم . وأنا لم أكن
كذلك . حصلت علي الكتب لسنوات طبقات رائعة ،
وددت لو رأيت مكتبي . ولكن أولئك العباقرة يتطلبون
أن تستعد لهم لو أن المرء أراد أن يلاحق كما تعرف
الفكر في العالم . "ماكولي" ، هربرت سبنسر ، تاريخ

الإغريق الذي وضعه "كريت"، كلهم حصلت عليهم في
مكتبتي هناك .. (لا يجد استجابة أكثر من ذلك . فتملاً
الفراغ السيدة "هاكستابل")

م. هاكستابل: رأيتُ أن العظة كانت مملة هذا الصباح ، أليس كذلك
يا "أمي" ؟

م. مدراس : (بشكل غير متوقع) لا ، لم أرها كذلك ..

م. يني : (لتأخذ بنصيبتها من التسلية) أمي ، كان ينبغي أن يتكلم
أحدهم عن هؤلاء الأولاد .. يا له من أمر معيب . لقد
تعين أن يستدير السيد "فيفيان" إليهم بالفعل من عزف
الأرغن ، أثناء الترتيل الأخير . (تظهر "جوليا" ثانية
بعدها غيرت ثيابها . يلاحظها "هاكستابل")

هاكستابل : أه .. ابنتي جوليا .. الميجور ..

جوليا : (بإباء لا يخلو من عصبية خالصة) لقد تعارفنا يا أبي ..

هاكستابل : (منكسرا بما يكفي) أوه!! معذرة ..

م. هاكستابل: (تستهجن أي ثقة بالنفس ، وتنحدر إلي صورة الأثم ،
الذي - لسبب خفي أو بغير سبب علي الإطلاق - لا
يستهجنه الآخرون في أغلب الأحيان) أغلقت الباب من

فضلك يا "جوليا"

جوليا : أنا آسفة يا أمي (يغلق "فيليب" الباب الجارح ، وتخفي "جوليا" نفسها في مقعد . والحوار يوشك أن يتوقف بتأثير هذه المشاجرة البسيطة . وأخيرا تبذل "كلارا" جهدا)

كلارا : هل "جيسكا" بخير تام يا فيليب؟

فيليب : نعم .. شكر كلارا ..

م. هاكستابل: وعزيزتي الصغيرة "ميلدرد"؟

فيليب : نعم .. شكراً خالتي كاتي (مازال التوقف يهدد المحادثة

إلي حد بعيد فتحاول "ميني")

ميني : أمازلت تحب لها هذه المدرسة؟

فيليب : (ببراعة) يبدو أن تحقيق كل إنجاز يمكن شراؤه بالمال ..

م. هاكستابل: (تكتشف انفتاحا مؤكدا) هل كنت بعيدا خلال هذا

الصيف يا مييجور "توماس"؟

توماس : (علي نحو مبهم ، يبدو مربوط اللسان بشكل مؤثر

عاطفيا) أوه .. نعم ..

فيليب: أنا وتومي وجسكا قضينا الأجازة ، متجولين بالسيارة في ميونخ ، ومنها إلي الأوبرا ..

م. هاكستابل: وهل كانت ممتعة؟

فيليب: جدا ..

م. هاكستابل: وأين كانت الصغيرة "ميلدرد"؟

فيليب: مع خالتها أغلب الوقت .. أخت "جيسكا" غير الشقيقة كما تعرفين ..

ميتي: السيدة أمز؟

فيليب: نعم ..

م. هاكستابل: (ببراءة ، وإن تكن متكبرة بصدق) يناسبها تماما ..

هاكستابل: كقاعدة ... نأخذ بيتا في "ويموث" .

م. هاكستابل: هل تعرف "ويموث" ، مييجور توماس؟

توماس: لا ، لا أعرفها ..

م. هاكستابل: اعتاد جورج الثالث أن يقيم هناك ، ولكنه فندق حاليا ..

هاكستابل : احتفظ بمدخراتك في البلاد ، كما تعرف ..

م. هاكستابل: أوه .. هناك كل ما يمكن أن يحتاجه المرء في " ويموث "
(ولكن حتى هذا الموضوع ينقطع) أعرف أنك تفكرين
أكثر في " بوجنور " ، يا أمي ..

م. مدراس : لأعيش فيها يا " كاثرين " لا أكثر . (لقد بذلوا آخر
جهودهم ، ولكن المحادثة ماتت . يشعر " هاكستابل " بعدم
ارتياح مادي فجأة)

هاكستابل : سأغير معطفي ..

فيليب : أعتقد أننا ينبغي أن ننصرف ..

هاكستابل : لا .. لا .. لا ..! لن أستغرق دقيقة .. لا تنصرفوا
يا فيليب ، هنا رفاق ممتازون .. (يتركهم ويلاحظ أن
محادثة " هاكستابل " ، تتكون أساسا من أسئلة . بعد برهة
يسقط الزوار في العادة نفسها أيضا)

فيليب : وهل تحبين هذا البيت يا " كلارا " ، أفضل من البيت
القديم؟

كلارا : يحتوي كما تعرف غرضا أكثر

م. هاكستابل: هل تعيش في لندن ، مييجور توماس؟

توماس : لا ، أعيش في " وكنج " ، أذهب إليها وأعود منها كل يوم . أظن أن البلدة أفضل للأطفال

م. هاكستابل: ليس مكانا مفرحا ، أليس كذلك؟

توماس : أوه! .. مفرح جدا ..

م. هاكستابل: اعتقدت أنه ليس كذلك لسبب ما ..

إيها : بسبب المقبرة يا أمي

م. هاكستابل: (تقبل الاقتراح بإباء) ربما

كلارا : وبالطبع هناك حديقة فسيحة جدا .. لدينا حديقة في البيت المجاور رائعة ..

جين : ليس كل حديقة البيت المجاور

كلارا : حسنا ، أغلبها .. (هذا لاختلاف المثير في الرأي ، يأخذهم إلي الشرفة ، ويتبعهم فيليب ، وجوليا تتبع فيليب . وتغادر " ميني " لتغيير ثيابها)

جوليا : رأيت كيف يبدو قصر الكريستال قريبا؟ هذا يعني المطر ..

فيليب : طبعاً .. يمكنك رؤية قصر الكريستال .

م. هاكستابل: جوليا .. ألا تعتقدين أنك قد تصابين بالبرد في الشرفة بدون القبعة؟

جوليا : (ودیعة ، ولكن أمام الزائر ، وتقرر) لا أعتقد ذلك يا أمي ..

م. هاكستابل: (تستدير ، نحو الرائد "توماس" ، بأدب إضافي) نعم اعتدنا ألا نعيش بعيداً عن التل لفترة طويلة .. لقد كان بالتأكيد بيتاً أصغر .

فيليب : (فيليب في الشرفة ، يتلقى مزيداً من المعلومات) ذلك بيت "روسكين" ، أليس كذلك؟ نعم إنني أرى أوعية المدخنة

م. هاكستابل: ما كان ينبغي أن أنتقل ، أنا نفسي ، ولكن غلبت علي أمري ..

إيمى : أمي .. كبرنا عن "هولبينك" .

م. هاكستابل: غلبت علي أمري .. ولكن تجري الأمور علي غير ما تعودنا إلي جد كبير ، ولست أأيد ذلك

توماس : بالطبع عائلة الإنسان تكبر ..

م. هاكستابل: الناس تبدد أموالها في هذه الأيام . أتذكر أن سياسة أبي كانت أن يعيش علي نصف دخله . علي أية حال ، لقد خسر الجزء الأكبر من ثروته بالاستثمارات غير الحكيمة في البداية . أعتقد أنها كانت كذلك . كنت في المدرسة وقتئذ ، في "بريغتون" . وقد علمني أكثر مما يطيق عمري . (في هذه اللحظة تندفع "كلارا" من الغرفة الزجاجية ، إذ حدث شيء)

كلارا : جين .. لقد ظهر "الأجابنثوس"^(١) ، أخيرا

جين : أوه!! (يتزاحمان ليريا النبات ، ويندفع فيليب للداخل أيضا ، ولا تتحرك السيدة "هاكستابل")

م. هاكستابل: قيل لنا إن الأغنياء فخاخ صيد يا ميجور توماس

توماس : هذا أمر دائما ما كنت أجد من السهل تجنبه ، يا سيدة "هاكستابل" .

م. هاكستابل: (تتجاهل النكته ، التي لم تكن تتوقعها في الحقيقة في مثل

(١) 'Agapanthus' نبات جنوب أفريقي ، من عائلة الزنبق ، وله زهور زرقاء علي شكل قمع ، تنمو في عناقيد دائرية .

هذا الموضوع) ولاحظت أن تملك الأغنياء نادرا ما يطور شخصية الناس في مراحل حياتي . إنني أجهل طبعاً شئون زوجي .. هذا ما يمكن قوله ، إنني أحتفظ بجهلي بقدر ما يمكن .. ولكنها رغبتى أن نظام عائلتنا ينبغي أن يبقى كما كان حين تزوجنا في البداية .

توماس : (يجهض ثأؤبه) تمام .. هكذا بالضبط ..

م. هاكستابل: (تأخذ نفساً) عائلة البنات .. يا ميجور توماس ..

إيما : (معذبة قليلاً) أمي .. !

م. هاكستابل: ما لك ، إيما؟

إيما : (تراجع نفسها ، وتتجه لتنضم إلي حفل "الأجابثوس")
لا شيء يا أمي .. معذرة ..

م. هاكستابل: (تلتقط أنفاسها ثانية) ماذا كنا نقول .. ؟

توماس : (مستسلماً للأدب) عائلة البنات

م. هاكستابل: نعم .. هل كنت في الحرب؟ (المباغته المتميزة بهذا السؤال ، وإن تكن غير قابلة للفهم توقظ الميجور قليلاً)

توماس : نعم كنت في الحرب

م. هاكستابل: رأيت دائما أن الناس ينظرون بشكل مختلف للحياة العائلية ، عمّ اعتادوه . ولا يبدو أن الرجل مستعد للزواج ومساندة زوجة وعائلة ، بخبراته الهشة . أعتبر ذلك مثيرا للشفقة

توماس : (قريبا من تناؤب آخر) تمام .. تمام ..

م. هاكستابل: طالما قررت أن البنات ينبغي أن يخترن لأنفسهن فقط ، فذلك ما يضمن سعادتهن . أي رجل محترم مؤهل ممن يزوروننا باستمرار ، يخضع بحساسية للفهم ، حيث لا يحتاج أن يتوقع شيئا من السيد "هاكستابل" ، أكثر من موافقته . قلت إنك متزوج فيما أعتقد يا مييجور "توماس" (هذا يوقظه تماما ، مع أن السيدة هاكستابل بريئة فعلا من توريطه)

توماس : نعم .. أوه !! عزيزتي .. نعم ..

م. هاكستابل: وعندك عائلة؟

توماس : أربعة أطفال .. أصغرهم لديه ثلاثة سنوات فقط

م. هاكستابل: حبيبي الجميل !

توماس : لا ، المتسول الصغير القبيح ، ولكن له شخصية ..

م. هاكستابل: ينبغي أن أغير ثيابي قبل العشاء . ستعذرني . إن لم يكن المرء حريصا علي نفسه . .

توماس : تمام . . تمام . .

م. هاكستابل: ألا نستطيع إقناعك بالانضمام إلينا؟

توماس : شكرا جزيلًا . . ولكن يجب أن نقابل السيدة "فيليب" ، علي الغذاء في المدينة في الثانية

م. هاكستابل: أنا آسفة . . (توماس يفتح لها الباب بانحناءته الأفضل ، بينما ترحل برقة ، شاعرة أنها أثارت إعجابه إلي حد بعيد . "كلارا" التي كانت تغير ثيابها تعبر الغرفة ويتبعها فيليب من الشرفة ، وتقول له)

كلارا : سأخبر أبي يا فيليب ، سأصعد إليه في الدور العلوي (يفتح لها "توماس" الباب ، بانحناءة ملائمة ، ويتنهد مستديرا إلي "فيليب")

توماس : فيليب ، كان لابد أن ننصرف

فيليب : انتظر حتى تري عمي ثانية .

توماس : بكل سرور . .

(يصعد تنهيدة أخرى ، ويجلس . طوال هذا الوقت كان هناك السيدة "مدراس" علي أريكتها ، صامته ، ومنسية مثل أي قطعة أثاث أخرى لا حاجة إليها في الوقت الحالي . يذهب إليها "فيليب" الآن ، وحين ترد عليه تبدو هامدة)

فيليب : كم مكثت في المدينة يا أمي ؟

م. مدراس : كنت هنا من أسبوعين ، وعموما أقضي ثلاثة أسابيع .

فيليب : كانت "جيسكا" تنوي أن تدعوك إلي حدائق "فيلمور" مرة أخرى .

م. مدراس : حقا ؟

فيليب : (بقليل من الشعور بالذنب) وقتها مشغول جدا . . . بشيء أو بآخر

م. مدراس : (تستفز حواسها فجأة) أريد أن أرى أباك يا فيليب

فيليب : (في شك) لن يبقى هنا طويلا يا أمي

م. مدراس : لا ، واثقة أنه لن يبقى . . (بثلاثة خطوات واسعة وتنم عن الذوق واللياقة ، يدفع توماس بنفسه إلي الشرفة)

فيليب: "تومي" لبق ..! حسنا .. سأقول له إنك تودين أن تراه

م. مدراس: لا .. أرجوك لا تفعل . قل له إنني أعتقد أنه يجب أن

يأتي ويراني ..

فيليب: لن يأتي يا أمي ..

م. مدراس: لا ، أعرف أنه لن يأتي .. جاء إنجلترا في مايو ، أليس

كذلك؟ ، وبقي هنا حتى يوليو ، أليس كذلك؟ هل من

الكثير أن يبعث إليّ برسالة؟

فيليب: (بصبر قاس) لا ، يا أمي ..

م. مدراس: ماذا كان يفعل كل هذه المدة يا فيليب؟

فيليب: لم أره كثيرا . إنني حقيقة لا أدري ما الذي أعاده علي

الإطلاق . كان يمكننا إنجاز هذه الصفقة بدونه ، وعلي

أية حال لم تتحقق حتى الآن . ولعل هذا السبب في

مروره علي إنجلترا مرة أخرى . ولا أعتقد أن هناك

الكثير لتكسيه برؤيتك له ، كما تعرفين .

م. مدراس: أنت قاسي القلب يا فيليب! (لما كان ذلك حقيقيا ، فإن

فيليب يستاء منه قليلا)

فيليب: أمي العزيزة ، أنت وأبي انفصلتما منذ .. منذ متي كان

الانفصال؟

م. مدراس : (بإكراه باهت) أنا ما زلت زوجته . . هذا ما يجب أن أتمناه . لقد ابتعد عني منذ كان شابا ولكن لم أنس قط واجبي . والآن حيث أنه رجل مسن ، واقترب في ماضيه مثل هذا الذنب ، وحيث أنني امرأة مسنة ، فما زلت مستعدة لأن أكون سلواه في سنوات تدهوره والحق أنني يجب أن أرتضي أن أخبره بهذا . ولا يجب أن تترك زوجتك تضعك في مواجهة أمك ، أنت يا فيليب .

فيليب : (متحيرا) حقا!

م. مدراس : أعرف كيف تفكر في "جيسكا" . "جيسكا" ماهرة وذكية جدا ، ولا صبر لديها مع الناس الذين يبذلون فقط ما في وسعهم ليكونوا طيبين . . . أفهم ذلك . حسنا! . . ليس من واجبها أن تحبني . . علي الأقل قد لا يكون واجبها أن تحب أم زوجها . . أو ربما . . لست أقول إنه ممكن . ولكنه واجبك أنت . . أحيانا أظن يا فيليب أنك لا تحبني أكثر ، ومع ذلك تخشي أن تقولها . . (الالتماس ينتهي بشكل مثير للتعاطف ، حيث يصبح فيليب مراوغا

(بلطف)

فيليب: إن لم أكن أحبك يا أمي العزيزة، ينبغي أن أخشي من قولها ..

م. مدراس: متي ستري أباك؟

فيليب: طلبنا منه أن نلتقي علي العشاء مساء الغد (عند هذه اللحظة تدخل "إيما" بجوية جد مزعجة لأعصاب السيدة "مدراس" المرهفة، فتستدير إليها)

م. مدراس: "إيما"، لما تدخلين واثبة بهذا الشكل، بينما أحاول أن أتبادل كلمة خاصة مع فيليب؟

إيما: غرفة الاستقبال، يا عمّة "أمي"، لكل إنسان بالفعل ..

م. مدراس: لا أعرف بصدق لماذا آتي وأبقي هنا علي الإطلاق. إنني أكره أمك بشدة ..

إيما: إذن بالله عليك لا تقلي لي هذا .. لا رغبة عندي أن أكون قليلة الأدب معك .

فيليب: (بهدهوء) "إيما" .. أعتقد أن عمي "هنري"، ينبغي أن يحضر اجتماع الغد ..

م. مدراس : (تبدأ البكاء) طبعا لا بد . . من هو ، ليستمر علي هذا

النحو مع "قسطنطين" ! منديلي في الطابق العلوي

إيمـا : (بما لا يخلو من توبة) سأحضره لك يا عمـة "أمي" ؟

م. مدراس : لا ، لن أكون عبئا علي أحد . .

(تراجع جريجة . "فيليب" يستمر هادئا بقصد)

فيلـيب : المثير أن عمي فعلا يريد حضور الاجتماع .

إيمـا : أنا آسفة . . كنت وقحة . . ولكنها تثير أعصابنا كما

تعرف . .

فيلـيب : لماذا تدعونها؟

إيمـا : (بحر شديد معه) أوه . . كلنا مغرمون جدا بالعمـة "أمي" ،

وعلي كل ، أمي تعتقد أنه واجبنا . ومع ذلك لا أري

كيف يمكنها أن تستمتع بالحضور . . إنها لا تخرج لأي

مكان ولا تنضم أبدا لأي حوار . . فقط تجلس لتعني

بنفسها .

فيلـيب : (بسخرية تقريبا) كلكم طيبون جدا يا إيمـا

إيمـا : نعم . سمعت أنك مازحت "جوليا" في الشرفة

الزجاجية . ولكن إذا توقف المرء عن القيام بواجبه ، لكم سينقلب العالم رأسا علي عقب . (صوتها يتخذ الآن تلك النبرة التي تحمل بشكل جيد مكان الغمز) أقول .. من المفترض ، أنني ما كان يجب أن أحدثك عن "جوليا" ، ولكنها دعابة إلي حد كبير . تعرف .. "جوليا" تصبح هستيرية أحيانا ، حين تعاني من الصداع ..

فيليب : صحيح ؟

إيمما : حسنا! ياقة قميص تخصص "لويس ولر" ، رجعت من المغسلة من باب الخطأ بدلا من واحدة لأبي . لا أعتقد أنه يقيم قريبا من هنا ، ولكنه صاحب واحدة من محلات الغسل والكي البخارية الكبرى . وعثر عليها "مورجان" الطباخ ، وأعطاهها إلي "جوليا" ... "جوليا" احتفظت بها . وحين اكتشفتها أمي ، ظلت تصرخ طول النهار . قالت إن هذا يكشف عن عقل طائش . (وجه فيليب الساخر ، يصبح متجهما)

فيليب : لا أعتقد أن هذا الأمر مسلٍ يا "إمما"

إيمما : (بدهشة صادقة) لا تعتقد ؟

فيليب: كم عمر "جوليا"؟

إيم: أربعة وثلاثون (وجهها يتجهم أيضا) لا .. إنه أمر مخيف
إلي حد بعيد ، أليس كذلك؟ (ثم تقطب جبينها كما لو
كانت متحيرة) إنه لا يليق تماما بوحدة تريد أن تتزوج .
أعتقد أن أمي علي حق بهذا الشأن ..

فيليب: أي شأن؟

إيم: حسنا! .. في وقت ما تقدم رجل محترم لخطبة "جين".
وقالت أمي إن الأمر قد يكون مرعبا جدا لو أن الرجل
تحدث إلي أبي أولا ، وأن "جين" كانت الأصغر ،
وصغيرة جدا لتعرف رأيها الشخصي . حسنا ، تعرف
أنها في السادسة والعشرين . وبعد ذلك سمعوا عن
شيء كان قد فعله ذات مرة .. ووضع له حدا . كانت
"جين" متمردة جدا ، وأمي بكت ..

فيليب: وهل تبكي دائما؟

إيم: نعم .. تبكي ، لو كانت منزعة بشأنا . وأعتقد أنها
كانت علي حق . لا ينبغي أن يغامر المرء ليصبح تعيسا
في الحياة ، أليس كذلك؟

فيليب: وهل كلكم سعداء الآن، إذن؟

إيمى: أوه، بكل تأكيد. أعتقد أننا سعداء. ينبغي أن نكون، ومن الجحود ألا نكون سعداء.. متى كان للمرء بيت جيد، و..! ولكن بالطبع نعيش معا، نخرج معا، ونكون معا كل الوقت، والمرء قد يكون عصيبا من حين لآخر. وأظن أن هذا سبب جلوسنا صامتتين كالديدان حين يكون عندنا ضيوف، إننا نخشى الشجار والخصام.

فيليب: وهل تتخاصمون؟

إيمى: ليس كما تعودنا. تعرف.. حتى نتحرك داخل هذا البيت، لدينا فقط غرفتي نوم بيننا، ملعب الطفولة، وملعب الطفولة الليلي القديم. والآن لكل من "لورا" و"ميني"، واحدة، وهناك واحدة نأخذها بالتناوب.. لم يكن ثمة بيت أكبر نحصل عليه هنا، أو استطعنا أن نحصل عليه فيما أعتقد. لقد كرهوا فكرة الانتقال بعيدا. ومن الغريب إلي حد ما أن أبي - كما تعرف - يخشى فيما يبدو أن ينفق المال، ومع ذلك لا بد وأنه يحصل علي الكثير. ويقول، إذا أعطانا أكثر فإننا لا

نعرف ماذا نفعل به . . وطبعا هذا صحيح .

فيا _____ يب : ولكن أي وظائف لكن أنتن البنات؟

إيه _____ : إننا دائما مشغولات . أعني أن هناك الكثير لنفعله في

البيت ، والدعوات ، والدروس ، والاحتياجات . "جوليا"

اعتادت الرسم بشكل جيد تماما . لا ينبغي أن تظن أنني

أتدمر يا فيليب . . أعرف أنني أتكلم كثيرا جدا ، قالوا

لي ذلك . .

فيا _____ يب : (معلقا بسؤال نصف جاد) ولماذا لا تهربون أنتن الست ،

أو لنقل خمسة منكن؟

إيه _____ : (مفتوحة العينين) نهرب!

فيا _____ يب : (وكانها يفهمها) خارج البيت . .

إيه _____ : (بعين أكثر اتساعا) إلي أين؟

فيا _____ يب : (بتنهيدة إليها) آه! . . هذه هي المسألة . .

إيه _____ : كيف للمرء أن يفعلها . . وهذا قد يزعجهم بشكل

مخيف . أبي وأمي لا يدركون أن واحدة منا تشعر بمثل

هذه الرغبة في أي وقت . . سيحزنون جدا

فيا—يب : (يستدير إليها بتورية لطيفة) "إيما" .. الناس كانوا
يضايقون أباك في الدكان مؤخرًا بعوائق ومشكلات
العيشة في النظام ، لماذا لا تسألونه أن يعيد النظر في
البيت من أجلهم؟

(يعود السيد "هاكستابل" مستريحًا في سترة . يربت علي
كتف ابنته بمودة)

هاكستابل : انصرفي الآن يا "جين" .. أعني يا "إيما" ، أريد أن أنفرد
بكلمة مع ابن عمك ..

إيها—ا : حاضر يا أبي .. ("إيما" تخفي في طاعة ، وفيليب يرمق
عمه جانبًا)

فيا—يب : وأنا انتهيت كما طلبت مني .

هاكستابل : لم أطلب منك

فيا—يب : ألمحت ..

هاكستابل : (بجمل تقريبا) هل ألمحت؟ لا أكاد أذكر ..

فيا—يب : ولكن ينبغي أن تسرع وتتخذ قرارًا بشأن اجتماع الغد .
أنا وتوماس يجب أن نرحل .

هاكـستابل: "فيليب" .. يخيل إلي أنك تتكالب علي البيع ..

فيليب: تمام ..

هاكـستابل: مازلت صغيرا ، وبيت "مدراس" ، لا يعني لك شيئا

فيليب: (بجفاء) لا شيء لا يقبل البيع يا عمي ..

هاكـستابل: حسنا! .. حسنا! ، حسنا! (ثم في هياج مكتوم) حسنا .

دقيقة واحدة يا بني ، قبل أن تنزّل خالتك .. لقد كانت

ورائي في الدور العلوي ، كما تعرف ..! . لا بد وأن

تفعل شيئا من أجلي غدا مثل زميل طيب ، في الدكان

صباحا (يصبح فجأة منذرا) هل سمعت بشأن الأنسة

"ياتيس" ، حتى الآن؟

فيليب: لا ..

هاكـستابل: مشين! .. مشين!

فيليب: تقدمت بشكل رائع في فرع شارع "بونند" .. تعلمت

المعاملة اللائقة .. . تراجع لبضعة أسابيع فقط .

هاكـستابل: (ينخر باستهزاء) تعلمت المعاملة اللائقة! (يلمح

"توماس" في الشرفة ، فيحيه) أوه!! تعالى أيها الرائد

توماس . (يخفض صوته بتوجس) أغلق النافذة بنفسك ،

لا نريد أن نسمعنا النساء . (يغلق "توماس" النافذة ،
ويهيئ السيد "هاكستابل" نفسه للمتعة المشينة بإعلان
الفضيحة) أقول لك يا بني ، فوق في مكانك .. بلغني
أنها كانت مع واحد من الزملاء .. أحد زملاء نادي
الطرف الغربي .. أظن .. ووضعها في .. حسنا ، أقول
لك ! وسيعذرني الرائد توماس .. ليست فتاة غضة ،
فاهم ! . ولكن الاستعمال الأول في غرفة ثيابنا . كنا
سنجعل منها مشتريا ، وكل شيء !

فيليب : (مقطبا من الأخبار ومن أسلوب عمه في إعلانها) وماذا
تريدني أن أفعل ؟

هاكستابل : (أكثر نذيرا مما كان) انتظر . ليس هذا أسوأ ما في
الموضوع . تعرف "بريجستوك"

فيليب : وهل أعرفه ؟

هاكستابل : أوه ، نعم .. الرجل الثالث في قسم الجوارب والثياب
الداخلية ..

فيليب : صحيح ..

هاكستابل : حسنا .. من أكثر من أسبوع مضى ، يبدو أن الأنسة

"شانسلر" ضبطتهما يقبل أحدهما الآخر .

فيليب : (وقد تصاعد نفاذ صبره من أسلوب العرض) ضبطت
من يقبل من؟

هاكستابل : أعرف أن المسألة غير واضحة . لنعد إلي البداية . .
وسيعذرني الرائد "توماس" .

توماس : (مبدئياً الإحساس الأصح) ليس علي الإطلاق .

هاكستابل : عصر الأربعاء ، "ويلوبي" - وهو طيبنا - يصعد
كالمعتاد ، الأنسة "ياتيس" دخلت كي تراه . الأنسة
"شانسلر" - وهي مشرفة الفرع ، يا رائد "توماس" -
أصغت إليهما مصادفة تماماً ، بحسب قولها . . بعد ذلك
اتهمتها بالمسألة . .

فيليب : طيش . .

هاكستابل : لا ، لا . . واجبها الواضح . . إنها تعرف مبدأي بشأن
هذه الأمور . ولكن بعد ذلك تذكرت أمر التقبيل ،
وذلك ما انتشر بين شاباتنا العاملات . واحد غبي هناك ،
أتفق معك . . ولكنك تعرف ماذا تعني هذه الأمور . ثم
بلغ الأنسة "ياتيس" . . وانتشر في كل الفرع . وبعدها

اتضح أن "بريجستوك" رجل متزوج.. متزوج من عامين. سرا عنا.. فاهم! لأنه يعيش في الترويج وعليه، وكل ما يتبع ذلك. وفي صباح أمس، تظهر زوجته في مكتي، بحالة هسترية، وتقول إن زوجها تعرض لافتراء تشويه السمعة.

فيليب: لست أرى سببا لأن تقترف الآنسة "يايتس"، أي شائنة في أماكن عملنا. الفتاة تبعد عن أبصارنا فقط في نهايات الأسبوع، وبعدها من المفترض أن نعرف أين تذهب.

هاكستابل: (مازال متمشيا بنفسه بشكل غريزي، وإن كانت نظرة كئيبه تزحف إليه الآن) حسنا.. سألتها أن تصعد إليّ بالأمس. ولم أدر ما الذي يتوارد علي ذهني. وبجنتها تماما.. كنت علي حق في كل ما قلت!.. ولكن.. ألم تسمع قط صوتك فجأة يقول شيئا؟ حسنا أنا سمعت، وبدا كأنه صوت كلب ينبح بأكثر مني.. ورحت أهذي ضاحكا في كل موضع ولذا قلت لها أن تغادر الغرفة. (يبدو مكتئبا وجذابا) يجب أن تواجه المسألة يا فيليب. يجب حلها وتسويتها في الغد. الآنسة "يايتس" يجب أن تعفي، ولست واثقا إذا كان من الأفضل أن يعفي

"بريجستوك" أيضا . لا نود أن نخسر الأنسة "شانسلر" ،
ولكن إن لم تستطع أن تلجم لسانها طوال عمرها ..
حسنا .. من الأفضل أنها ..

فيليب : (نافذ الصبر) أوه! هراء .. هراء ، يا عمي!

هاكستابل : (شخصيته القديمة غير المتسائلة ، تبدي للحظة) لا ..
لن أقبل هذه الفضائح في المحل . كنا دائما خالين منها ..
دائما تقريبا . لا أريد أن أكون قاسيا علي البنت . لو أن
رجلا في خدمتنا ، واكتشفته أنت .. عاقب المذنب
بالإضافة إلي البريء .. أنا مع كل هذا . (يستنفذ هذا
النفس . ويستمر بتأثير إلي "توماس") ولكني لا أدري
ما الذي يتوارد لي . قبل أن يلم بي المرض ، كان يمكنني
التحكم في هذا العمل بغمضة عين . ولكن حين ترقد
لفترة طويلة في الفراش .. لم أمرض هكذا من قبل ..
لا أدري كيف صار الأمر تظبل تفكر ، وتفكر ..
والأمور التي اعتدت أن تكون واضحة تماما ، إذا بها لا
تبدو جد واضحة .. وفيما بعد ، حين تشرع في أن تفعل
أو تقول شيئا اعتدت أن يصدر بشكل طبيعي ، إذا به لا
يصدر بشكل طبيعي كما كان .. وهذا ما ينحيك جانبا

عن... (يقاطعه إعادة ظهور السيدة "هاكستابل"، وقد غطت رأسها بقبعة ذات شرط مزين، ومستعدة للعشاء. إنها عند درجة الخلاف الذي نشب مع زوجها في الدور العلوي، والذي يبدو بوضوح أنه ثبت في منتصفه)

م. هاكستابل: هل صحيح يا فيليب أن عمك إن لم يحضر اجتماع الغد، فإن صفقة العمل مع السيد... أوه! نسيت اسمه... الرجل الأمريكي... الصفقة التي لا أعرف بالطبع شيئاً عنها، سينزعج بجدية؟

هاكستابل: (منضما للمعركة) "كيتي"... لا أرى سبباً يوجب علي الحضور. لو أن "قنسطنطين" اختار أن يظهر... فهذا شأنه وعمله... لست أحتاج أن أتكلم إليه مباشرة... هذا ما أقول.

م. هاكستابل: (تقذف بهذا السهم المختار من مفرداتها) تلاعب، يا هنري!!

هاكستابل: لو غادر إنجلترا للأبد...

م، هاكستابل: ولكنك تتصرف كما يحلو لك طبعاً.

هاكستابل : (كثييا مرة أخرى) وأحب أن تكوني مقتنعة .

م.هاكستابل: لا تراوغ يا هنري! .. ها هي أختك تخلي الغرفة . من الأفضل أن نسقط الموضوع . (وفي دخلة السيدة "مدراس" ، يحصل السيد "هاكستابل" علي ما يمكن أن يعتبره بشكل أو بآخر ، مخرجا كليا)

هاكستابل : والآن .. إذا كانت "آماليا" هنا تعزم أن تراه ..

م.هاكستابل: هنري!! .. قليلا من التفكير!

هاكستابل : (ينقر علي الحقيقة) حسنا! .. أريد أن أذهب يا "كيتي" ، وهذا كل ما يتعلق بالموضوع . وقد أسقطتُ رفضي ، نعم .. وأوعزت إلي "فيليب" أن يأتي ، ويعاونني بشأنه معك . اعتقدت أنه يمكنه أن يجعله يبدو عملا ملحا .. ولا يمكنه أن يجرح مشاعرك أقل جرح لأنني كنت سأخبرك به فيما بعد ، أو ربما تسرب إليك بطريقة ما . حسبي الله!! ها هي دار مدراس ، التي أغرقت فيها أموالا كافية خلال السنوات العشر الأخيرة لأبني منه سفينة حربية ، تقريبا ، سفينة حربية صغيرة .. كما تعرفين .. سيباع ، لأن فيليب لن يقف بجانبني ، وأبوه لا

يهتم بتفصيلة صغيرة الآن . لا شيء إلا أن "قنسطنطين"
- في كل الأحوال- كي يتزوجك يا "أميليا"، تصرف
كدوق وملاك كبير ، خليط ، لثمانية عشر شهرا ، وبعد
ذلك

م. هاكستابل: (بأداة الاستهجان أمام الزوار) هنري!

هاكستابل: ليكن . . ليكن!. أنا لن أكون حاضرا هذا الاجتماع ، لو
سمحت .!(تنحسر الزوبعة)

م. مدراس: ستباع الدار ، أليس كذلك؟

فيليب: نعم يا أمي . .

م. مدراس: (إلي أخيها) بدأ بمالي ، وبمالك . .

هاكستابل: يستردها . . ولا يستحق ملاحظة

فيليب: نعم يا أمي . . نعرف .

م. مدراس: وإذا كان ذلك كل ما خسرت به بسبب "قنسطنطين"،

فلمست أري أنك علي حق في أن تشعر بكل هذه المرارة

ضده .

(مازالت تتجاهل السيد "هاكستابل" ، فرحة تماما ثانية ،

تستمر بشيء من اللين)

هاكستابل: تعرف يا ميخور "توماس"، أن منذ عشرين سنة مضت، عندما بدأت هذه الدكان في أن تكون حديث لندن، كان معروفا أن الدوقات يذهبن له، بكل النوايا والمقاصد، بل وتجيئن علي ركبهن، ليصمم لهن ثوبا. وما كان يفعلها إلا حين يحس بالمتعة، لا حين يرتضي شخصياتهن.. كان مجتمع الإعلان كله رهن إشارة من إبهامه..

م.هاكستابل: (من قمة الاحترام) لا شك أنه يعرف شغله..

هاكستابل: (في نشوة) يعرف شغله!.. يعرف شغله!!، يا بني في الأيام الخوالي.. كان مطلوبوا في كل مكان مثل واحد منهم تقريبا، الأول من نوعه الذي يكسر هذا الحاجز الطبقي. تعرف أنه في اعتقادي لو كانت السيدة "جلادستون" أصغر ثلاثين سنة، وامرأة علي الموضة.. لأمكنه أن يحظى بلقب فارس..

م.هاكستابل: (بوضوح) كان زائفا بالنسبة إلي زوجته يا هنري.. بهذه النقطة يصبح "هاكستابل" رجل أخلاق مرة

أخرى . وهذه التغيرات المفاجئة ، تشبهه تماما . إنها أصلية ، ولكنه نصف واع فقط بتحولاتها المفاجئة) .

هاكستابل : نعم أعرف . . وقد فعلت "أمي" ما كان ينبغي أن تفعله .
وكما ترى ، لم تكن الحالة عادية يا ميجور "توماس" .
كان ثمة بنات في الدكان ، وبالرغم من ذلك أخذهم خارج الدكان . وهذه وصمة علي التجارة كلها . رجل في مثل مركزه . . . لا يمكن أن تتغافل ذلك .

م. مدراس : (مؤكدَة نفسها علي نحو شاحب) كان يمكنني أن أتغافل ذلك لو أنني اخترت . .

فيليب : (وقد رأي أن كل أولئك عقيم ويتسم بالحمق) أمي العزيزة ، كنت تعيسة مع أبي ، وقد تخليت عنه . . الأمر كان جد بسيط . .

م. مدراس : عفوا فيليب . . لم أكن تعيسة معه . .

م. هاكستابل : أمي . . كيف يمكن أن تكوني سعيدة مع رجل لم يكن مخلصا لك؟ يا للهراء!! ("جين" و"جوليا" من الشرفة يجدان أن النافذة مغلقة ، ينقران بأظفار أصابعهم علي الزجاج . حدة الصوت تنبه السيد "هاكستابل" مرة

أخرى)

هاكستابل: لا.. لا.. لا يمكن أن تدخل (بيدي حركة من فمه لهما عبر النافذة) لا يمكن أن تدخل ("جين" ترد بحركة من فمها) ماذا؟ (ثم يتوارد إليه المغزى ، فينظر إلي ساعته) لا ، ليست هي .. دقيقتان حتى الآن (ويستدير بعدما يخرج عقله البريء من هذه المناقشة غير المناسبة . ولكن في هذه اللحظة نفسها تدخل "لورا" من الباب ، فيتبدد صبره) أوه! اللعنة .. حسنا .. معذرة! (ثم في تأدب يائس) اسمح لي أن أقدم ابنتي "لورا" ، الميجور "توماس" لورا: (تستجمع نفسها) لقد تقابلنا يا أبي ..

هاكستابل: (معطيا إشارة بالصعود) حسنا! .. كيف أتكلم .. وهناك الكثير منكن!!

م. هاكستابل: (بجدة) أعتقد يا هنري ، من الأفضل أن تذهب إلي اجتماع الغد ..

هاكستابل: (مكتئبا للحظة) تعتقدين أنني يجب أن أذهب؟

م. هاكستابل: تعرف أنه لا يجب عليك ..

هاكستابل: (يواجهها برجولة) لا .. لا أعرف ، أنه لا يجب علي ..

ليس من السهل معرفة ما يجب وما لا يجب ، كما تقولين دائما يا "كيثي". أتصور أنني لا بد وأن أفعل شيئا خاطئا ولو مرة ، وأري ما يمكن أن يحدث ..

م. هاكستابل: هنري ، لا تقل مثل هذه الأمور .

هاكستابل : (بشكل متعقل إلي "توماس") حسنا .. منذ أن ألمّ بي المرض .. (ولكن في هذه اللحظة تدخل "إيما" ، و "ميني" ، وتجد "جين" ، و "جوليا" أن مفاهم غير معقول إلي حد ما ، يطرقان بشدة علي النافذة ، والسيد "هاكستابل" يعطي إشارة ثانية بالصعود)

م. هاكستابل: أوه! ، دعهم يدخلون يا فيليب .. هنالك رفيق جيد!!

توماس : اسمحوالي (ويتقدم ليفتح لهن)

إيما : (بهشاشة) أوه!! .. ما الذي كان يجري؟

م. هاكستابل: لا عليك يا إيما .. (تقولها إلي "إيما" ، كما كانت تقولها

لطفلة في الرابعة ، وفي هذه الأثناء يتعافى "هاكستابل")

هاكستابل : أتعرف يا ميجور "توماس" إن "قنسطنطين" أمكنه دائما

أن يفوز عليّ في الصغائر ("جين" تلمح "ميني" ، وبغلظة

تعبر عرض الغرفة ، تعلن مأساة)

جـين : "ميني" .. ضفدعتك ماتت .. في الغرفة الزجاجية ..

مـيني : (شاحبة) أوه .. عزيزتي!!

هاكـستابل : وبعد الخلاف بدأت أكتب إليه بصفته السيد العزيز ،

والتي هذا اليوم يرسل خطابات عمل إليّ تبدأ بعزيمي

هنري!! ("ميني" تهرع إلي غرفة اثوت الزجاجية)

جـين : أنا دفتته ..

هاكـستابل : براحتة دائما .. كما تعرف .. (يهرب منه "توماس" .

ينحني "فيليب" علي أمه ، بشكل أكثر عطفًا)

فيلـيب : سأحاول أن أراك مرة ثانية قبل أن تعود إلي "بوجنور" ،

يا أمي . (في هذه اللحظة يدق جرس . جرس هائل تحبه

الطبقة الوسطي الإنجليزية التي تقيم بيوتا تبدو صغيرة

صوت أجوف ، يطن في بطنه الفارغة . "جين" التي لم

تبدل ثيابها بعد ، تعلن صوتا ملتاعا خفيفا وتندفع نحو

الباب ، وتصطدم مع "كلارا" المهندمة . السيدة

"هاكستابل" تهز إصبعها)

م.هاكستابل: تأخير مرة أخرى ، يا "جين" ..

فيلـيب : سرحل يا خالتي "كاثرين" ..

م. هاكستابل: (بإنسانية عامة لم تبدها من قبل) فيليب . . لا تظن أبدا أنني أنتوي أن أكون منصفة بشأن أبيك . ولكنه جعل أمك جد تعسة ، حين كنت صغيرا جدا لتعرف شيئا عن ظلمه لها . . وهناك مثال للآخرين ، أليس كذلك؟

فيليب: نعم ، بالطبع . . خالة كاتي . أعرف بالضبط شعورك نحو هذه المسألة . . . ولا أنا مغرمٌ به . (لابد وأن فيليب مستاء قليلا ، وترد بالعودة فورا إلي تكوينها الظاهر ثانية)

م. هاكستابل: ولدي العزيز . . وأبوك! (من الشرفة ، تسمع إشارة تسلية "جوليا" مع الرائد "توماس" . كلاهما كان يحدق في الأفق)

جوليا: نعم ، الجو ينذر بالمطر . . عندما تري السماء صافية علي هذا النحو .

(رسائل الاستئذان للرحيل تبدأ الآن)

فيليب : أراك غدا عمي "هنري" ..

هاكستابل : نعم ، أعتقد ذلك .. أوه .. وفيما يتعلق بالمسألة
الأخرى ..

فيليب : ماذا يمكنني أن أفعل ؟

هاكستابل : سأتصل بك تلفونيا في الصباح ..

فيليب : إلي اللقاء يا أمي ..

توماس : إلي اللقاء مدام "هاكستابل" ..

م.هاكستابل : (بإنعاش نهائي لللياقة والأدب) أمل أن تغفر هذه

المناقشة العائلية ، ميجور توماس . ستحدث أحيانا ..

توماس : كنت مستمتعا جدا .. ("ميني" تعود حزينة من مقبرة

الضفدع)

فيليب : إلي اللقاء "كلارا"

كلارا : إلي اللقاء يا فيليب ..

هاكستابل : أئن تبقي حقا للعشاء .. ؟

فيليب : إلي اللقاء يا لورا ..

توماس : شكرا جزيلاً . . لا ، نلتقي في الغد (الرسائل العامة
تسارع ، والجوقة تبدو مضطربة)

لورا : إلي اللقاء ..

توماس : إلي اللقاء ..

جين : إلي اللقاء ..

توماس : إلي اللقاء ..

فيليب : إلي اللقاء "إيما" . . . أوه ، معذرة .. (هنالك اضطراب
الأيدي المتقاطعة . انسحابات ، أعذار . . دوس علي
أصابع الأقدام . . مزيد من الاعتذارات)

إيما : مع السلامة رائد توماس

فيليب : والآن مع السلامة يا إيما . .

توماس : بالسلامة مدام مدراس . .

فيليب : مع السلامة ..

توماس : مع السلامة (تستمر جوقة الرسائل العامة حتى يهرب
كل من "فيليب" ، و "توماس" ، إلي مركباتهم وغذائهم ،
بينما تجلس عائلة "هاكستابل" بكل مراسيم عشاء يوم

الأحد: لحم بقري مشوي ، نبات فجل الخيل ، حلوى
يوركشاير ، بطاطا ، كرنب بروكسيل الصغير ، فطيرة
تفاح ، مهلبية ، كريم ، جبن وحلوي)

(الفصل الثاني)

(مكاتب عمل مؤسسة "روبرت"، و"هاكستابل"، وقد تجمعت في الدور الأول، في مكان ما خلف بيت الأزياء الكبرى. غرفة الانتظار. . . الغرفة التي يجلس فيها موظف برجفة الإعداد لاجتماعات رب العمل. . . بجانب هذا المشهد الصامت الأكثر بؤسا من أي مكان علي الأرض، هي واحدة من أقبح الغرف التي يمكن أن تطرأ علي عقل البناء والمقاول. أربعة حوائط من الطوب أو الجص، ومقاعد تحيط بها، جعلت منها غرفة انتظار خالصة وبسيطة. ولكن يد صانع المال القبيحة كانت فوقها. أما شخصية المقاول، فقد طبعت علي الغرفة التعسة- خلافا لكل الأخريات- كل ما يمكن يغفر سعره ويخفي رجه. فإذا بدأنا بالحوائط، كانت من الأخضر المخلوط غير الكريه، ولكن قد تبدو بسيطة ورخيصة، وقد أضيف إليها إفريز من اللون الحجري اللطيف، وتوَّجت بكتابة علي أحد الأنماط الإغريقية بالأحمر القدر.

والمدفأة مصممة- فيما يبدو- لتستنزف كمية العمل القصوي الممكنة من الولد التعس الذي ينظفها، وهو نفسه مستخلص من منافسة رصت بشكل جيد السواد. أما رف المدفأة، فخبير فقط في مثل هذه الفضاءة يعرف مما صنع، ولكنه يدعي- بمعاونة قفزات دودية الشكل من الدهان- أنه من الرخام الأسمر. قد توحى بالارتياح كثيرا، ولكنها مهينة للكرامة جدا، وينبغي تنظيفها، ولكن لا يحدث عادة.

الخطوط المربعة للنافذتين الطويلتين، التي تطل علي أعمدة تهوية من طوب المرافق الصحية، أفسدها بعناية ألواح الزجاج العلوية التي اتخذت شكلا بيضاويا. الباب نصف الزجاجي الذي يفتح من الممر، يتخذ شكلا خاطئا، والباب المبطن بالجوخ الذي يفضي إلي غرفة "فيليب"،

يتخذ لونا خاطئا .

وبعد ذلك يأتي التأنيث! تلك الكراسي الصفراء المنجدة بقطيفة قطنية من لون لحم الإوز الأحمر ، وتلك الأريكة ذات الظهر من القطيفة وضعت بين النوافذ معرضة لتيارات الهواء . وهناك منضدة مكتب معقولة في منتصف الغرفة . وعلي الحوائط ، أولا: صور فوتوغرافية للسيد "روبرت" و"هاكستابل" . "روبرت" رجل من "ويلز" ، ويشبه أهلها ، لا كتاجر أقمشة ناجح في لندن ، ولكن بماله من سماتهم . وهناك صورة مثالية أيضا للمباني ، وإن تكن فعليا تخطيط إعلاني عنهم . وهناك لوحة زى عمرها عشر سنوات: عشرون سيدة مكتملات تعين بوظائف ملائمة للمرأة ، أو هادئات يفتقرن لأي منها . وهناك تقويم ضمان ، يعد الشيء الوحيد الذي ينتمي للجمال بالغرفة . وعلي رف المدفأة يقبع دليل لندن ، القطعة الوحيدة باللون الحقيقي . ويد صانع المال التي انتزعت من النمط الإغريقي المنحرف علي الحائط ، استقرت أيضا علي الأربعة الذين يجلسون في انتظار السيد "فيليب" ، ظهيرة يوم الاثنين ، ولتشويه مظهرهم جميعا بدرجة أو بأخرى .

السيدة "بريجستوك" تجلس بجمود علي الأريكة القطنية ، وترتدي قبة ملفوفة ومعطف وتنورة ، ويمكن للمرء أن يخمن أنها موظفة كتابية من نوع ما . إنها تفتقر إلي اللون ، والارتياح . . وإذا توقف المرء معتقدا أنها امرأة جميلة ، فلن يراها مفتقرة إلي شيء . ولكنها نتاج خمسة عشر عاما من ساعات العمل الطويلة ، وقليل من الغذاء . وبالتأكيد لا تبدو في هذه اللحظة في أفضل أحوالها . إنها تجلس وقد ثبتت يدها ذات القفاز ، تسحب خيطا طليقا ، وأحيانا تعقده . وفيما عدا ذلك تعض شفيتها ممطوطة الوجه ، تحديق أمامها بلي عينها ، وأحيانا نحو زوجها الجالس

علي كرسي بلا ارتياح ، علي بعد بضعة أقدام .

وإذا شئنا أن نقيم حجم السيد "بريجستوك" ، فلا يمكن للمرء أن يقول شيئاً ضده ، فمركز الرجل الثالث في قسم الجوارب والثياب الداخلية ، لا يتطلب أية مواهب خاصة ، وإذا كانت لديه مثل هذه المواهب فلن تبقى طويلاً . السيد "بريجستوك" يظل في موقعه ، الذي يحتويه كما يحتوي ملايين مثله ، فإن قلنا إنهم في شبابهم كان لديهم الطاقة للدخول إلي موقعهم ، فقيماً بعد يعانون من الذعر . . أو أحياناً لأن أرباب أعمالهم ليس لديهم القلب لطردهم . . فيبقون في مواقعهم . ورغم ذلك أحياناً ، يمتلك أرباب العمل مثل هذا القلب فيفعلونها . ماذا يحدث بعد ذلك؟؟ باعتبارها رجلاً بدلاً من كاسب أجر . . ليس من المعتاد لنا أن نعتبره كذلك . . إنه واحد من أولئك الذين - علي نحو لا يخلو من سعادة لأنفسهم - يتزوجون من النساء اللاتي لا يرغب كثيراً رجل آخر أن يتزوج منهن . وخضوعاً لما يعمل فيه ، يرتدي مثلما يجب أن يرتدي الرجل الثالث في قسم الجوارب والثياب الداخلية . وهو - في هذه اللحظة نفسها - مهتاج مثل زوجته ، ولما كان لا يملك القوة العصبية التي يهتاج بها ، فهو في حالة بؤس أعظم .

في الجانب الآخر من الغرفة تجلس الأنسة "شانسلر" . إن كل تاجر جوخ ذا معيشة كبيرة ينبغي أن تكون له مدبرة منزل بعمر معين ، يمكن أن تجسد في شخصيتها المزايا التي ستوقعها في شابات أصغر منها . فالحشمة والياقة ، رزانة التفكير ، التنظيم ، واحترام الناس ، كل أولئك من القيم اللازمة عموماً في مساعدة إنقاذ متجر ، وتشع بها الأنسة "شانسلر" . إنها قيم أصيلة فيها أيضاً . إنها تستقر الآن في مقعدها باعتبارها بقدر ما يمكن ، وفي سلطة بسيطة ، ولكن تتطلع بدقة وعناية ،

وقد يظن المرء أن الاستياء الوقور ما يبقيها بلا حراك .

في منتصف الغرفة ، بجوار منضدة المكتب ، تجلس الأنسة "ياتيس" .
بينما ينتظرون كل هذا الوقت الطويل ، فالثلاثة الآخرون يحاولون
بصعوبة أن يبعدوا أعينهم عنها . ولم يكن الأمر سهلا ، جزئيا لأنها في
منتصف الغرفة ، وهم ليسوا كذلك . ولكن علي أية حال وفي كل
مكان ، فالآنسة "ياتيس" تعد الشخصية التي تتطلع إليها ، ومع ذلك يمكن
بجهل أن تتساءل عن السبب . إنها بلا شك جميلة ، ولا تحاول أن
تجتذبك ، ولكن تتطلع إليها كما تتطلع إلي نار أو ضوء في حجرة خالية .
إنها ليست من طبقة راقية ، ولا هي جيدة التعليم ، وعشر سنوات
كمساعدة متجر تركت بصماتها عليها . ولكنها خبرة . برؤية العين تتألق
في هذه الغرفة مثل فحم حي .! فيها عبقرية . . ولها حياة وإن كانت
منخفضة المستوي ، يمكنها ، أو يمكن لعالمها ، أن يوظفها . وعامة الناس
خاملون بجانبها .

إنهم ينتظرون في صمت ، ويتصاعد التوتر . وأخيرا يتنهدون بارتياح
لوصول "فيليب" . يدخل في عجلة ، وعليه قبعته ، وعددا من الخطابات
المغلقة في يده . يهتمون لاستقباله بدرجات متفاوتة من الاحترام
والتوجس .)

فيليب : صباح الخير آنسة "شانسلر" . صباح الخير آنسة "ياتيس"
صباح الخير "بريجستوك"

بريجستوك : (يقدم زوجته) السيدة بريجستوك . . ("يومئ "فيليب"
بسرور إلي السيد "بريجستوك" التي تزم شفيتها بطريقة لا

تخلو من حنق وخوف ، وتجلس ثانية: ثم يضع قبعته
علي رف المدفأة ، ويحتل بنفسه الموقع الرئيسي علي
منضدة المكتب)

فياييب : أخشي أن أكون قد أبقيتكم في الانتظار قليلا . حسنا ،
والآن .. (هناك طرق حاد علي الباب) ادخل . (إنه
"بيلهافن" في السابعة عشر من عمره ، ربما ، ترقى من
خادم مكتب إلي كاتب ، ويعد من النمط العادي . يحبيه
"فيليب" بسرور) أوه ، صباح الخير بيلهافن

بيلهافن : أدخلت الميجور "توماس" في حجرتك ، يا سيدي .. كما
أن الأوراق هناك . ولكن حجرة السيد "هاكستابل"
خالية ، فإذا أردت أن ..

فياييب : لا ، هذه تفي بالعرض ..

بيلهافن : قال الميجور "توماس" إنه يود لو تحدثت إليه لدقيقة ،
بمجرد حضورك ..

فياييب : سأدخل إليه الآن ..

بيلهافن : شكرا يا سيدي ..

فياييب : (إلي المنتظرين الأربعة) اسمحوا لي بدقيقة واحدة ، من

فضلكم . ("بيلهافن" يعود إلي مكتبه الخارجي من أحد الأبواب . . طريقته في الفتح والمروء منه تعد اختراعا موفرا للجهد . "فيليب" يتخذ طريقه إلي "توماس" من الباب الآخر . يعم الصمت علي الأربعة لثانية ، ويطبق عليهم توتر أكثر مما كان . وأخيرا ، السيدة "بريجستوك" الأقل قدرة علي احتماله تتلملم ملتوية في يأس ، ينظر إليها "بريجستوك" باستهجان ويقول)

بريجستوك : هل تجلسين هنا يا "فريدا" ، لو كنت تشعرين بتيار الهواء؟ (يعم الصمت ثانية ، إلا أن "فيليب" الذي يدخل من الحجرة الأخرى ينتهكه ، قاذفا من أعلى كفيه آخر كلماته القليلة مع "توماس" : "عظيم جدا يا "تومي" . (إن "تومي" دائما ما يرفه عنه بسرور ، حتى أثناء العمل الممل . ثم ينتصب للمرة الثانية خلف منضدة المكتب ، طيبا في محاولة للاسترضاء)

فيليب : حسنا ، والآن . . (السيدة "بريجستوك" ، ما أن تسمعه ،

حتى تقرر أن تسمح بذلة لسان تعبر عن سيل غضبها)

م. برجستوك: هذا افتراء ، يا سيد "مدراس" ، وطالبت بإزالته علي الفور . . قبل أي شخص آخر . . في الصحف

العامه بالإعلان . .

برجستوك : (في همس معذب) أوه ، فريدا . . لا تكني متهورة هكذا .
("فيليب" بارد بشكل متعمد ، وبمزاج رائق)
فيليب : آنسة "شانسلر" . .

آ. شانسلر : (باردة علي نحو أكثر تعمدا ، ووقورة) نعم يا سيدي . .
فيليب : أعتقد أنه أمكننا أن نخبر السيدة "بريجستوك" ، أننا نأسف
أن الاتهام أصبح شائعا بهذا الشكل . . ومن الطبيعي أن
يسبب لها بعض الألم .

م. برجستوك : (مصعدة الانفعال) لست أصدق الاتهام . . لا أصدقه ،
وإذا كنت أصدقه . .

بريجستوك : (متدخلا) أوه ، فريدا!!

آ. شانسلر : (بشكل جد محدد) لقد رأيتهما يقبلان بعضيهما . ولا
أعرف أن السيد "بريجستوك" رجل متزوج . وحتى لو
كنت أعرف . . رأيتهما يقبلان بعضيهما . .

آ. ياتيس : (تفتح فمها لأول مرة ، وتكشف عن نفاذ صبر بسيط ،
من غضبهم وهيئاتهم أيضا) أوه . . أي نوع من

القبلات؟

آ. شانسلر: وهل هناك أنواع مختلفة من القبلات يا آنسة "ياتيس"؟

آ. ياتيس: حسنا.. ألا يوجد؟

م. برجستوك: (تصبح صارخة الآن) يعترف بأنه فعل ذلك.. ويعرف

أنه ما كان ينبغي أن يفعلها، وسألني أن أغفر له.. يخص

من هذا إن لم يخصني؟؟

بريجستوك: (يتدخل بلا جدوى هذه المرة) أوه.. فريدا

م. برجستوك: (تقفز إلي المستيرية) لتتركه الفتاة الوقحة.. الوقحة..

الوقحة!

فيليب: (يضيف قليلا من الصرامة إلي بروده) مسز "بريجستوك"..

آ. ياتيس: (متلطفة بقدر ما يمكن) عظيم.. يا سيد "مدراس"، أنا

لا أهتم..

فيليب: ولكنني أهتم. مسز "بريجستوك"، لن أحاول تصفية هذا

العمل، ما لم تحتفظ بهدوئنا.

م. ياتيس: (تشرح ببرود) كنت والسيد "بريجستوك" أصدقاء طوال

الاثني عشر سنة الماضية، دخلنا الشركة معا.. وأعرف

أنه متزوج . . . ربما كنت الوحيدة التي تعرف ذلك .
وحيثما أخبرته . . بكل ما اخترت أن أخبره ، باعتباره ما
حدث لي . . طلبت منه أن يقبلني ، فقط لأتأكد من أنه
لن يظن السوء بي . . . وقد منحني قبلة واحدة . . هنا
(تشير بإصبع واحدة إلى الركن الأعلى يسار جبهتها)
وهذه هي حقيقة المسألة .

فيليب : كان يمكنك أن تقدمي هذا التفسير إلى الأنسة "شانسلر" .

آ. ياييتس : ما كانت لتصدقه .

آ. شانسلر : ولست أصدقه . .

م. برجستوك : (تستجمع قوتها) وليام! . . وليام! . . وليام . .

بريجستوك : (يحتشد بقليل من السلطة) فريدا ، اهدأي . . ألم أقسم

بذلك علي التوراة لك؟

آ. شانسلر : (تطرح الآن قضيتها) يمكنني أن أقول إنني عرفت شابات

أخريات في مازق ، وما إذا كن تصرفن بشكل صحيح أو

غير صحيح في هذه الظروف . . عرفتهن يتصرفن

بكليهما . . . إنهن لا تثقن في أصدقائهن المحترمين . . .

بدون أسباب معقولة .

فيليب: لا يوجد سبب لأن تفقدن الثقة ، يا آنسة "شانسلر"

آ.شانسلر: لا تثقن .

آ.ياتيس: حسنا .. أنا وثقت ..

آ.شانسلر: لا رغبة عندي في إثارة فضيحة . لا أعرف كيف حدثت .

آ.ياتيس: سلي صغيرتك المفضلة ، الآنسة "جوردون" ، كيف

حدثت ..

آ.شانسلر: (هذه الطلقة تدوي فيحتد صوت "شانسلر") سيد

مدراس "لو أنني سأتهم بالمحسوبية

فيليب: نعم ... نعم .. لن نخرج عن الموضوع فيما أعتقد

آ.شانسلر: إن لم يكن السيد "برجستوك" ، الرجل ...

م.برجستوك: (وقد مسها الريح) وليام!!

آ.شانسلر: لما لا يتعين عليها أن تخبرني ، بمن فعلها معها؟

آ.ياتيس: ولما أخبرك؟؟

آ.شانسلر: أأست هنا لأهم بأخلاق أولئك الشابات ، أم لا؟

م.برجستوك: مجموعة الشابات الوقحات ..

بريجستوك : (في معاناة) فريدا . . ستسبين في إعفائي من العمل!

فيليب : بريجستوك . . لو أنني أردت أن أعطي الإعفاء لأي أحد ،
لما تعين عليّ أن أمضي في مناقشة المسألة معكم جميعا -
فيما آمل - بطريقة معقولة .

م. بريجستوك: (بالغة الاستياء من المعقولية ، تقف الآن لخوض معركة)
أعطه الإعفاء من فضلك ، يا سيد "مدراس" ، إنه الوقت
الملائم ليراعي مصلحته . .

بريجستوك : لا ، يا فريدا . .

م. بريجستوك: وجدت طريقك لتكون في الدنيا ، أليس كذلك؟ ، وصل
إلي البداية علي حسابك ، مثل الآخرين ، أليس كذلك؟

بريجستوك : (شاعرا بالأمان ، وموقفه يتبدد) بمرور الوقت ، يا
فريدا . .

م. ريجستوك: وهذا وقته . إن لم تكن مريض الحياة ، فلتتول أمر
نفسك . . تراني مرة أسبوعيا لساعة أو اثنتين وبعدها أنا
أكون . وهذا التشهير والافتراء ، ينبغي أن أعتقد ، أنه
يدوي حول القشة الأخيرة

فيليب : منذ متي وأنت متزوجة يا مسز "بريجستوك" ؟

م. برجستوك: أربعة سنوات . .

فيلسيب: أربعة سنوات!

م. برجستوك: (محبطة قليلا بكياسته المطردة) أربعة سنوات!

فيلسيب: (بنفاذ صبر ذاهل) عزيزي "بريجستوك"، لماذا لم تأت إلي الشركة وتخبرهم؟ كان ذلك يكفل ترتيب الأمر لتعيش مع زوجتك . . .

بريجستوك: حسنا، كنت أفكر في هذه المسألة مؤخرا يا سيدي، ولكن لم يبد لي أبدا أنني وجدت اللحظة المناسبة. أخشي ألا أكون صالحا للعمل في قسمي بالمبيعات . .

م. برجستوك: لا عيب فيه . .

بريجستوك: وأحيانا شيء صغير جدا يصنع الفارق بين بائع رائع وآخر باق . . . عندما يصفى كل أولئك الذين لا يكونوا مرغوبين، بعد وقت البيع، أعني علي سبيل المثال. والثلاثون "باوند" سنويا- بالطبع- يسمحون لك أن تعيش علي ما يقيم أودك . . لا فائدة من أن أقول إنهم يقيمون أودي . . وحين تكون متزوجا . .

م. برجستوك: (التي تستجمع شكاواها ثانية) أوفق علي هذا. فعندي

مهنتي أيضا . وكنا ندخر أسرع كانت مدخراتنا ثلاثمائة باوند الآن ، لم تكن سوي مبلغ ضئيل .. ويكفي لبدأ به . ولقد وضعت عيني علي المبني ، إنه قريب من هنا ، لم أهتم بأن أخبرك .. لما لا ينبغي أن نعمل مثل الآخرين .. ونركب عربة لنا ، حين يصبح دخلنا خمسون باوند سنويا !

بريجستوك : (مستنكرا مثل هذا التفاؤل المفرط) حسنا .. سألت النصيحة ..

م. برجستوك: تفكر كثيرا في النصيحة . ويا ليتك تقدر نفسك علي نحو أفضل! أعطه الإغفاء من فضلك ، يا سيد "مدراس" ، وسأقول لك شكرا .. (تنتهي ، وفجأة توافق الأنسة "يايتس" علي هذا الجزء من الحكاية تماما عمّ عداه)

أ. يايتس : سألني النصيحة وقلت له أن يبقي حيث هو .

م. برجستوك: (وقد انقطع نفسها) أوه! حقا!!

أ. يايتس : إنه مستقر بقدر ما يمكن . ولكن مظهره ضده ..

م. برجستوك: (تستعيد نفسها) حسنا ، لست مستقرة ..

بريجستوك : البائع يفكر في المستقبل يا "ماريون" ..

آ. ياتيس : ما كنت لأفكر لو كنت مكانك . لا أدري إلي أين كنا نصل ، لو كان دخلنا خمسين ! . لم ألتق أبدا بأي إنسان فكر في المستقبل ، ولسنا أصحاب محل لفترة أطول ، معظمنا ، أليس كذلك ؟ ولا نركب عرباتنا . .

م. برجستوك : أتصور أن هذا ممكن أن يحدث . .

آ. ياتيس : مباني بالقرب من هنا ، وثلاثمائة باوند . . حماقة تامة ، و " وليام " ، كان لابد أن يعرف أن الأمر كذلك . هذه الشركة ستبيعك برخص التراب ، وتلتهمك وتلتهم عشرة مثلك . والمكان الذي يعتمد علي مدخراتك ، سيبيع كل قشة ، وستكون هناك في الخضيض . نصحته أن يعترف لك (تومى إلي السيدة " بريجستوك ") ويعيش ، ويبدل ما في وسعه .

م. برجستوك : (أكثر انغمارا في الماء البارد مما ستعترف) أنا ملتزمة برأي . . واثقة . . . وعندي رأي

فيليب : (الذي كان يدرسها بقلق إلي حد كبير) أليس لديك أطفال ، يا مسز " بريجستوك " ؟

م. برجستوك : (التي تبهت) لا . . ليس عندي أطفال . كيف يمكنك

الادخار وعندك أطفال؟ ولكن لو أن طفله سيكون لهذه
الوقحة ، واعتقدت أن الله لن يسقطه ميتا علي الفور ،
لأسقطه بنفسه . . ويعرف أنني كنت لأفعلها .

بريجستوك : ألم أقسم لك يا فريدا؟

م. برجستوك: وكيف أتأكد إذا ما كان ينطق بالحقيقة . . أسألك كيف
أتأكد؟ إنني أرقد متيقظة بعيدا عنه طوال الليل ، حتى
أكاد أصرخ من التفكير في الموضوع . وأصرخ عاليا بقدر
ما أستطيع . . لا توقظي البيت . وإن لم يفتح أحدكم هذه
النافذة سأنفجر . .

فيليب : افتح النافذة من فضلك سيد "بريجستوك" . . (صوت
"فيليب" جاد ، ومع ذلك لم يقل إلا شيئا بسيطاً . يفتح
"بريجستوك" النافذة كما قد يفعل رجل في حجرة مرض ،
بلا حيلة ، وذاهلا قليلا . ثم يستدير عائدا إلي زوجته
التي تجلس وقد مالت برأسها علي الظهر الحاد للأريكة
الفاخرة ، مغلقة العينين ، مفتوحة الفم . والآنسة "ياتيس"
فقط ، متأهبة بقليل من الارتياح العملي)

آ. ياتيس : انظري إلي . . لا تقلقي نفسك . كان يمكنني أن أتزوج

"وليام" ، لو أنني أردت ، وهذا ينبغي أن يكون برهانا
كافيا .

بريجستوك : وهناك أنت يا فريدا

آ. ياتيس : قبل أن يعرفك . .

م. برجستوك : (تفتح عينيها) هل طلبتها؟

آ. ياتيس : لا . . لم يطلبني أبدا ولكن تعرفين ما أعني . (تعطي

تأكيدا علي ما تعني ، بما يخشى المرء أن يصفه بأنه غمزة .

تنظر السيدة "بريجستوك" إلي "بريجستوك" الموافق علي ما

قيل ، وتعترف بالورطة)

م. برجستوك : نعم . . أعرف . أوه ، لم أصدقه حقا . (تستريح ، وتجذ

منديلها وتتمخط ، وبعدها تستفسر الأنسة "شانسلر" ،

بصوتها الأكثر أدبا ، وقد كانت جالسة في صمت طوال

هذا الوقت وساخرة)

آ. شانسلر : أمازلت ترغب في أن أبقى يا سيد "مدراس" ؟

فيليب : لحظة واحدة . .

آ. ياتيس : أوه ، ستعذر سندي يا سيدي (وتدور إلي المنضدة ثانية)

فيليب: لا أعتقد أنني أحتاج لاحتجازك لفترة أطول يا سيد "بريجستوك"، ولا زوجتك. إن شخصيتك واضحة تماما الآن في عين الشركة، يا سيد "بريجستوك"، وسأبحث تلك الترتيبات التي أعدت لك لتعيش فيها في المستقبل. إنني أعتذر لكليكما عن كل تلك الكراهية. (يهم كلاهما عند هذه اللحظة، ويبدأ "بريجستوك"، في تردد)

بريجستوك: حسنا.. شكرا.. سيدي.. و..

م. برجستوك: لا، يا وليام..

بريجستوك: ليكن، فريدا.. ليكن (يكافح في حديثه المعد) إننا ملتزمون جدا بكم يا سيدي، ولكن لا أري كيف يمكنني البقاء في الشركة، ما لم يكن هناك، بالنظر إلي الاتهام الذي وجه إليّ، مراجعة..

فيليب: (قريبا من نفاذ صبره) رجلي الطيب.. سحبتنا الاتهام.

م. برجستوك: علينا..

فيليب: كلام فارغ، مسز "بريجستوك"

م. برجستوك: (تهدي نفسها ثانية) الاتهام في الحقيقة.. كيف تحبه؟

(تصبح بعدها واعية بنفسها) حسنا.. إننا آسفون جدا

للآنسة "ياتيس" ، وأتمني لو كانت متزوجة . .

آياتيس : (بشيء من الذوق) وكذا أنا . . ! (فجأة تنفجر الآنسة "شانسلر" .)

آ. شانسلر: إذن فأنت فتاة شريرة . . لماذا لم تقلي ذلك من قبل . . حين أردت أن أكون طيبة معك؟ ما كان ينبغي لنا جميعاً أن نتكلم بهذه الطريقة الشنيعة المخلة بالآداب . لم أفعلها أبداً في كل حياتي . . لا أدري كيف انقادت لهذه الجلسة . . ألم أحاول أن أكون طيبة معك؟

آ. ياتيس : (غير مقهورة) نعم ، وحاولت أن تبكي عليّ . لا . . . لا أتمني لو كنت متزوجة .

بريجستوك : بالطبع لا تقوليها لي ، يا "ماريون" ، ولكنه الأسلوب الذي ستبعينه الآن لإخراص ثروة الشابات الأخريات؟ (نغمة الخلاف تحتد الآن بشكل خطير إلي حد بعيد)

م. بريجستوك: كيف سيبقى السيد "بريجستوك" في الشركة ، لو بقيت الآنسة "شانسلر"؟

فيليب : هذا شغلي ، يا مسز "بريجستوك"؟

آ. شانسلر: ماذا . . . بعدما رأيتَه يقبلها . . . يقبلها!

م. برجستوك: وليام!

فيليب: هذا تم تفسيره ..

آ. شانسلر: لا، يا سيد "مدراس"، مادمت أنا المراقبة، فلن أسمح
بالتصرفات المنحلة. لست أصدق كلمة واحدة من هذه
التبريرات.

فيليب: هذا محض عناد يا آنسة "شانسلر" ..

آ. شانسلر: وبشكل شخصي، أود لو كررت كل شيء قلته. (والآن
يتدنى الموقف إلي شجار)

م. برجستوك: إذن سيتعامل معك القانون ..

آ. شانسلر: يمكنك أن تطردني علي الفور، لو أردت يا سيد
"مدراس" ..

م. برجستوك: هذا تشهير... افتراء!!

بريجستوك: أوه، فريدا... اسكتي...

م. برجستوك: نعم... وستوضع في السجن بسببه ..

آ. شانسلر: لو بقيت الأنسة "ياتيس"، والسيد "بريجستوك"، في
الشركة .. سأرحل ..

م. برجستوك: وستوضع في السجن . . القطة!

بريجستوك : اسكتي ، يا فريدا . . !

م. برجستوك: القطة الشرسة!! . . هل تقسم أن الأمر مختلف يا وليام؟

فيليب: ابعـد زوجتك يا بريجستوك . (عنف " فيليب " المفاجئ

يدفع السيدة " بريجستوك " مباشرة إلي فقد السيطرة علي

نفسها ، وتتجاوزها)

م. برجستوك: نعم . . وبيتعد بنفسه . . يغادر الشركة ، لا بد وأن أعتقد

ذلك ، ومن المؤسف بما يكفي أنك ستكونين أمامنا قبل

أن نخرج ، وسأري ما قد يقوله القانون بشأنها . . ولن

يكون مشروعنا إلا علي بعد مائة ياردة . . وعلي الجانب

الأفضل من الشارع أيضا . . وبنافذة ذات لوح زجاجي

كبيرة مثل نافذتك . .

بريجستوك : اهدأي . . . يا فريدا

م. برجستوك: (في هستيرية الآن) كل ذلك بثلاثمائة باوند ، وكم كان

يملك " مابل " عندما بدأ؟ ، أو " وايتلي " ، . . والأضرار وما

هو أكثر . . وأنا أتحمل الحياة التي اخترتها . . (ينتظرون

حتى تنتهي النوبة . . " فيليب " في نفاذ صبر كظيم . .

والسيدة "بريجستوك" كتلة من نشيج أما "بريجستوك" ففني
اعتذار صامت .. ثم يقود "بريجستوك" زوجته في اتجاه
(الباب)

فيليب: انتظر .. انتظر .. لا يمكنك أن تخرج إلي الممر بهذه
الضجة .

بريجستوك: أوه، "فريدا" .. أنت لا تعنين ما قلت ..
م. برجستوك: (تائبة وفي ارتياح) آمل بكل ثقة لو لم أقل شيئا لا يليق
بسيدة .. لا أقصده ..

فيليب: علي الإطلاق .. من الطبيعي أنك يجب أن تنزعجي ..
م. برجستوك: ونحن ممتنون كثيرا بنواياك الطيبة نحونا ..
فيليب: انتظري حتى تهدأين تماما ..

م. برجستوك: شكرا جزيلا (بلمسة جرح وكرامة واستياء أخيرة تنفض
عنها قبضة "بريجستوك" الخجولة) لا تحتاج أن تمسكني يا
"ويليام" (يتبعها "ويليام" للخارج، لينسى ويجعلها تنسى
كل ما كان بأفضل ما يستطيع . يعود "فيليب" إلي
مقعده، مازال مرحا، وإن لم يكن مسرورا بدوره من
(العمل)

فيليب: أخشي أن تكوني قد وضعت نفسك في الخطأ، آنسة "شانسلر" ..

آ. شانسلر: غالبا ما يقع المرء في الخطأ يا سيدي، أثناء أداء واجبه ..
(ثم يرتفع صوتها فيما يشبه أغنية البجعة) قضيت ثلاثين عاما في هذه الشركة .. فقط ثلاثين عاما . وسأتركها غدا
فيليب: أتمني لو أدركت أنه لن يكون خطأي، إذا ما تعين عليك أن تتركها .

آ. شانسلر: الآنسة "ياتيس"، يمكنها أن تزيل الخطأ، لو تعين فقط أن تقول الحقيقة .

فيليب: (يبذل الآن جهدا آخر ليكون صريحا، وبمودة) آنسة "شانسلر"، هل نقدر الموقف تماما من وجهة نظر الآنسة "ياتيس"؟، افترضني أنها متزوجة ..

آ. ياتيس: لست متزوجة ..

فيليب: ولكن لو قلت لنا أنك متزوجة .. لتعين علينا أن نصدقك ..

آ. شانسلر: لماذا يا سيد "مدراس"؟

فيليب: (بابتسامة) سيكون تصرفا طيبا أن نصدقها . ينبغي أن

نصدق ما يقال لنا في هذه الدنيا

آ. ياتيس : (وقد لحقت به تماما) حسنا .. قصدت أن أنتزع ذلك منك .. لو أراد أي أحد أن يعرفه ، لقد اشترت خاتم زواج ، ولبسته عندما رأيت الدكتور "ويلوباي" . ولكن عندما دخلت علينا بوجهها الكئيب ، وبقولها ، ماذا يمكن أن أفعل لك طفلي المسكينة؟ حسنا .. لم أستطع ... أتصور أن الشيطان أغواني ، وأخبرتها بالحقيقة .

فيليب : ذلك ما فكرت فيه حتى الآن . آنسة "ياتيس" .. هل معك خاتم الزواج هذا؟

آ. ياتيس : نعم .. معي .. إنه ليس من الذهب الحقيقي .

فيليب : ضعيه في إصبعك .. (بعدما تصيد الأنسة "ياتيس" الخاتم من تنورتها الداخلية ، تلبسه في إصبعها بدهشة تقريرا . يستدير "فيليب" مازحا بسخرية إلي الأنسة "شانسلر") والآن .. إلي أين وصلنا آنسة "شانسلر" ؟

آ. شانسلر : أعتقد أننا نسخر بشيء مقدس يا سيد مدراس .

آ. ياتيس : نعم .. ولن أسخر الآن (بعملية انفعالية مباغته ، تخلع الخاتم وتدق به علي المنضدة ، يتأمل "فيليب" للحظة

حقيقة أن ثمة بعض الأشياء في الحياة مازالت صعبة
المنال ، وفق منطق المرح)

فيليب : صح .. صح .. التمس من كليهما العفو . ولكن
لنفترض أن المشكلة لم تجر بهذا الشأن آنسة " ياتيس " ؟

آ. ياتيس : حسنا .. لا بد وأن أعاني مرضا لفترة طويلة ، لطيفة .
وهذا كله يتوقف علي ما إذا كنت تريد بما يكفي ، أن
تستبقي مكاني شاغرا .

فيليب : أنت موظفة ذات قيمة للشركة ..

آ. ياتيس : حسبت أنك تريد هذا . إن الآنسة " ماكلنتاير " يسرها أن
تشغل مكاني قليلا الآن ، فقد تشاجرت مع خطيبها .
بالطبع ، إذا ما كنت تعمل فقط خلف طاولة البيع ..

آ. شانسلر : (التي تلتقط أنفاسها الأطول ، من هذا التكبر المحسوب)
هكذا تقلب المسألة بوقاحة عليّ يا سيد " مدراس " ..
وهذا بالضبط ما قلته للسيد " هاكستابل " ، وسوف تغفر
قولي إنه تبنى وجهة نظر جد مختلفة عن المسألة ، عمّ
يبدو أنك تتبناها .

آ. ياتيس : أوه ، لا بد وأن أنصرف الآن ، أنا اكتشفت .. لن أجادل

في هذه المسألة .

آ. شانسلر: (بصرامة) سيد "مدراس" ، أي نوع من الأفكار تتبناه في عقل هذه الفتاة التعسة؟

فيليب: (بلطف كاف) كنت أحاول ولو للحظة أن أضع نفسي مكانها ..

آ. شانسلر: ستسامحي يا سيدي ، إن قلت إنك رجل . . .

فيليب: لا ، مطلقا . . . نكتة بسيطة ، ولكن الأنسة "شانسلر" ، ستبقى غير واعية بها . . .

آ. شانسلر: لأن امرأة مستقلة وتكسب معيشتها ، لن تفكر أنها يمكن أن تعيش كما تهوي . لو أنها تتمنى أن يكون لها أطفال ، فالعناية الإلهية هيأت طريقا في مؤسسة الزواج . الأنسة "ياتيس" - فيما استنتج - قد تجد صعوبة صغيرة في أن تصبح متزوجة . . .

آ. ياتيس: أكسب عيشي هنا ، من اثنتي عشر سنة!

آ. شانسلر: وهل كنت سجينه يا آنسة؟ ألا تذكرين أن هناك مائتين وخمس وثلاثين موظفا هنا .

آ. ياتيس : ومن المفترض أن أحب أيا منهم؟

آ. شانسلر : عزيزتي الآنسة "ياتيس" ، لو أنك تبحثين بشكل مجرد عن زوج مثل . . . حسنا . . . كلنا مخلوقات الله ، فيما أظن . . .
شخصيا ، لا أرى اختلافا كبيرا بين الرجال ، بأي حال .

آ. ياتيس : ولا أنا . . .

آ. شانسلر : افتقار لضبط النفس .

آ. ياتيس : أهو كذلك !!

آ. شانسلر : واحترام النفس ، ما يجب أن تكون المسألة . هل نحن وحوش الغابة ، أحب أن أعرف؟ إنني لا أفهم ببساطة هذا الموقف الذي لا يليق بسيدة ، نحو حقائق الحياة .
أليس هناك شيء تفعله امرأة في الدنيا سوي أن تجري وراء الرجال ، أو تتظاهر بأنها تفر بعيدا عنهم؟ أنا في الثامنة والخمسين ، وقضيتهم - والحمد لله - مشغولة وسعيدة ، وآمل حياة نافعة . . . ولم أفكر أبدا قليلا أو كثيرا في الرجال ، عمّ فكرت في أي كائن بشري آخر أو بشكل مختلف . إنني أنظر إلي العنوسة كحالة مخيفة كما تعلمني التوراة . الرجال مختلفون ولكن بعض النساء

يتزوجن بسعادة و.. حسنا.. كل النساء لا تستطعن..
وبعضهن لا يمكنهن الزواج علي الإطلاق. هذه الحقائق
ينبغي أن تواجهه، وواجهتهم.

فيليب: يمكننا أن نفترض أن الأنسة "ياتيس"، تواجههم.

آ. شانسلر: نعم.. يا سيدي، وبأي روح؟ لقد سعيت دائما إلي
التأثير علي الشابات تحت سلطتي بفضائل التواضع
والحشمة.. ولذلك يمكن اعتبارهم سواء، بعقل
حيادي. وإن لم يعد في مقدوري أن أفعل، فمن الأفضل
أن أتخلى عن مهمتي. وسأقول أمام هذا الشابة، أنا
أسفة، القصة يجب تداولها. ولكن حين يقترف أي امرئ
نقيصة، يبدو لي روحانيا من يعرف بها.

فيليب: (يضحك إلي السخرية) أعتقد ذلك حقا؟

آ. شانسلر: أتريدني أكثر من ذلك الآن؟

فيليب: يسعدني أنني حظيت بتفسيرك. سيكون بيننا حديث
خاص في الغد.

آ. شانسلر: شكرا يا سيدي، أعتقد أنه كثير علي النظام أن يقبل
حديثنا. عمت صباحا..

فيليب : عمت صباحا (وقد عبرت الأنسة "شانسلر" عن نفسها برضاء كامل ، تتراجع بنظام محمود . الأنسة "ياتيس" تبهت جامدة بشكل غير واع ، إلي أن يختفي عدوها تماما ، ثم تنهار بشكل مثير للشفقة . و "فيليب" يبدأ علي راحتته أخيرا في توبيخها بأسلوب أخوي)

آ. ياتيس : أنا واثقة أنها علي حق تام في كل ما تقول . .

فيليب : قد لا تكون . ولكن أنت من نوع المرأة التي تضع نفسها في ورطة من هذا القبيل ؟

آ. ياتيس : يسرني أنك لا تعتقد أنني كذلك يا سيدي . .

فيليب : إذن أي شيء علي الأرض يستحق أن ترحلي وتفعلها من أجله ؟

آ. ياتيس : لا أدري . لم أقصد أن . .

فيليب : لماذا لا تتزوجي ؟

آ. ياتيس : هذا شغلي . (ثم كما لو كانت تكفر عن اندفاعها) أوه . . فكرت في الزواج في أي وقت خلال هذه السنوات الاثنتي عشر . ولكن انظر لأسرة "بريجستوك" .

فيليب : لا . . لا . . لا ، ليس هذا ما أقصده . لماذا لم تتزوجي

حتى الآن؟

آ. ياتيس : لا أفضل الكلام ..

(تستأنف أنسة "ياتيس" جو التكتم بشكل طبيعي بما يكفي ، ولكن ثمة شيء فريد قليلا في هذا التكتم ، ولذا يفكر "فيليب")

فيليب : حسنا جدا ..

آ. ياتيس : لا أفضل أن أتكلم عن هذا الجانب من الموضوع معك يا سيدي ، إن لم يشغلك . (ثم تنفجر مرة أخرى) خاطرت مرة ، وعرفت فيها نفسي . أردت أن يكون لي نصيبي منه ، وكان ممتعا لفترة قصيرة . أعرف أن ذلك يبدو مريعا ، ولكن هذا ما كان .

فيليب : (يراقبها) أنسة "ياتيس" .. كنت أدمك ، أليس كذلك؟

آ. ياتيس : نعم ..

فيليب : لأن لي آراء غير تقليدية .. ولكني لا أفعل أشياء غير تقليدية .

آ. ياتيس : (بسداجة وتلقائية) ولماذا؟

فيليب : لا ينبغي أن أفعل هذه الأمور جيدا . والآن تلمحين إلي
هذه المغامرة مصدقة لكل ما يقوله الناس ، ولذا لست
سعيدا بك . كرجل لرجل ، يا آنسة "ياتيس" ، أكنت في
مركز يسمح لك بإدارة هذه المخاطرة؟

آ. ياتيس : (بأمانة تفكر قبل أن تتكلم) نعم . . كنت سأحصل علي
مائة وأربعين باوند سنويا للمعيشة . وقد خططت لذلك
كله (تصبح مؤمنة بسعادة) ثمة شقة بطابقين في منزله
"رينز" ، وكان يمكنني أن أحظى بفتاة رخيصة تعني بها ،
وترعاه . . . سأدعو الطفل بابن أخي ، كما اعتادت
باباوات روما . . . أو لماذا لا يمكن أن أكون أرملة؟ يمكن
أن أربيه ، وأجعله ملائما للحياة . وسيكون التأمين قاسيا
قليلا ، في حالة إذا ما حدث أي شيء لي ! . ولكنني
حصلت علي مائتين باوند تقريبا مدخرة في البنك
لمساعدتي حتى الصيف القادم .

فيليب : وأين تذهبين عندما تتركين الشركة؟ ، أي علاقات لك؟

آ. ياتيس : عندي عمة . . أكرهها .

فيليب : وأين تذهبين في الشتاء؟

آ. ياتيس : ايفر كريس

فيليب : وما هذه؟

آ. ياتيس : لا أدري . تصل إليها من "واترلو" . وجدتها في
الأمجدية ..

فيليب : (في احتجاج) ولكن يا فتاتي العزيزة .. !

آ. ياتيس : حسنا .. أريد مكانا لا يعرفني فيه أحد . ولذا من
الأفضل أن أذهب إلي مكان لا أعرفه أليس كذلك؟
دائما ما أكون أصدقاء ، فلست أخشي الناس . ولم أكن
في البلاد أبدا في الشتاء . وأريد أن أعرف كيف تكون
هذه الإيفر كريس !

فيليب : (يستسلم مهزوما في هذا الموضوع ، ويقبل آخر بمزيد من
الجدية) حسنا .. أوافق ألا تريدين زوجا .. ومن واجبك
الواضح أن تجعلي الرجل يساعدك مراعاة لطفله .

. ياتيس : (مستعدة لذلك ، وجادة أيضا) أجرؤ أن أقولها ، ولكن
لن أفعلها . عرفت بنات أخريات في مثل هذا النوع من
الفوضى ، واحدة أو اثنتين .. مع كل شخص يكون
رحيما بهن ، ويزدريهن . وهناك جلسن وبكين ، وقد

خجلن من أنفسهن؟ وما الخير في ذلك؟ بينما الرفاق كرهنهن . حسناً . . لا أريده أن يكرهني . يمكنه أن ينسى كل ما يتعلق بالأمر إذا أحب . . وسينسى بالطبع . بدأت أبكي بشدة . وبعدها فكرت أنني إن لم أستطع البهجة ، وأتظاهر بأي حال أنني مسرورة وفخورة بشكل مرح ، فمن الأفضل أن أموت . هل تعرف أنني عندما كنت أتظاهر قليلاً وجدت أنني بالفعل كنت مسرورة وفخورة . وأنا بالفعل فخورة وسعيدة بهذا الآن ، سيدي . . لست أتظاهر . أجرؤ أن أقول إنني اقتربت خطأ . . ربما تعين أن أصل إلي الأسي إجمالاً ، ولكن (عند هذه اللحظة يدق تليفون المنضدة بعنف ، وتأسف . . مشيرة إلي التليفون ، فيما يبدو) أوه . . معذرة .

فيليب: عفوا (ثم يرد علي التليفون) نعم ، من؟ لا . . لا . . لا ، "ستات" . سيد "ستات" ، صله بي (يصله به بوضوح) صباحاً! من؟ أبي . . لم يصل حتى الآن . . من "مارينباد" (تنهض الآنسة "ياتيس" فيما يبدو لتسحب بلباقة ، ولكن تنظر بذهول قليلاً أيضاً)

آ. ياتيس : أنا س . .

فيليب : لا . . لا ، كل شيء علي ما يرام . (يطرق " بيلهافن" الباب ، ويدخل ويقف بجوار " فيليب" الذي يستمر في المحادثة) نعم؟ حسنا؟ ومن "مارك"؟ "أوروليوس" . لا . . لم أكن أقرؤه مؤخرا . . بالتأكيد سأقرؤه . . "توماس" هنا يعمل بالأرقام . . . هل تريده؟ سأوصلك به . . لا انتظر . سأستدعيه هنا ، إن يكن الأمر خاصا جدا (مناديا) "تومي" . .

بيلهافن : الرائد "توماس" في مكتب المحاسبة يا سيدي . .

فيليب : أوه . . (ثم عبر التليفون) لو ستبقى علي الخط ، يمكنني استدعاؤه في دقيقة . قل له إن السيد "ستات" علي التليفون ، يا "بيلهافن" .

بيلهافن : نعم يا سيدي . . والسيدة "مدراس" ، تحت في سيارة أجرة يا سيدي ، وتود الحديث إليك ، هل تصعد إليك ، أو . . ستنزل إليها ، إذا كنت مشغولا جدا وتحشي المقاطعة . .

فيليب : أمي؟؟

بيلهافن : لا ، ليست أمك . . السيدة "مدراس" يا سيدي .

فيليب : دعها تأتي .. وأخبر الرائد "توماس" ..

بيلهافن : نعم يا سيدي . (يرحل بشيء من اللزوجة . ويستدير

"فيليب" عائدا إلى الأنسة "ياتيس")

فيليب : إلي أين وصلنا ...

آ. ياتيس : (بشكل غير متتابع) الجو حار هنا ، أليس كذلك؟

فيليب : النافذة مفتوحة

آ. ياتيس : سأغلقها؟ (تستدير وتذهب إلى النافذة ، ويمكن القول

بأنها تهرب منه)

فيليب : (يراقبها بانتظام) ما الأمر يا آنسة "ياتيس"؟

آ. ياتيس : (تعود أكثر رباطة جأش) بالتأكيد لم تكن تتوقع الأنسة

"شانسلر" أن أتزوج واحدا مثل هذا .. أيمكنها؟

فيليب : تتزوجي من؟

آ. ياتيس : لست أقول أي شيء ضد السيد "بيلهافن" .. إنه شاب

جد لطيف . والحقيقة حاول أن يتقدم للخطبة في عيد

الميلاد الماضي . والحقيقة - كما تعرف - إنه الشاب

الوحيد الذي لم يسألك أن تزوجه هنا : حين يتقدم بهم

السنن ، يبدون وقد فقدوا الرغبة . . أو يعتقدون أنها مكلفة كثيرا جدا . . . أو . . ولكن واثقة علي أية حال ، بأن الأمر لا يهم . (هذه الثرثرة غير المناسبة جدا للمكان تتهاوي بتأثير نظرة استفسار "فيليب" الصارمة)

فيليب : هناك شيء آخر أخشي أنني كان يجب أن أسألك بشأنه . إن المشكلة التي نحن بشأنها لم تحدث بإرسالنا لك إلي فرع شارع "بونند" ؟

آ. ياتيس : (تغوص في عديد من الكلمات. ثانية) أوه ، بالطبع . . كان خيرا عظيما منك أن ترسلني إلي شارع "بونند" لصقل سلوكيات الإنسان . . ولكن أقول لك . . لم أستطع إيقافه طويلا . . أولئك النساء اللاتي أدخلتهن هناك . . حسنا ، مسألة تحطم أعصابك فحسب . ما يتابعنه ، والأشياء التي تقلن يجب أن تسمعها ، والأشياء التي سيقولنها عنك نصف الوقت . . . الذي لا يجب أن تسمعه . . . وتستبقي صوتك منخفضا وحلوا ، وتترك ذراعيك تتدلي في استسلام . . . يمكنك أن تعمل مزيدا من الساعات في هذا المكان ، وأجرؤ أن أقوله إنه عامي ، ولكن العملاء ودودون جدا معك .

فيليب: كما ترين ، لأنني والسيد "هاكستابل" ، كنا نود أن نشعر
بمزيد من المسؤولية ، لو قليلا لو أن أي أحد ارتبط بنا ..
من ..

آ. ياتيس : (بقنوط تام) لا ، لا تحتاج .. حقا لا تحتاج .. سأقول أن
ثمة شيء في هذا المكان الآخر يجعل ذهنك يشغل
بالرجال . ما رآه فيّ ، لم أعتقد أبدا .. بأمانة ، لم أستطع ،
ومع ذلك ، أكّد لك أنني أفكر في نفسي بتقدير كبير .
وكان خطأي أنا ، وكذلك كل ما تبقى منه ، سيكون ..
خطأي أنا .. (إن وصول الرائد "توماس" ، كان للآنسة
"ياتيس" ، المقاطعة التي ترحب بها كثيرا ، كما يبدو ،
بنظرة "فيليب" المنتظمة ذات التنويم المغناطيسي ، ليصبح
أقرب كثيرا إلي معرفة ما لا تقصد إليه . "توماس" يدخل
في سرعة ينظر خلفه بطول الممر ، ويقول)

توماس : هنا "جيسكا" ..

فيليب : "ستات" علي التليفون

توماس : شكرا لك .. (ويتجه إلي التليفون ، بينما تصل "جيسكا"
إلي الباب المفتوح . وتعد زوجة "فيليب" خلاصة تلك

الثقافة الجمالية التي يمكن أن تعمل من أجل امرأة . وأكثر من هذا ، هي النتيجة . ليست في الثالثة والثلاثين من العمر ، ولكن ذات نقاء متراكم لثلاثة أو أربعة أجيال . قد تكون جواد سباق! ، ولدت لتفكر فيه ، ومن الأشياء المذهلة جدا ، أن تجني هذا المحصول من الأنوثة . مخلوقات ، ريانة العقل والجسم ، لطيفة التفكير والكلام ، فاتنة ، رقيقة ، حساسة ، رشيقة ، عفيفة ، سهلة التصديق لكل خير ، تدين قبح العالم وصراعه العنيف ، بيسر وجودهن وابتهاجهن . . عصيات الإرضاء . . عصيات الإرضاء . وفي السنوات الثلاثة الأخيرة أيضا بما لها من ألوان جاذبية تُبَلَّت كثيرا بإضافة التعليم والفكاهة . أليست المرأة الكاملة ، وربما أكثر منجزات المدنية إثارة للإعجاب ، وتستحق نفقة تربيتها ، وعناء وكدح كل الآخرين؟ . "جيسكا مدراس" أكثر حتى من امرأة ، نظرا لأنها تعي أنوثتها . إنها تقدر مزاياها وفتنتها ، وفخورة بثقافتها ، وتعني بها ، فهي سلاحها الذي يبررها . وبينما تنساب الآن في الغرفة القبيحة متأنقة من رمش عينيها إلي حذائها ، فهي لراحة عظمى أن تلمحها فقط)

جيسكا : هل قاطعتكم؟؟

فيليب : لا ، ادخلي .. يا عزيزتي .

توماس : (في التليفون) آلو .. !

فيليب : حسنا آنسة "ياتيس" ، أريد أن أري ، إذا أمكن ، أنك لم تعاملني بكثير من الغبن ، عن الناس الذين دائما ما يبدوون آراءهم بشجاعة .

توماس : آلو ... !

فيليب : أوه ، أنت لا تعرفين زوجتي . "جيسكا" هذه الأنسة "ياتيس" التي تعمل في قسم الثياب أنت لا تعملين الآن - فيما أتصور - في قسمك الآن؟

آ. ياتيس : (كمن تتحدى كل فضيحة) أعمل ..

توماس : (مازال مع التليفون غير المستجيب) آلو .. آلو ..

فيليب : (يجد الأنسة "ياتيس" ، متجاوزة احتمالها) حسنا جدا ، هذا ما سيكون الآن .. (ولكن الأنسة "ياتيس" ، بظهور "جيسكا" ، تصل إلي سلوكها الأفضل في قسم الثياب . يمكنها أن تستأنف بإرادة - فيما يبدو - صوت جديد ، ويمكن أن تصبح - في الحقيقة - كائنا من فصيلة أخرى ،

بلمس الحرير الأسود)

آ. ياتيس : شكرا لك يا سيدي ، أمل بالتأكيد ألا أكون قد تحدثت كثيرا . دائما ما كنت ثرثارة يا مدام ..

فيليب : لديك بعض الأمور الهامة لتقولها يا آنسة " ياتيس " ..

آ. ياتيس : ليس علي الإطلاق يا سيدي .. عمت صباحا يا مدام ..

جيسكا : عمت صباحا .. (وتخرج نهائيا الآنسة " ياتيس " . وفي هذه الأثناء يدفع التليفون توماس إلي غضب عاجز)

توماس : قطعوا الاتصال .. (ويبدأ يدير مقبض التليفون ليكسره ، تكشف " جيسكا " عن برقية مفتوحة ، وتسلمها إلي فيليب)

جيسكا : وصلت بعد أن غادرت البيت مباشرة

فيليب : عزيزتي ، تتجشمين عناء كل هذا الطريق بها .! لماذا لم تحدثيني تليفونيا؟

توماس : (يسمع شيئا أخيرا) ألو .. هل هذا مكتب السيد " ستات " ؟ لا ، حسنا .. مكتب المحاسبة ، أمازلت فيه؟

جيسكا : (تراقب بابتسامة تسلية) إنني أكره التليفون! خصوصا

التليفون الموجود هنا . أصغي إليك يا "تومي" ، تعس مسكين! إنهم يوصلونك من مكتب إلي مكتب . . ستة موظفون مختلفون . . . كلهم أغبياء ، وكلهم ذوو أصوات بشعة . ("فيليب" يقرأ البرقية الآن)

فيليب : (يتغير وجهه) حسنا ، أظن أن السيدة مدراس ينبغي أن تأتي ، لو أرادت

جيسكا : ماذا سيقول أبوك؟

فيليب : فتاتي العزيزة . . لها الحق في أن تراه ، لو أصرت . . حماقة بالغة! "تومي" ، أنا . . (يأخذ منه التليفون ويتعامل معه بمهارة وخبرة) أريد إرسال برقية . ضاعف ثلاثة أضعاف "أوه" مركزي ، وصل الخط إلي غرفتي . . ليس هنا . . غرفتي .

توماس : (بحماس) أشكرك

جيسكا : تغلبت علي غضبك من مسرحية الأمس؟

توماس : أوه ، نوع من المسرحيات ينبغي أن تتوقعينه لو ذهبت إلي المسرح يوم السبت . أغرقنتي . (يتلمظ بعدما يقدر "جيسكا" وفتانها . يجلس "فيليب" ليدبج رد البرقية . أما

"جيسكا" فتكتشف ألا يوجد شيء جذاب تجلس عليه،

فتتردد)

فيليب: يمكن أن تقبلينها للمساء؟

جيسكا: نعم..

فيليب: سأدعوها للعشاء..؟

جيسكا: ستصرخ من الحساء.. ولكن هذا لا يهم.

فيليب: العشاء في الثامنة..؟

جيسكا: أبدو غير مضيافة..

فيليب: حسنا، قلت بالضبط إننا سنكون سعداء..

جيسكا: ولكن أمك تكرهني كذلك. ومن الصعب أن أري متها

الكثير.

فيليب: لم تكني صبورة عليها كثيرا، أليس كذلك جيسكا؟

جيسكا: وأنت؟؟؟

فيليب: (بشكل متقلب) عرفتها لفترة أطول منك..

جيسكا: (بمزاح اللطف) أتمنى فحسب ألا تكتب رسائل سخيقة

عن الله لابتتنا "ميلدرد"

فيليب : امتياز للجدة ..

جيسكا : أرسلت لي الطفلة خطابا آخر هذا الصباح .. هل
أخبرتكَ؟

فيليب : لا ..

جيسكا : الأنسة "جريشام" ، تكتب أيضا ، تضمن الدين بشكل
الطيف . ولكنه فظيع للمدرسة أن تكتشف ما فيه من
كلام عن الدين ..

بيلهافن : (ينزلق داخلا) نعم يا سيدي ..

فيليب : أرسل هذه البرقية فورا من فضلك ..

بيلهافن : نعم يا سيدي (ينزلق خارجا . ثم يبدأ "فيليب" العناية
بكوم الرسائل التي أحضرها معه . بينما تشعر "جيسكا"
بالإهمال ، تحوم علي نطاق أكثر اتساعا)

جيسكا : هل ستخرج لتناول الغذاء يا "فيليب" ؟

فيليب : يا إلهي ! .. أحان وقت الغذاء!؟

جيسكا : سيحين قريبا . سأتغذى مع "مارجريت إثمان" ،
.

و"الترميورهيدي"، في "الديودوني".

فيليب: إذن لن تكوني وحيدة

جيسكا: (مؤذية) قد تكون "مارجريت"، وإن لم تأت..

فيليب: لا أستطيع يا "جيسكا". أنا لا أكاد أجد وقتا لعملتي.

(تسترخي بجوار منضدته وتبدأ العبث فيما عليها من

أشياء، تجد أخيرا نشافة ملطخة، مما يرضيها)

جيسكا: فيليب.. يمكنك أن تخرج معي، أكثر قليلا مما تفعل..

فيليب: (بمزاح نهائي) عزيزتي.. ليس علي وقت الغداء..

جيسكا: الشابة الوقحة التي كنت توبخها.. حينما دخلت.

فيليب: لست أفكر بهذا الشكل..

جيسكا: وهل الشابات القبيحات، جذابات مثل الرجال القبيحة؟

فيليب: وهل تعرفين.. لا أجد أن النساء تجذبني..

جيسكا: يا للزوج!!

فيليب: أتريدين أن تجتذبيني؟

جيسكا: نعم.. من الناحية النظرية.

فيليب : لماذا "جيسكا" ؟

جيسكا : (ببراعة فاتنة) من أجل خاطري . آخر يوم لصور " والتر " .
لقد باع خمسة تقريبا . . . وهناك واحدة أود لو أن
تشتريها . .

فيليب : لا أستطيع أن أتحملها . .

جيسكا : لا أتصور يا " فيليب " أنك نادم إجمالا علي الزواج مني ؟
(مع أن " فيليب " متعود بما يكفي علي فنتتها ولا منطقيتها
المقبولة ، يقفز بالفعل)

فيليب : يا للسماء !! " جيسكا " ، لقد خرجنا احدي عشر عاما ،
أليس كذلك ؟

جيسكا : (تميل برأسها جانبا ، وتصبح نصف جادة) هل أنت علي
الأقل راضيا بالزواج مني ؟

فيليب : عزيزتي . . لست أفكر في ذلك يا " جيسكا " . لا أستطيع
البقاء في لعبة الرد السريع . .

جيسكا : (تبتعد بنفسها في الحال ، جريحة ونصف منهورة مجدية)
أسفة . أعرف أنني قاطعتك

فيليب : (نادما في الحال ، نظرا لأنها جد جميلة) لا ، لا . . ! لم

أقصد ذلك . هذه أمور غير هامة (ولكنه يستمر مع
خطاباته . وتقف "جيسكا" ناظرة إليه ، ويقسو وجهها
قليلا)

جيسكا : ولكن هناك وقت لنتهي خطابتك ، حينما أتعب في
انتظارك .

فيليب : أعرف .. أنني لا أنهي خطاباتي تماما هذه الأيام . انتابتك
نوبة قلق مملة هذا الصباح وهذا ما جاء بك ورائي . هل
سنستأجر سيارة لنهاية الأسبوع؟

توماس : (منخرطا في محادثة ثنائية ، وهو يدخل) سيقدم لك عرضا
عن المكان هنا يا فيليب .

فيليب : عظيم .. !

جيسكا : (تقف هناك ناظرة لأجمل ما فيها) "تومي" ، لتخرج
للغذاء .. لن يخرج "فيليب" .

توماس : أخشى ألا أستطيع ..

جيسكا : سألتقي مع "ماجسي إنمان" ، و"ميورهيدي" الشاب .
سيغازها طول الوقت ، وإن لم يكن هناك رابع ، سأجمد
من البرد بشكل مخيف .

فيليسيب : (مغلوبا بمثل هذا الانقلاب أو الارتداد) أوه . . جيسكا!

توماس : (عصبيا فيما يبدو . علي الأقل لا هو مستعد ولا هو
جسور) نعم . . ستخرجين بالطبع ، ولكن أخشي ألا
أستطيع .

جيسكا : (في قنوط فرح) حسنا ، لن أسوق مرة أخرى إلي "بيكهام
" في الصباح . يوم الأربعاء إذن ، هل ستتصل بي؟

توماس : الأربعاء؟

جيسكا : حفل سيمفوني . .

توماس : (بجدية مفاجئة) أتعرفين . . أخشي ألا أستطيع أيضا ولا
يوم الأربعاء

جيسكا : ولم لا؟

توماس : (مع أن تظاهره يتلاشى أمام الحدة المؤكدة في سؤالها)
حسنا . . أخشي ألا أستطيع . (من الواضح أن "جيسكا"
لديها مزاج تمخض عن نقطة السيطرة التي ربما تجعلها
كريهة . تصبح الآن فاترة جدا ، ومتحفظة جدا ،
ومتسرعة جدا)

جيسكا : أكدنا الموعد فقط في الليلة الماضية . ما الساعة؟

فيليب : تقرب من الخامسة . . .

جيسكا : لا بد أن أنصرف .. سأتأخر .

توماس : (باهتمام عظيم) ستأخذين سيارة أجرة؟

جيسكا : أعتقد ذلك ..

توماس : ربما أمكننا أن نلتقي في الموعد التالي .

جيسكا : ليكن "تومي" .. لا تكن معذب الضمير . ولكن عندما

تغير رأيك عن الخروج معي ، سيكون أكثر إمتاعا لو أنك

وجدت بعض الأعذار . وداعا لكليكما ..

فيليب : (وقد خرجت "جيسكا" ينادي وراءها) سأكون هناك في

السابعة يا عزيزتي . ("توماس" ينظر بارتياح قليلا ، ثم

يصبح قلقا إلي حد ملحوظ ، وفي الحقيقة يعبس بشكل

منذر بالشر . "فيليب" يتخلص من رسالته الأخيرة) هكذا

نظمتنا دنيا العمل بينما تكوين صداقة بين الرجال والنساء

شيء بالغ الاصطناع ..

توماس : (دون اهتمام) حقا؟

فيليب : أعتقد ذلك . ما الذي علينا أن نقره قبل العصر .

توماس : ليس كثيرا . . (ثم يبدو مشغولا بشيء ما) ولكن أريد

ثلاثة دقائق أتحدث فيها معك أيها الكبير!!

فيليب : أوه!! (ينهض ويتمطى)

توماس : هل تظن بي أنني قد أقول شيئا فيه سفالة؟

فيليب : لا . .

توماس : انتبه ، ولا تجعلني مقربا جدا من بيتك . .

فيليب : (ينظر إليه لنصف دقيقة متحيرا) ولم لا؟

توماس : إنني أرى زوجتك أكثر من اللازم (إنه جاد جدا بشكل

حاد لما قال ، حيث يمكن حتى أن يتظاهر "فيليب"

بالكاد ، إنه صدم)

فيليب : عزيزي "تومي"!

توماس : لا أعني كلمة واحدة منفصلة عمّ قلت .

فيليب : (بطبيعة طيبة) "تومي" كنت دائما تغازل "جيسكا" . .

توماس : لا أريد أن تعتقد أنني أعشقها ، ولو بأقل قدر .

فيليب: لا ، بشكل طبيعي . . . فلك زوجتك التي تحصك .

توماس : (في اتفاق شديد بشكل أخوي) صحيح . تلك فطرة جاد سليمة .

فيليب : ومع ذلك باعتباري زوجها . . أنا منفتح في هذه المسألة .
ولا أعتقد فعلا أن "جيسكا" ، عاشقة لك .

توماس : (بسخاء شديد) ولا لدقيقة واحدة .

فيليب : إذن فيما القلق ، أيها الحمار السخيف ؟

توماس : (يبدأ الشرح ، وإن يكن بشكل ملتو قليلا) حسنا "فيليب" ،
الأمر يبدو كعالم ملعون وغير ملحوظ . . لا أدعي أنني أفهمه ، ولكن مع كبر السن ، تهيأ لي نوع من الحكم عن خبرة العمل المكتبي ، يمكنني أن أعمل بها ، وهي - كما لعلك لاحظت - دفعت ثمنها .

فيليب : حسنا . . وبعد ؟

توماس : "فيليب" . . أنا لا أحب النساء ، ولم أحبهن أبدا . . ولكن أكاد أبالغ كثيرا عندما أقول إنني تزوجت ببساطة لأتخلص من عادة أن أجد نفسي - ولو مرة كل ستة شهور - في موقف مع واحدة من أولئك اللائي من

المفترض أن أعاشرهن .

فيليب : (ممتعا نفسه) وماذا ترين فيك يا "توماس" ؟

توماس : الله أعلم ، يا كبير . . أنا لا أدري . والوقت صدق عليه !
 بالطبع كنت أعشق "ماري" كثيرا بقدر ما تحب ، وإلا ما
 استطعت أن أسألها أن تتزوجني . ولولاها لما كنت شيئاً
 ولا أباً لأطفال ، نظراً لكل ما عشته . ولكن لا أصدق
 أنني كنت سأخرج عن مساري لأنال بيتي ، إن لم أنقاد
 إليه ، يا كبير . . أنقاد إليه . أنا لن أبدأ اللعبة القديمة مرة
 ثانية الآن (يهز رأسه بحكمة)

فيليب : وما الاتهام الموجه إلي "جيسكا" ؟ دعنا نحدده بكثير من
 الكلام الواضح .

توماس : (يستجمع نفسه لإصدار المديح المبرر بفعالية) إنها منتج
 غاية في الروعة ، فاتنة جدا ، وامرأة ذات حلاوة طبيعية .
 وأعتبرها زينة للمجتمع .

فيليب : (بجمية مماثلة) أنت علي حق تام يا "تومي" . . وماذا
 سنفعل معها؟؟

توماس : (بعبارة المفضلة) ماذا تقصد؟

فيليب: حسنا.. وما مشكلتك معها؟

توماس: (مازال يتحدث بشكل ملتو) لا مشكلة حتى الآن..
ولكن.. حسنا.. كنت أخشى أن "جيسكا"، طوال
الأسابيع الثلاثة الماضية، بدأت تتحدث معي عنك.
وهذا سبب أنني أتحدث إليك عنها. (ثم بمتعة أكيدة من
صدمة تسبب سلوكه) أنا وغد..!

فيليب: (مازال لاهيا.. وإن يكن بمذاق حمضي إلي حد كبير)
تأييدي لمجلس المقاطعة يجب أن يكون موضوعا أكثر
خطورة..

توماس: ولكن هذا الموضوع ما بدأ. ثم هناك تلميحات..
تلميحات جميلة تماما.. عن الطريقة التي تتواصلان بها
مع بعضكما. ليلة أمس في سيارة الأجرة، كانت
تتحدث عن فترة صباها..

فيليب: عدت إلي بيتي. زوجا لبقا!

توماس: "فيليب"... لا تكن فرنسيا.

فيليب: (يستدير إليه، جادا بشكل مفاجئ) ولكن، "تومي" هل
تتخيل أن "جيسكا" تحب معي؟

توماس : لا ، لا أتخيل . ولكن تنتابها الكثير من الهواجس ..
عندما تملّ بدعوة الناس ، وموسيقاها وصورها ... وما
أن تبدأ التعبير عن مشاعرك بالكلمات .. تكبر
الهواجس ..

فيليب : ولكن إن كانت تعسة ، أفضل أن تثق فيك ..

توماس : (يهز رأسه بعنف) لا ..

فيليب : ولما لا يتعين أن تثق؟ ، أنت صديق .

توماس : نعم .. لا يوجد سبب ... ولكن أقول لك ، إن الأمر
يبدأ دائما بهذه الطريقة

فيليب : أنت جحش سخيف .. ألا تستطيع أن تترك امرأة
تتحدث إليك بجدية دون معاشرتها؟

توماس : أمر ملعون ، هذا ما تقلن .. ولكن لا يؤدي أبدا لأي
اختلاف .

فيليب : "تومي" ... أنت طفل كامل!!

توماس : أتذكر أنني حينما كنت في الرابعة والعشرين ، كانت هناك
امرأة .. أكبر مني بسنين ، ولديها ولد نابض . أخذت
توحيخي علي تضيع وقتي في المغازلة . أخبرتني أنها فعلتها

بنفسها مرة . أخبرتني لماذا فعلتها ، امتنعت عن تقييلها
لسته أسابيع ، وسأقسم أنها لم تشأ مني أن أقبلها . ولكنني
قبلتها .

فيا—يب : وهل ضربتك علي أذنك؟

توماس : لا . . قالت إنها لم تستطع أن تعاملني بمجدية . حسنا . . لو
أنني ابتعدت لكان في ذلك حذقة . ولو أنني بقيت لكنتُ
فعلتها ثانية .

فيا—يب : (بإيذاء) وما الذي فعلته؟

توماس : أوه . . لا تهتم أبدا .

فيا—يب : (بأدب عال) حسنا . . لديك ترخيص أن تقبل "جيسكا" ،
لو أنك تعتقد أنها تريدك .

توماس : شكرا لك ، يا كبير . . موقف فيه مهارة شديدة ،
وعصري جدا ، وما إلي ذلك . . ولكنني طلبت منك أن
تبعدني عن البيت علي مسافة ما . . .

فيا—يب : لا ، لن أبعدك . .

توماس : إذن . . فلست صديقا لي . . .

فيليب : لننظر للأمر بهمجية تامة . لو اختارت "جيسكا" أن تكون غير مخلصه ليّ ، فكيف ليّ أن أمنعها . . حتى لو ليّ الحق أن أمنعها؟

توماس : إن لم تكن مستعدا للتصرف كرجل راق متزوج ، فليس من حقه أن تتزوج . . تصبح خطرا .

فيليب : أيضا يا "تومي" لو أنك ضبطتني أعاشر زوجتك ، قد تتكلم معي . . ولكن ما كنت تتكلم معها عن ذلك .

توماس : (بلمسة عاطفية) "ماري" مختلفة . (ثم يحتج ثانية) كما أنني لم أعاشر زوجتك . قلت لك ذلك . .

فيليب : إذن لو عاشرتك . . أنصحك بالهرب لمصلحتك . . .

توماس : إنها لا تعاشرنني . ولكن إن لم تستطع أن تلمح . .

فيليب : ألمح !! .. حسنا ، أنا محطم . . !

توماس : حسنا ، يا كبير . . قدمت لك تحذيرا صريحا عن نوع الأحمق الذي أكونه . . ولن أتحمل مزيدا من المسؤولية بهذا الشأن .

فيليب : (في يأس هزلي) لا تحذرنني ، حذر "جيسكا" . . قل لها

إنك تخشى أن ترتكب حماقاتك معها ..

توماس : (يرتفع حاجبيه) ولكن هذا خيرٌ مثلما يفعله إله خير ، لا
يمكنك أن تتصرف مع النساء كما لو كن رجال!

فيليب : ولم لا؟

توماس : تجربها ..

فيليب : دائما ما أجرب ..

توماس : لا عجب ، أنها تود أن تفضفض لي عن تدمرها منك ..

فيليب : (يعامله بجدية مرة أخرى) اسمعني ، "تومي" ، أنا أعرف
"جيسكا" جيدا . إنها لا تريد أن تكون عشيقة ..

توماس : (بإيجابية وشكل نهائي) بل تريد . (ثم بفروسية حقيقية)
لا أعني باستياء ، ولكن النساء كلهن كذلك . بعضهن
تردن التقبيل ، وبعضهن تردن الكلام في السياسة ..
ولكن المبدأ واحد ...

فيليب : (باحترار مترفع) أي عالم تعيش فيه .

توماس : والصعوبة بالنسبة لي ، أنه إذا حاولت أن أتكلم في
السياسة ، أكتشف أنهم لا تعرفن ما يكفي عنها ... أو

أنهن علي العكس تعرفن الكثير جدا عنها . . . ومن
الأسهل تقبيلهن وأن تفعلها . .

فيا سيب : أوه ، أسهل كثيرا !!

توماس : (يعود إلي نقطة بدايته . . . مثيرا للشفقة) ولكنني متزوج
الآن . وأريد حياة هادئة . . (طرق علي الباب ، يقاطعه)

فيا سيب : ادخل . . (يدخل "بيلهافن")

بيلهافن : ستتناول الغذاء يا سيدي؟

فيا سيب : ماذا عندك؟

بيلهافن : أخشي أن يكون ما هو معتاد ، يا سيدي . .

فيا سيب : أيمكنك تقبل ما هو معتاد ، يا "تومي" ؟ ، وما هو
"بيلهافن" ؟

بيلهافن : لحم ضأن مسلوق ، حلوى مربى فيما أعتقد يا سيدي
(ثم كاعتراف بنوع من السوقية) كعك ملفوف .

توماس : (يقبول عظيم) أوافق ، وأتمني لو كانت مربى فراولة .

فيا سيب : بالتأكيد ممكن . ضعه في غرفة السيد "هاكستابل" . .

فهمت ؟ ، أنها أكثر تهوية . .

بـيـلـهـافـن : نعم يا سيدي (ينتهي ويخرج)

تـومـاس : ليس "برقوق" .. تعرف أن البرقوق لا يصلح .

فـيـلـيـب : (يستجمع أوراقه) سأعطي رسالتك للمرأة الشريرة ..

تـومـاس : (يتلقى إنذارا لم يفكر فيه) لا .. تصرف بمبادرتك

الذاتية ، فلن تبالي بعد ذلك .

فـيـلـيـب : "تومي" .. لا أستطيع تصور أنني بعمامة التركي .

إحساسي بالمزاح ، وإحساسي بالرقعة نحو النساء ، لن

يفارقني ..

تـومـاس : (مقطبا) أعتقد من الأفضل ألا أخبرك ..

فـيـلـيـب : (غير متعاطف) ولم لا؟ بجانب إخبارها ، الشيء البديهي

يتم ..

تـومـاس : لن تفكر بهذا الشكل ..

فـيـلـيـب : سيتعين عليها أن تفكر (هناك شيء أشبه بالوحشية في هذه

الكلمات التي يحدق فيها "توماس" ، ثم يقول بشكل

ارتداددي)

تـومـاس : فيليب ، ألم تحمد الله قط أنك لست امرأة؟

فيايـيب : لا ..

تـوماس : حين أفكر في أن أغلبهن ينبغي أن تخترن بين بلهاء طيبي
القلب مثلي ، وشياطين قساة القلوب مثلك .. أدهش
أنهن تتحملننا كما تفعلن .

فيلـيب : (يحدق إليه تباعا بابتسامة شاذة ، ثم بينما يستدير ليخرج)
فعلتها ثانية يا تومي .

تـوماس : ماذا؟

فيلـيب : ملاحظتك الوحيدة المعقولة .. تعال ورائي (ويخرج)

تـوماس : (يتبعه محتجا) اسمعني .. ماذا تقصد بملاحظتك الوحيدة
المعقولة .. وكأنها ملاحظتك الجهنمية .. (يسحب الباب
وراءه . وتبقى الغرفة وحيدة بقبحها)

(الفصل الثالث)

(في عام ١٨٨٤ ، انتقلت دار "مدراس" إلي مبانيها الحالية في شارع "بوند" ، في هذه الأيام كان التزيين غالبا ما يعني بالدهان وأوراق الحائط ، ولكن السيد "قنسطنطين مدراس" ، لم يتابع إلي أن يجملّ الدار التي تمثل انتصاراته المهنية . فلم يمكنه الرسم ولا التلوين ، ولكنه صمم الدار ونظر إليها كلها بنفسه ، وكان رجل قوة الشخصية ، الذي تمخض مع ذلك عن شيء غير ملائم حتى الآن وإن يكن صادقا بطريقة فعالة . وقد أضاف إلي سمعته وإلي جاذبية دار "مدراس" .

كانت هناك تغيرات في ست وعشرين عاما ، ولكن غرفة واحدة لم تمس من وقتها حتى الآن . إنها مكان دائري البناء ، فسيح ، عال ، بنافذة سقف صممت بأسلوب مراكشي . الحوائط من الرخام الأسود بارتفاع رجل ، ومن عند هذا الحد إلي السقف الأحمر القاتم . السقف من الأزرق السماوي ، وفي المنتصف نافذة سقف الشمس الذهبية ، ذات أشعة تمتد من مظهرها الإنساني اللطيف ، وتأخذ تأثيرها من بعض الضوء الذي تعترضه . مدخل ممر يتخذ من أعلي شكل قوس متموج ، ويفضي إلي بقية المؤسسة . مدخل آخر خلفه رصيف ، أعلي بخطى قليلة ، معلق بالقطيفة السوداء . المدفأة الضرورية - كانت هناك أنابيب ماء ساخن ١٨٨٤؟ - تختفي بستارة ثقيلة متعددة الألوان ، ومثيلتها معلقة فوق باب صغير مقابل . علي الأرضية سجادة فارسية تتسم ببعض الجمال الحقيقي . علي الحوائط نتوءات أنابيب الغاز - (١٨٨٤ مرة أخري) . اللمسة الشرقية تحققت في أشكالهم الهلالية . حول الحائط آرائك ، بكثير من الوسائد ، أمامهم مقاعد مقهى صغيرة . هذا كل شيء عن الطابع المراكشي ، مثلما في محطة شارع "بيكر" ، ولكن الأثر العام ، مضحك ،

ممتع وحتى غير مخجل .

في الأيام الكبرى الخوالي لدار "مدراس" ، كانت القاعة الدائرية المُربّي السعيد الذي يصون الزبائن ذوي الخصوصية ، أولئك الذين يضع الرجل العظيم عينه عليهم . ولو كنتَ هناك وتحدثت عن الدار بشكل عرضي ، في الحقيقة ، لتكون خالية من القاعة الدائرية ، لما وجدنا امرأة حسنة الثياب ، ومعترفاً بها من كل المجتمع بمجد ذاته . منذ تقاعد السيد "قنسطنطين مدراس" ، كانت دار مدراس في طريقها لأن تصبح تقريبا مثل أي دكان آخر ، فخاصة الزبائن ، دون تحديد نوعية ، والإدارة المنحطة في القاعة الدائرية ، التقوا علي التفكير في اختيار نماذج الموضة الجاهزة من باريس . منضدة بيضاوية كبيرة كان لابد أن تستورد ، وستة مقاعد مراكشية . وفيما يبدو - لمفاجأة الرجل المحترم الذي ذهب ليطلب مثل هذه الأشياء - كان هناك ذلك العدد فقط في الوجود . إن مشهد الأبحاد السابقة ، ربما يصبح الآن مشهد انتقال دار "مدراس" ، إلي أيدي غريبة .

الساعة الثالثة من عصر يوم الاثنين ، حيث يتعين بحث الصفقة ، وإنجازها إذا أمكن ، وهي الآن تجاوزت الثالثة بخمس دقائق . وهناك يجلس الرائد "توماس" ، إلي المنضدة ، وقد انتشرت أوراق ، حيث يقدح فكره في بعض الأرقام النهائية ، وهناك "فيليب" ، بمزاج صبي مدرسة إلي حد بعيد . إنه يجلس إلي المنضدة مؤرجحا ساقه . السيد "هاكستابل" هناك أيضا ، مرتديا أفضل ثيابه ، بأهمية وعصبي ، ويتحدث إلي السيد "إيستوس بيرين ستات" .

"السيد" ستات "أمريكي ، ولوأن مجلة أدب أمريكية اقتربت منه بأي شكل ، فلن يشبهه أمريكي علي الإجمال ، له وجه من النوع القاسي

الحديدي المفعم بالدم ، كاذب تماما بنظراته الناعمة المبتسمة ، كاذب بحق أيضا ، نظرا لأنه كَوّن ثلاثين أو أربعين مليون بالأسلوب الألف . . قدر ما يعرف ، وقد لا تعتبره صانع ثروة . وفي واقع الأمر لا يجب المال ، وقليل ما يحتاج إليه نظرا لأذواقه البسيطة . ولكن صناعة المال المهنة المخيفة في بلاده ، ولديه غريزة الانقلاب علي المال ، وكذلك ملكة صناعته بدرجة كبيرة جدا . الصدمة في شعره الرمادي تجعله يبدو أكبر مما يحتمل أن يكون ، كما أن صوته يشبه كثيرا الأطفال في حلاوته . ولديه الكرامة والكفاءة للقيادة التي تحولها السلطة .

ومن القبة السماوية يأتي السيد "ويندلشام" ، المدير الحالي للمؤسسة . إنه خياط ترزي مطبوع ، وقد تحلى عن الخياط ليبدأ كصانع تائيل من الشمع ، وصانع شعر مستعار . أما ثيابه فهي مثالية تماما لأن يرتديها أي شيء إلا أن يكون دُمية . وشعره وبشرته أبعد ما يكونا عن الطابع الإنساني . ليس لأنه يصبغها أو يظليها ، لا . . إنهما يبدوان فقط كذلك . صوته أيضا غير إنساني قليلا . كما يفضل الفرنسية لنفسه ، وإن تكن معرفته بها غير ناضجة غالبا ، ويتحدث الإنجليزية كثيرا كفرنسي ، مثلما تشبه لغته الفرنسية الإنجليزية ، ومحادثته تبدو غير واقعية مثل بقية شخصيته . ومن المحال أن تفكر فيه ، في أيّ من علاقات الحياة العادية . إنه موظف . والطبيعة ، المخترع العظيم ، ستطور - بخشونة علي أية حال - ما هو ضروري للاستخدام ، فصناعة قبعات النساء ، طورت بائع قبعات النساء . وبينما يدخل وله مشية طائر الذعرة المائي^(١) ، يجري السيد "هاكستابل" محادثة: -

(١) 'wagtaif' ، الذعرة أو هزاز الذيل . وهو طائر مغرد أوروبي آسيوي ، وأفريقي يعيش أصلا في الماء ، ويتميز بذيل طويل يهزه صعودا وهبوطا .

هاكستابل : مقياس تام لضغط الجو ، كما يمكن أن تقول ، حين تتعود عليه عيناك .

ويند لشام : (إلي "فيليب" ، وبهزة من رأسه للخلف إلي الغرفة الأخرى) إنهن مستعدات تماما .

ستات : (مبتسما للسيد "هاكستابل" بحسن نية) صحيح؟؟ ، قصر الكريستال ! يا له من صوت !

هاكستابل : (بفخر متواضع) وموقع صحي جدا !

فيليب : تعال وقابل السيد "ستات" . (يقفز من المنضدة ، ويقبض ذراع "ويند لشام")

ستات : (متحمسا) تل الداغرك .. مجاملة للملكة "أليكساندرا" ..

هاكستابل : (مصدوما بالمعلومة) أكان ، الآن ؟

ستات : تل "هيرن" ... "هيرن" ، الصياد .. ! ذلك سحر لندن بالنسبة للأمريكي . الرابطة ، الاتحاد .. كل بقعة فيه تنطق ..

فيليب : (بينما ينضم إليهم) هذا مديرنا السيد "ويند لشام" . سيعرض علينا الآن بعض النماذج .

تتجه من أمريكا شرقاً إليك ، يا سيد "هاكستابل" .

هاكستابل : (ببعض الوجمل) وهل هي كذلك الآن؟

ستات : ألم يلفت انتباهك أبداً أنه بينما كان تقدم الإنسان في مسار الشمس ، فإن أفكاره تعود باستمرار إلي مكان شروقها؟ وقد وجدتها أحيانا فكرة مستتيرة جدا .

فيليب : (عاديا وإن يكن بغير إخلال بالأدب) حسنا . . هات النماذج هنا الآن ، يا "ويند لشام" ، ونحن ننتظر . .

ويند لشام : قد تلقي بنظراتك علي أولئك الفتيات الجدد ، سيد "فيليب" ، أفضل ما استطعنا العثور عليه ، أكد لك . وجوه من الصعب أن تحصل عليها ، ولكنهن رائعات . . حسنا ، هناك (يصل إلي الباب الصغير ، وينادي من خلاله) من فضلكن أيتها الأنسات! . . لا ، لا من الباب الآخر ، علي اليسار^(١) ، (ثم يعود ثانية) تجدد التأثير الأفضل عبر المدخل الكبير (ويعضي لما هو أبعد لشرح النماذج ، بتخطيط واحد في الهواء) واحد ، اثنان ، لأربعة أولاً . . (يستعرض بعض رسوم الثياب التي كان يحملها ،

(١) حديثه إلي الأنسات هنا باللغة الفرنسية .

يوزع واحدة أو اثنتين ، ثم ينتهي إلي داخل الغرفة الأخرى ، التي يجلس منها صوته بالفرنسية) إلي الأمام من فضلكن .. رقم واحد ..! هائل!! .. رقم ثلاثة! لا ، لا يا أنستي ، ليست مريحة .. لننظر إلي الصدرية ..

هاكستابل : (متقلب الوجه) ما أفكر فيه دائما ، لماذا لا يكون لدينا شاب يتسم بالرجولة ، ونحمله مسئولية المكان هنا ..

ستات : (بعدالة تامة) قد يقال إن السيد "ويند لشام" ، يلفت الانتباه . سواء أكانت الملاحظة صحيحة أو ... ؟ (من خلال المدخل الكبير يشير "وند لشام" إلي زي باريسى ، الصيحة الأخيرة نفسها في التبرج الرصين والنفيس ، رقة في الألوان ، نعومة في الملمس ، إبداع . وهذا ما يتكشف علي شابة ذات حضور سار ، أسرة بأسلوب عرضها الذي تحققه بخطى بطيئة متعرجة ، وحركات لا تنقطع . تنزلق إلي الغرفة ، تتزين بابتسامة أيضا)

ويند لشام : الأولي والثانية .. من طراز "لانجليير"^(١) ، يا سيد "فيليب" .

(١) يقصدنيكولا دي لارجليير - Nicols de Largillière / ١٦٥٦ - ١٧٤٦ ، وهو رسام فرنسي اشتهر برسم الوجوه في عصر لويس الرابع عشر والخامس عشر ، ولم يكن فنه فرنسيا خالصا ، إذ قضى جانبا كبيرا من تدريبه علي يد فنانيين إنجليز ، وأدخل تأثيراتهم في لوحاته الباريسية .

ويندشام : (بالفرنسية) رقم ثلاثة .! (زى ثالث . يرجى أن يكون له تأثير برئ . الشابة التي تلبسه ، تتبدى عابسة بدلا من مبتسمة)

فيليب : ما هذا؟؟ (عينه علي قبعة متعالية من القش)

ويندشام : (بقليل من غمغمة البهجة) إنها قبعة جديدة . الحساء هيلين " مرة أخرى!

ستات : (مهتما ، وإن يكن مازال متجهما) الحساء هيلين . أهى شركة باريسية؟

ويندشام : (يحول ما سمعه إلي مزاح) حسنا . . عزيزي ، يمكنك تقريبا أن تعتبرها كذلك . أليس كذلك؟ (يقفز فجأة نحو الزى المعروض ، ويوقفه تماما . بالفرنسية) أوه ، يا إلهي!! الكريب جورجيت ، القماش الحريري . . . هل انزعجت (يتقدم منها لإعادة ترتيب الكريب جورجيت بما يرضيه ، وأيضا يعدل عناصر أخرى تبدو انتزاعا لأحشاء من الثياب الداخلية . الفتاة العارضة تبدو ممتلئة ، وعابسة في مثابرة ، ولكنه لا يبالي بوجودها المستقل . ولكن "توماس" ، يصدم بشكل ملحوظ ويهمس بعنف إلي فيليب)

توماس : رأيي . . لا يجب أن يسحبها حولنا بهذا الشكل . .

ويند لشام : (يقفز متراجعا ليبدى إعجابه بالنتيجة) أوه . . هكذا . .

هكذا . . (تستأنف الموديل دورتها . والأخريات مازلن

تدرن ، في تراخ وتثني ، بينما " ويند لشام " يتجول حولهن

وبينهن . المشهد كله يبدو وكأنه رقص دراويش عصريين)

فياييب : (بجمود) الحسنة " هيلين " ، يا سيد " ستات " ، بغبي باريسية

شهيرة . . تصمم الكثير من الموديلات التي تهواها

زوجاتنا وبناتنا بعد ذلك . .

هاكستابل : (يشعر بالافتضاح) لا تقل هذا يا " فيليب " . أمر لا يليق .

فياييب : لماذا؟

هاكستابل : أنا واثق أنه لا توجد سيدة تعيه . . .

فياييب : ولكن ماذا يمكن أن يكون أكثر طبيعية وصوابا من تحديد

فاتنة محترفة مسار الهواة

ويند لشام : (متوقفا في الرقص) رائعة تماما بالطبع البغي الصغيرة!

ستات : (بجدية) هل تستنتج اختلافا يا سيد مدراس ، في الدرجة

ولكن ليس في النوع؟

فيليب : (يردد نغمته بكياسة) صحيح ..

ستات : وهي ملاحظة بعيدة المدى يا سيدي

فيليب : وهي كذلك ..

توماس : أتعرف الفتاة شخصيا يا سيد "ويند لشام" ؟

ويند لشام : (يستدير وبعض من علامة الزى في يديه ، وهكذا يحتجز

الموديل بغير وعي) أوه! ، لا .. يا عزيزي لا ..

بالعكس ، أكد لك . لا شذوذ في باريس بالنسبة لي .

شبتت بالملذات منذ عهد بعيد .

ستات : ولكن لمسة تلك القبعة يا سيد "ويند لشام" .

ويند لشام : أوه ، لتكن متأكدا (بالفرنسية) انتبه يا آنسة (يمشي علي

أطراف أصابعه ، يميل قبعة القش ببراعة ، من علي الرأس

الرائعة التي توضع عليها) إنها قصة سيئة دافئة

(بالفرنسية) اخرجن .. (تتهادي اثنتان من الموديلات

للخارج ، وتتبعهما الثالثة . يتنهد "ستات" الذي يجد

صعوبة في أن يرفع بصره من عليهن)

ستات : لو أنهن فقط تبتمن أو تغمن ، ربما أمكنني أن أتغلب

علي الشعور الاستثنائي الذي تمنحني البسمة أو الغمزة .

ويند شام : (يداعب القبعة ، ويتأهب لقصته) حسنا .. من الواضح منذ فترة ، في الخارج قبل "كاثلين" .. كانت هناك "هيلين" .. تناول كوبا من الحليب المخضوض بعد الظهرية . ما الذي ينبغي أن تراه سوى المدام "ارلنكورت" .. المرء لا يعرف ما يكفي عن هذه السيدة بالطبع .. في قبعة توأمها نفسه ... التوأم نفسه . حسنا .. لك أن تتخيل .. المرء يتخبط

ستات : (مستغرقا) لا .. لا أتابع .

فيليب : أحد الجواسيس في خدمة هذه السلطة الأجنبية ، تحصل علي خطط القبعة وانشق بها

ستات : ما اسم المدام التي أمكن أن تراها عليها ، من قبل ونسختها ..

فيليب : "هيلين" ، يا سيد "ستات" ، لا ترتدي القبعة مرتين .

ستات : خطأي!

ويند شام : ولذلك كان هناك مشهد مرتبك .

توماس : مع المدام .. ؟

ويند لشام : (مستنكرا أيا من هذه السوقية) أوه ، لا .. فقط "تركت

"هيلين" القبعة تطير علي رأس وصيفتها ، وهي في قبضتنا ، هكذا يمكن القول

سسستات : (متألقا) وصيفتها! . (ثم برهبة مضحكة) لا . . اعذرني .
استمر . . استمر .

ويند لشام : خلعت قبعتها الخاصة ، وشبكتها علي رأس أقبح صبية صغيرة وجدتها ، ودفعت بالطفلة تمشي علي طول العشب بالقبعة . ثم أرسلت إلي المطابخ بشأن واحدة من تلك السلال التي يحضرون فيها السمك . . (يلوي القبعة) رأيت . ثم مزقت شريطا بطول ياردة من تنورتها الداخلية ، ولفته حولها . ثم خلعت كليهما . . حسنا . . الحسناء الفرنسية ، فهمت؟ . . هناك شيء ما في الجو! ، إنها الأربطة التي خلعتها . . حرير أزرق .

سسستات : (متطهرا) علانية؟؟

ويند لشام : (باحترافية) أوه ، . . هذا ما حدث . علق الأربطة معا ، وشدت قطعة الشريط حول السلة بهذه الطريقة . ببساطة جدا!! وذلك ما ارتدته بقية الظهيرة ، وعادت إلي باريس هذا ما سيؤدي إلي الغضب . (بعدها يمثل بمهارة علي نحو

صامت تخليق الطراز ، يسلم القبعة بمزاج إلي السيد
"سات" ، الذي يفحصها . "فيليب" لاذعا وإن يكن
بابتسام)

فيليب : الحسناء "هيلين" ذات خيال يا سيد "ستات" . وهي أيضا
فيما قيل لي مدبرة! تميل إلي التدين ، ونباتية ، ولا تشرب
إلا ماء "فيشي" ، وفي الحقيقة . . مؤتمنة علي مهنتها . .
وفي الخارج علي مهنتنا . .

ستات : (يعيد القبعة بمزاج جاد) أنا ممتن كثيرا لك يا سيد "ويند
لشام" ، لهذه الطرفة المنيرة .

ويند لشام : ليس علي الإطلاق . . هل ستري الثلاثة الأخريات؟

ستات : بكل السبل . .

ويند شام : لن يستغرقن وقتا طويلاً في تبديل الثياب . ولكن هناك
زيّا ينبغي أن أضبطه بنفسي

ستات : لا تتعجل . . (وقد اكتسب بهجة جديدة في "ويند لشام" ،

الذي يشاهده يرقص بعيدا . ثم تسمع الأغنية من الغرفة

(التالية)

ويند لشام : (بالفرنسية) هيا . . هيا . . رقم خمسة ، رقم سبعة . . رقم

عشرة . آنسة "أوليفيا" .. قمي أنت بدورها .. (ويغلق

الباب . فيليب ينظر إلي ساعته)

فيليب : ولكنها الثالثة وعشر دقائق .. ومن الأفضل ألا ننتظر أبي

(يحيطون بالمنضدة ثم يجلسون)

ستات : رائد "توماس" ، هل معك مفكرتي؟

توماس : ها هي ... (يسلمها إلي "ستات" ، الذي يتنحج ويمسك

عن البصق ، ويبدأ الخطبة الأمريكية المعتادة)

ستات : أيها السادة ، المشروع الذي أود من أجله لو اشتريت دار

"مدراس" ، وأضفتها إلي استثمار "بوروز" ، التي أهيمن

عليها فعلا ، هو .. أن أضمها باختصار .. هذا ، مشروع

"بوروز" الإقليمي .. تدركون هدفه .. وأمضي بعيدا بما

يكفي بقدر ما يفعل المساهمون الذين يعنون بمخازن

الأقمشة المحلية . وكان مهما لهم أن أكتشف أي خصائص

تلائم مشروع "بوروز" ، وأي مدن .. ولماذا . مشكلة

تلفت الانتباه في سيكولوجية الشروط المحلية ! ، والآن ..

حذفنا من الكتلة عددا ملحوظا من الحالات ، التي لا

ترتبط بنا فيها القوى المحلية . وعندكم في "ليستر" ،

و"نورويتش"، و"بلموث"، و"كوفنتري" .. هناك أسماء غير معروفة، اسم "بوروز" غير الملهم، علي مؤسسة النار الجديدة المجاورة، قد لا تكون مؤثرة بأي حال من الأحوال. ولكن عندي سبب فيما وراء ذلك .. وآمل ألا يكون سببا غير هام، أن أضع أمامكم أيها السادة، السبب في أن تكون هذه المراكز الإقليمية، التي ينبغي أن نراها لتأسيس دارنا "مدراس" .. إضافة جديدة. أوضح هذا إلي حد بعيد؟ (خلال ذلك يصل السيد "قنسطنطين مدراس". يهمل للحظة إلي جانب الباب الذي كانت تدخل منه الموديلات وينضم الآن إلي المجموعة. رجل في الستين، وتعد الستون بالنسبة له مقتبل العمر. طويل، وقور تماما بشكل درامي، رقيق، اعتزالي قليلا. إنه واحد من أولئك الذين يعتبرون الحياة فنا يصممونه ليكونوا سادة. صاحب وجه لطيف. شرقي النوع، ولحيته الطويلة فقط مشبعة باللون الرمادي. لا يلبس كالرجال الخاملين، لأنه ليس واحدا منهم. يرتدي معطفاً قطيفة، رابطة عنك بمربعات حمراء، وبنطلون رعاة منقوش، حزام أبيض، و"بوت" ماركة، وكل أولئك

يناسبه ويعبر عن شخصيته بدقة وجيدا . مزيج الأصالة الحسية والتقاليد الذي يكون رجلا . "فيليب" الذي لمح أولاً ، يرحب به بشكل عادي متعمدا . ولكن السيد "ستات" ينهض معجبا ، فهذه واحدة من مذهبه لمعرفة العظمة ، ويصر أن يتعرف عليها)

فيليب : مرحبا بك يا أبي!

ستات : سيد "مدراس" ، لكم أنا فخور بلقائك ثانية

قنسطنطين : (بلطف وإن يكن بارد الأعصاب) كيف حالك يا سيد "ستات" ..

فيليب : تعرف كل الموجودين يا أبي .. أوه ، "هيسلي توماس" .

قنسطنطين : (لطيفا كما هو) كيف حالك يا سيد (ثم بابتسامة مؤذية يربت علي كتف "هاكستابل") كيف حالك يا عزيزي "هاري" ؟ ("هاكستابل" سمع بحضوره ، وأحس بنفسه يتحول إلي اللون الأرجواني ، فقد كان هذا اللقاء بعد ثلاثين سنة! وتركه يسقط عليه بلا توقع وبشكل متعمد تركه كذلك ، نظرا لأنه في الحقيقة لا يعرف ما يقوله أو يفعله . وخشي أن يلهم بأي شيء يقوله أو يفعله . والآن

أسفا ، ويحمد الطيبة ! التي جاءت متأخرة أيضا . إنه في
مخاطرة مناسبة ، ويحتاج فقط لأن ينخر بعبوس)

هاكستابل : أنا بخير تماما . . أشكرك . (بربته واحدة زائدة في اعتذار
للقاحة ، يتجه "قنسطنطين" إلي مقعده)

ستات : أكانت رحلة سارة عبر القارة؟؟

قنسطنطين : مفيدة علميا . لا تجعلوني أقاطع عملكم . سألتقط أنا
الخيوط . .

ستات : (يؤدي خطبة يعيد تدفنتها) كنت أتقدم في عرض بعض
التفاصيل التمهيديّة علي المنضدة ، عن المشروع الذي كنا
قد فصلناه بعناية منذ لقائنا في يونيو الماضي ، لدعم
اسمك وشهرتك في بعض المدن الإنجليزية الهامة . ولم
نمض كثيرا . . (يستشير ورقه . بينما "قنسطنطين" يتبدي
في صورة حامل سيجار رشيق من العنبر)

قنسطنطين : أليديك بعض الموديلات الجديدة يا "فيليب" ؟

فيليب : نعم .

قنسطنطين : الفتاة الطويلة تبدو رائعة بما يكفي . أيمكنني التدخين؟

ستات : اسمح لي (يستل علبة سجائره)

قنسطنطين : سيجارة .. أشكرك ، معي سيجاري .. (يتقدم ليصنع واحدة ويشعلها . يعرض السيد " ستات " سجائره بشكل عام ، ثم يضع واحدة في يده)

ستات : استمد بين الحين والحين بعض المتعة من سيجار بارد . ما كنت لأدخل للحظة في جوانب الموضوع المالية ، لأنني أعتقد لا شك أن .. من المحتمل بقليل من تعديل نسب الأسهم والنقدية .. يمكن إنهاء الموضوع ..

هاكستابل : (في محاكاة لكل هذا الجو من الارتياح والكرم) سأدخن سيجارة يا " فيليب " .. لو أنك دخنت واحدة . (فيليب يتناول سيجارة ، وكل منهم يجعل نفسه مسترخيا ، بينما السيد " ستات " يستمر مستمتعا بكفاءة)

ستات : وانتابني الشك أنك لن تكون أكثر اهتماما بالمال عني يا سيد " مدراس " . أي واحد يمكنه تكوين ثروة ، لو كان لديه رأس مال يكفي . القليل الذي عندي جاء من التجارة في ألواح الخشب والخوخ المعلق . والآن ثمة شاعرية في الأخشاب . الغابة العذراء .. إنني أجلس فيها

لأسابيع كاملة . وهناك شاعرية في الخوخ ، قبل تعليبه .

أتساءل لماذا اشترت تلك المؤسسة العامرة في المدينة؟

فيليب : (البذي يأسف فقط لأنه أحيانا ينبغي أن يتوقف) لماذا يا

سيد "ستات" ؟

ستات : لأنني وجدت نفسي ، يا فيليب ، رجلا وحيدا . شعرت

بالحاجة إلي أن ألج تلك اللمسة التي طالما أشار إليها

"جوتة" ، بالروح الأنثوية . . تؤرجحنا عليها للأبد لأعلي

وأسفل . وقد واتتني الفرصة ، وبدت طريقة عملية جادة

توفي بالغرض .

قنسطنطين : (من خلال سحابة دخان إلي حد ما) والرضاء؟؟

ستات : عفوا؟

قنسطنطين : هل يرضي شغل التنورات الجاهزة اشتهاك للأثني

الأبدية؟؟

ستات : سيد "مدراس" . . . ذلك تهكم مستحق . . لا يا سيدي ،

لم يكن من شأن مجموعة "بوروز" ، اكتشفت أنه عمل

خال من المعني الداخلي . . فلا روح فيه . العمل لا يمكنه

أن يكون أكثر وجودا بلا روح ، عم يمكن للإنسان . أنا

واثق أنك توافقني يا سيد "هاكستابل". (المسكين
"هاكستابل" يكاد يخنق بالاستدعاء المفاجئ ، ولكنه
يشرق بأفضل ما فيه)

هاكستابل : أعتقد أن الأمر كذلك .. تماما . (يبدأ السيد "ستات" في
التوهج)

ستات : كانت هنالك متعة ، أفهمني؟ .. وما زالت .. في أن تجعل
بائعات القبعات النسائية في الأقاليم تتقافزن أمامك .. أن
تسدد المسدس إلي رؤوسهن . . قائلًا اشترين بضائعنا ،
وإلا تتجمدن في الخارج .. هذا ما يستبقي حيويتي ،
ويوقظهن .. ويجعلهن رائعات . ولكن "بوروز" ، ليست
في التيار ، التيار النسائي ، التيار النسائي العصري
العظيم . لقد استوعبت في البيت أن الرجل - الذي لديه
الكثير ليفعله مع النساء - مثلما يفعل تصنيع عصب
مشدات الجسم "كورسيهات" ، مازال حتى الآن وبشكل
لا واع خارج التاريخ في هذا التيار . إلا أن تجريف
البضائع علي طاولة البيع وتكديس الأرباح .. ليس عذرا
لإرهاق الأرض .. ولا شيء شخصي ، يا سيد
"هاكستابل" .

هاكستابل : (مستعدا هذه المرة) لا .. لا .. إنني أصغ إليك . لست
عجوزا جدا علي التعلم .

ستات : افهم .. لست أقول إنني لم أكن مستمتعا في "بوروز" . كان
لدينا تصورات .. فكرتان مبررتان .. للقفز حيث قفز
المرء من قبل . كانت هناك "نوتنجهام" .

هاكستابل : أعرف "نوتنجهام" .. عندي دكان فيها .

ستات : (بفخر لا يخلو من فائدة) في ستين حطمت مؤسسة
"بوروز" المنافسة في نوتنجهام . لم أزر المدينة بنفسي ، ولكن
الفكرة كانت لمديرتنا المحلي هناك .. فكرة بسيطة ، قسم
السيدات يخدم فيه الرجال ، وقسم الرجال تخدمه
النساء .. ودائما بالطبع داخل حدود الرقة والذوق . ألا
تعتقد أن ذلك يعني شيئا يا سيد "هاكستابل" ؟

هاكستابل : (بعين زائغة وفم مفتوح) أوه .. حسنا ..

ستات : ولكن هل أنت الرجل الحسي الممتاز؟

هاكستابل : (معرفة باللغة الفرنسية بالكاد تساعده في هذه الترجمة
المباغثة) لا .. لا أتمني ..

ستات : ولكن أنت نفسك في مكانه . محاط بالفتيات الجميلات ..

الفتيات الرائعات ، أفهمني .. الطبقة العليا . تدفع لهم جيدا .. وتتركهن تعشن .. تدفع لأمهاتهن ووصيفاتهن لو اقتضي الأمر ... حسنا ، محاط بالأنوثة المترفة ... هل ينسي الرجل الحسي كم ينفق من المال ، أو لا ينسي؟ ، هل يأتي ثانية؟ أليست واحة صغيرة في صحراء يوم عمله؟ ألا تعد في جاذبيتها أفضل من الخمر ، أو ليست كذلك؟

فيليب : (بشكل قارص) أهى كذلك؟

ستات : وبعد يا سيدي (باللاتينية) لنستمع إلي الطرف الآخر . أحب أن تري قسمنا النسائي المزيّن ، في أحسن أحواله ... قبل موسم كرة القدم بالضبط .

فيليب : أعتقد سأزوره ..

ستات : كلهم رياضيون .. ولا رجل منهم أقل من الستة أقدام .. ذوو لون برونزي ، رفاق نبلاء .. الغزل غير مباح ، ولا يرضون بأي شيء مفسد . لا شيء إلا مجاملات مدينتنا الحديثة البريئة . الخالصة . رجال محترمون مبرأة عقولهم من أي شيء عن الجنس اللطيف ، الذي يخطو في المحل

لشراء ولو كيس بشلن ، أو ما شابه . ويدفعن . . سيدي
النساء تأتي أسرابا

هاكستابل : (مبهور الأنفاس) أهكذا تنتوي أن تدير دور "مدراس"
الجديدة؟

ستات : صبرا . . يا سيد "هاكستابل" . ما هي إلا ستة شهور
مضت منذ بدأت دراسة موضوع المرأة ، من وجهة نظر
مؤسسة "بوروز" وشركاه . أنا قصدت إلي اجتماعات
النساء في لندن ، "مانشستر" ، وفي الأماكن أحادية الجنس
أيضا . والآن ، ما كانت المطالبات السياسية ، سوي
السمة الأضييق والأغث من الموضوع كما رأيتهما . الحركة
النسائية تعني تعبير المرأة عن نفسها . ولكن لننظر إلي
الأمر كما هي . ما هي وسائل المرأة الرئيسية . . وكيف
تكون وسائلها الوحيدة في التعبير عن نفسها؟ . . علي
كل حال . ما هو أول شيء تنفق مالها عليه؟ الثياب أيها
السادة ، الثياب . ولذلك أقول . . مع أننا يمكن أن نشعر
في مجال صناعة السلاح بالأفكار الجيدة . . فإن التنورة
الجاهزة متخلفة . .

ويند لشام : (يندفع من الحجرة الأخرى ، بالدبابيس في فمه ، وألواح

الموضحة تحت إبطه ، وقبعة سلة السمك في يده) سترون
الأخريات تدخلن الآن . (ثم يعود خلال الباب ،
بالفرنسية) هيا . . . هيا يا أنساتي . . من فضلكن . . رقم
خمسة ، الأولى . (ويقلب القبعة رأسا علي عقب فوق
المنضدة) رأيت أنكم تودون لو رأيتم أنهن تركزن المقابض
عليهن . ولكن لا أظن أنه يمكننا ذلك هنا ، هل تودون ؟
(تدخل الموديلات علي نحو ما سبق ، الرداء المسائي المتقن
بشكل غير مسبوق . وبينما يفتش "ويند لشام" عن
التصميم) رقم خمسة

توماس : (مذهولا كثيرا) أقول . . يا له من مدهش .! (ولكن ضوء
البحث عن الجدة البارد ، يبدو منفصلا عن شأن المخلوقة
المسكينة ، المتألقة الوردية الجميلة المتبسمة التي ترتدي
الموديل ، حتى أنها تبدو- في الحقيقة- نصف عارية ،
بينما حس "ويند لشام" الجمالي ، أبعد ما يكون عن
الاهتياج)

ويند شام : (بالفرنسية) ولكن لا . . لا ، لا تضعي نفسك في ضوء
النهار . . بل في المخدع بجانب القטיפه السوداء . .
(تتهادي الموديل نحو رصيف القטיפه السوداء)

توماس : (يستغرق "توماس" في الإعجاب) هذا يمنحها فرصة

التألق . يا لها من ملعونة جميلة

فيا سيب : (غامزا بعينه) ستفهم ذلك ، يا "تومي"

توماس : (بإيمان معقول) لن تفهم ..

ستات : (دارسا تموج خطى الموديلات) كيف تعلمن أن تمشين

هكذا؟ .. ذلك ما يذهلني!

ويند لشام : (يستدير علي إطار الأضواء التي تؤثر علي الرصيف

القطيفة . لقد اكتملت الآن رؤية الحسن الأنثوي)

هناك ... هذا انقلاب العين المفاجئ . (الرؤية تتحول

بهذه الطريقة ، وذلك ما يستعرض منحنيات الحسن التي

قد تكون هناك . كلهم يشاهدون إلا "قنسطنطين" الذي

يجلس صامتا وغير مبال ، يلف سيجارة ثانية ، يدخنها

بهدوء . وأخير يعلو صوت "فيليب" ، بكل ما ينطوي

عليه من برودة وتورية)

فيليب : وهل سنفترض يا سيد "ستات" ، أن هذه المقطوعة من

التزيين الذاتي تعبر فعليا عن طبيعة أي امرأة؟ ، أو عن

تفكير مرعب إلي حد بعيد!!

فيا—يب : وماذا عن هذه؟

ستات : رمادي مع لمسة وردية .. الجانب الناعم جدا ، المناهض
لحق التصويت العام!

فيا—يب : (في استدارة إليه) لا ، إنه ذو فتحة مربعة عند العنق . لا
بد أن أقول أنه بجانب حق التصويت العام

ستات : (يفرك يديه) عظيم .. هنالك هدف وراء هذا المزاح يا
رائد توماس . المرأة تفتننا دائما بعدد من الأساليب .
وإن كان لنا أن نهتم بها ، فلنفعل ما بوسعنا لخدمتها .

قنسنطين : يبدو أنك شاعر يا سيد "ستات"

ستات : لم أكتب قصيدة في حياتي يا سيدي .

قنسنطين : كم من الشعراء ينبغي أن يتوقفوا عن نبش قصائدهم ،
ويحاولوا أن يحيوا مثل هذه الملاحم التامة ، ومن المحتمل
أن تتبدى في شرائك دار "مدراس"!!

ستات : (راضيا كثيرا) سأفخر بأن أكون وريثك (ثم يخلق)
ولكنها امرأة الطبقة الوسطي الإنجليزية التي تنتظرنني .
المرأة التي مازالت تجلس في شرفة قاعة الاستقبال في
فيلتها بالأقاليم ، وتحرق ساهمة في غابات الغار . رأيتها

في عزلي تمشي ، ولا بد أن تحظي بفرصتها في أن تسي
القلوب وتبهر ذلك حق كل امرأة في أن تولد . . .
سواء أكانت دوقة في "مايفير" أو زوجة طبيب في ضواحي
ليستر . وتذكروا أيها السادة أن نساء الطبقة الوسطى في
إنجلترا . . وفكروا فيهن إجمالاً . . تشكلن واحدة من
أعظم ماكينات الإنفاق في العالم ، رأيتها علي الإطلاق . .

هاكستابل : (بهزة من رأسه ، ويبدو أكثر ارتياحا الآن) نعم . .
تزوجن من المال!

ستات : (يلتقط نفسا طويلا وعميقا ، وبنبرة عالية) كل مفكرينا
الأكثر تقدمية سيوافقون علي أن استقلال النساء
اقتصاديا ، إن هو إلا الخطوة التالية في مسيرة المدنية .

هاكستابل : (مغلوبا علي أمره) أوه . . معذرة .

ستات : (محلقا الآن بأكثر مما كان علي الإطلاق) والآن ها هي
بذرة الحرية وقد نثرت في طبيعتهن الحلوة . . ويا لها من
غابة مباركة نماء معطر ، مترف ، واستوائي للأنوثة
قد لا ينبثق حولنا ، لأننا نعيش في عالم قبيح . انظر إلي
رابطة عنقي! ، تأمل صدريتك يا رائد توماس (تفتش

الميكانيكية بدلا من حركة الإنسان الآلي . ولكن أحيانا
تلتصق بهن ، وأحيانا تفلت . . .

توماس : والتكلفة؟

فيليب : (بترفع) اللحم والدم دائما أرخص

ستات : هل صدقت علي "الكورسيهات" ، يا سيد "ويند لشام" ؟

ويند لشام : أوه ، نعم . . . والموديل امرأة ، كما اتفقنا . . .

ستات : ألم تتعمق أبدا في سيكولوجية الموضوع؟ ، من فترة

مضت ، كان عندي مؤرخ شاب وذكي في "بوروز" ،

وكتب دراسة صغيرة عن "الكورسيهات" . . . قدر السعر

بشئ . الشخص المحافظ يجمعه لمصلحتها . وأقمنا لها

متحفا صغيرا . . . في "ثاوسمبتون" ، فيما أعتقد . . . ولكنه

لم يحقق نجاحا . رائد "توماس" . . . لا بد وأن نرسل نسخة

من الدراسة إلي السيد "ويند لشام" . ستجدها شيقة

جدا .

ويند لشام : بالتأكيد سأقرأها . أيمكنني أن أقدم لكم شيئا آخر؟

فيليب : قابلني قبل أن أرحل ، هل تفعل؟

ويند لشام : ليكن . . . إلي اللقاء . (هناك سكتة ، حيث يبدو وكأنهم

يستجمعون أنفسهم ، في أماكنهم . يقطع الصمت صوت
" فيليب " قائلا في تأمل)

فيليب : إنني أحيانا أتساءل إذا ما كنا ندرك علي أي نحو تكون
ثياب النساء . . أو ثيابنا نحن ، بهذا الشأن . .

هاكستابل : أي شأن؟

فيليب : هل حاولت أن تصف أبدا ثوبا ، كما يتبدى لعين غريبة؟
هل فكرت في ذلك أخيرا؟ ، القبعة تشبه قبعة صغيرة ،
قد تكون شريطا مثل أي شيء علي رأس المخلوق .
الزهور التي تلونها ، لا يسرُ الله أبدا أن ينميها . وريشة
مرصعة بالجواهر . . ريشة مرصعة بالأحجار الكريمة .
والباقي يمكن أن يسمى مؤامرة ، مؤامرة في ثلاثة ألوان
من جانب اثنتي عشر حائكة نسائية لإقناعك أن تلك
المخلوقة التي ألبسوها ، لا يمكنها أن تمشي ولا أن تمضغ
غذاءها ، ولا تربي أطفالا . والآن . . هل هذا أمر جميل؟

ستات : (الذي يعد الأمر بالنسبة له جديرا بالمحادثة فعلا) سيد
" فيليب " ، هذه الفكرة ، بمثابة رافعة . . دُست تحت
مؤسسات المجتمع ذاته .

هاكستابل : (بقليل من التباهي) سخف .. محاولة إزعاج أفكار الناس
بمثل هذا الرأي .. سخيفة .

توماس : (بحس جامد) أعتقد أن حشداً من النساء اللائي تلبسن
جيذا ، واحد من أجمل الأشياء في العالم .

فيليب : هل رأيت أبدا امرأة شرقية تدخل مقهى الشاي في شارع
"بوند" ؟

توماس : لا ..

فيليب : (بقوة) أنا رأيت ..

قنسطنطين : آآآآه!! (ينفث قليلا من عمود الدخان في الهواء ، بنفخة
طويلة لا تخلو من تأمل)

ستات : (يستدير إلي "قنسطنطين" ، بتبجيل) أخشى أن نكون
أضجرك يا سيد "مدراس" . كنت من الأمراء الذين
خبروا هذه الأمور ، منذ مدة طويلة جدا ..

قنسطنطين : (يتكلم بصوته الأكثر لينا ونعومة) لا ، لم أكن ضجرا يا
سيد "ستات" .. فزعت قليلا فحسب .

ستات : ولما؟

قنسطنطين : كما ترى .. أنا مسلم علي دين محمد ، ومثل هذا الموقف من الجنس الآخر ، أصبح مثيرا لاشمزازي . (هذه القنبلة التي انفجرت برقة ، تؤثر علي المجموعة بتنوعات مختلفة . سيمر بعض الوقت قبل أن يقبض "هاكستابل" علي معناها . "توماس" ببساطة يفغر فاه . والسيد "ستات" يجد فيها بوضوح نكتة جديدة في الحياة . أما "فيليب" الذي لا يجد فيها جديدا - فيما يبدو - فيقول باحتجاج خفيف)

فيليب : أبي العزيز!!

ستات : (بينما يدور حوله) مسلم حقيقي؟

قنسطنطين : أصبحت مسلما . فإن لم أكن ، فقد يكون أمرا مزعجا وغير مألوف ، أن تعيش في "هايت" دائما . . قرية علي حدود جنوب أفريقيا . . قد تكون بيتا . بجانب أنني تحولت .

توماس : (بعدها يلتقط أنفاسا كافية) لم أكن أدري أنك أصبحت مسلما؟ .

قنسطنطين : (بشيء من الصرامة) يمكنك أن تصبح مسيحيا يا سيدي

توماس : (مصدوما) آه .. الأمر مختلف تماما ..

ستات : (يشعر بالفعل أنه يعيد اكتشاف العالم القديم) ولكن لكم هو أمر بالغ الإثارة لرجل واسع الأفق!! .. مثير بشكل استثنائي!!! وهل كان تحولا مفاجئا؟

قنسطنطين : لا .. كنت أبحث عن ذيانة .. احتياج شائع في هذه الأوقات .. والإسلام دين جد راقٍ ، يا سيد "ستات" ..

ستات : أهو كذلك؟ لابد وأن أطلع عليه . القرآن! .. نعم ، لم أقرأ القرآن أبدا .. مجرد سهو! (بيدي ملاحظة ذهنية . وببطء شديد ينصب كل ظلمها علي "هاكستابل" ، الذي يتحول وجهه من الأحمر إلي الأبيض والأسود ، ثم الأحمر ثانية . ويصبح لبقا وتفصيليا ، وحادا . يخبط علي المنضدة)

هاكستابل : وماذا عن "أميليا" ؟

ستات : (هادئا وباسترضاء) ومن "أميليا" ؟

فيليب : فيما بعد يا عمي ، فيما بعد ..

هاكستابل : (يخبط ثانية) ماذا عن زوجتك؟؟ لن أكون هادئا يا

"فيليب"! فهذا غير شرعي .

قنسطنطين : (بنظرة نصف باردة ونصف عطوفة ، إلي "هاكستابل")
هاري!! أكره أن أراك مثار سخرية . (وكان هذا مطلوباً
فحسب)

هاكستابل : ومن يبالي إذا ما كنت مسخرة؟ ، إنني لم أتحدث إليك
طوال ثلاثين عاماً . أليس كذلك؟ وهذا يعني . . أنني لم
أتلقي منك توجيهاً ، أكثر من أنني يمكن أن أساعد . .
وجئت هنا اليوم وكلي غفران وتسامح . . وفضول لأن
أري أي رجل أصبحت الآن . . . وسواء غيرت رأي . .
أو سواء لم أشعر أبداً بالفعل بكل ذلك نحوك علي
الإطلاق . . ولعنت إن لم ترحل وتحملني لعبة جديدة!
ماذا عن "أميليا"؟ الديانة هذه المرة ، مسلم! ، حقيقة . .
في عمرك هذا! ألا تستطيع أن تستقر أبداً!!؟ معذرة . .
معذرة سيد "ستات" ، حسناً يا "فيليب" . . فيما بعد! ، أنا
لم أكمل . . ولكن عندك حق تام ، فيما بعد .

ستات : (هذا الموقف يفسد مزاج "ستات" ، الذي ينفخ قليلاً
بتأثيره في مثل هذا المكان الضيق ، ويتكلم: من ناحية
بقصد أن يجلب الوثام ، ومن ناحية بشيء من الفضول)
ولكن هل غرقت يا سيد "مدراس" ، في دنيا الحريم . ؟ .

هاكستابل : (يقف علي قدميه صاحبا في استقامة) لو أهنت أختي
بإجابة هذا السؤال . .

قنسطنطين : (يوقفه بنظر وإشارة) عائلي يا سيدي ، جزء من الرجل
الشرقي المحترم في مثل مركزي ، ونحن لا نتحدث عن
نسائنا علانية .

ستات : أنا حقا آسف جدا . . معذرة

قنسطنطين : لا ، علي الإطلاق . خمس سنوات مضت منذ تقاعدت
بالتأكيد عن العمل ، وقررت أن استكمل مودتي
للشرق ، بالاستقرار هناك . هذه زيارتي الأخيرة
لأوروبا ، من ناحية لأراك يا سيد "ستات" . . وفيما عدا
ذلك فقط ، كي أكد حكمي علي السؤال . .

ستات : سؤاله؟

قنسطنطين : نعم . كنت دائما في مكان غير ملائم بينكم . أغريت
نفسي أحيانا بالندم علي تصرفاتي المخزية . . (حركة
خفيفة من "هاكستابل") ههههه . . اسكت يا "هاري" . .
اسكت ! ولكن لم أستطع قط أن أقنع نفسي بإصلاحها .
وكان من أسباب رضائي الشخصي الخفيف ، أن

أكتشف .. بعين الغريب .. أنا أوروبا مجنونة في موقفها
بإزاء المرأة .

ستات : مجنونة !

قنسطنطين : مجنونة

توماس : (مصغيا بكل جوارحه) أقول ..

قنسطنطين : من المحتمل أن توافقني يا رائد "توماس" ..

توماس : (متراجعا بظهره كثيرا) لا .. لا أعتقد ذلك .

قنسطنطين : كثير من الرجال يوافقوني .. ولكن الرفاق المساكين ، لا

يجرؤون علي التصريح . علي سبيل المثال ، سيد "ستات" ..

ماذا يمكن أن يقال في تجمع من خمسة رجال ، ذوي مقدرة

وكرامة ، التقوا معا ، ليتهربوا في .. ما رقم الموديل

المثير للشهوة الذي جذب - بشكل خاص - الرائد

توماس ؟

توماس : (مصدوما لدرجة العنف) لا .. أنا أحتج بالفعل .

ستات : (هادئا كلية) رفقا "توماس" ، رفقا .. دعنا نتأمل في

الاتهام بشكل فلسفي . (ثم بابتسامة رائعة حلوة) بالتأكيد

ذلك تركيب إجمالي ، ينطبق علي غريزة كل امرأة جميلة

لتزين نفسها؟

قنسطنطين : ولماذا إجمالي؟ ، إنني ابتهج بكل الجميلات ، اللائي يتزين
بجذق ورقة . أود أن يرجع الرجل إلي بيته بعد يوم عمل
شاق ، ليجد الترحيب من نسائه . . يجدهن غير مرهقات
بأفكار العمل والسياسة . . يجدهن مستعدات لإنعاش
روحه ، بتناغمها مع جانب الحياة الأكثر لطفا وحلاوة . .

توماس : (بشيء من التكفير الوجداني) أوه! . . هذا صحيح
تماما . . تماما . .

قنسطنطين : تصورت أنك توافقني يا رائد توماس . وهذا هو المثال
العائلي للمسلم المحترم .

توماس : (واضحا للحظة) أهو ذا؟

قنسطنطين : ولكنك لا تتوقع أن تجد زوجتك تلبس بهذا الشكل . . .
المبهرج بالترتر ، و . .

توماس : (وقد بدأ ينمو فيه نوع من عدم الارتياح العقلي) لا . .
كان هذا زيا للخروج . .

فيليب : (مستمتعا بشدة بهذه المنازلة) أوه ، "تومي" . . . "تومي"!!

توماس : (في مراوغة عقلية . . وواعيا) ولكنني قلت لك ، لو أن

زوجتي .. هكذا ، لو أن زوجة أي شاب س .. أعني ...
(ثم ينطقها) لو حافظت المرأة علي نفسها ، ذكية ،
رشيقة ، وجذابة في بيتها ، لما كان للرجل عذر في أن
يتسكع وراء نساء أخريات .

هاكستابل : (ينضم إلي النزال فجأة وبجمية) الزوجة تجلس في بيتها
لتربي أطفالها .. ماذا يراد منها أكثر من ذلك؟

قنسطنطين : " هاري " ولد زوجا يا رائد " توماس "

هاكستابل : وأتني ألا أكون ولدت منحلا ..

توماس : المنحل ملعون .

سسستات : (بهدهوء) أيها السادة .. يا سادة .. كل هذه افتراضات
مجردة ..

هاكستابل : التسكع وراء زوجات الآخرين ، ربما! ومع ذلك لا أعتقد
أنك فعلتها يا "قنسطنطين" أبدا .. إنني أحكم عليك
بالعدل .. لا أعتقد أنك فعلتها قط .

قنسطنطين : لم أفعها قط .

فيليب : (بإيذاء جارح) أوه ، "تومي" ! "تومي" ، أيمكنك أن تزعم

الشيء نفسه؟

توماس : (يصعق فعلا من البذاعة) "فيليب"، هذا ليس لطيفا منك... ليس من الياقة. لم أكن أفكر في ذلك، وأنت تعرف أنني لم أفكر فيه.. لسنا جميعا هكذا متفرين للنساء مثلك..

سستات : (يترك نفسه مستمتعا بهذا التراشق) آه.. العنب الحامض يا سيد "فيليب". لا يجب أن نعالج الأمر بذاتية.. ولكن هل هذا عنب حامض؟

فيليب : (باردا جدا في دفاعه) شكرا "تومي".. أنا لا أستطيع أن أجتذب إلا نوع النساء الذي أود اجتذابه. ولكن مادامت هي الموديل رقم خمسة، ستة أو سبعة، التي اجتذبتك.. حسنا.. فستكون فروع "مدراس" استثمارا ممتازا للسيد "ستات"، ولفترة طويلة جدا. (هكذا انتهى دخان النار الكامنة. ويكمل صوت "قنسطنطين" الإخماد)

قنسطنطين : "فيليب" أناني بارد الدم. وإذا أحبته النساء فذلك من سوء حظهن. إنني أعرف طريقته مع المرأة.. يظل يراودها بالإقلاع علي الطائفة الثقافية، ظنا منه أنه يرفع

مستواها . ولكنني أتعاطف معك يا رائد "توماس" . إنني أيضا سريع التأثر بقدر ما تعني الطبيعة أن يكون الرجل . . وكما ينبغي أن تريده كل النساء . وأنا أشرت إلي موديلات الخروج تلك ، لأنني - بصراحة - وجدت نفسي ملتزما الرحيل عن البلاد ، حيث تترك النساء طليقات بالمال لتبددنه ، وبالوقت لتضيعه . . وتجند التشجيع للتباهي بمفاتنهن في نفس الشوارع . . وفخورات إذا رأين سائقي الحافلات يغمزون لهن .

هاكستابل : ليسوا سائقي الحافلات (إنه فقط يستنكر بلطف الآن) .

قنسطنطين : فخورات ، يا عزيزي "هاري" ، إذا رأين سائقي التاكسي يتسمون .

هاكستابل : (ينظر حوله ، ثم يومئ بجدية وبتفكير عميق) نعم ، هذا صحيح . وكنت لأنكره في أي وقت آخر . . ولكنني كنت أفكر فيه قليلا في الآونة الأخيرة . . . والأمور التي تفكر فيها مرة ، تبدأ الإيمان بها . . وهي صحيحة (ولكن بفروسية عظيمة) ولكنهن فقط لا تدرين أنهن تفعلن ذلك . لا تدرين بما تفعلن(ثم يراوده الشك) هل تظن

أنهن تدرين يا فيليب؟

فيليب : بعضهن يرتاب ، يا عمي .

هاكستابل : (لا يفسد إيمانه) لا .. ما أقوله ، إنها الغريزة .. وتوصلنا لأن نتكيف معها بقدر ما يمكن . كانت "جوليا" في "وايماوث" ، خلال الصيف .. إنها واحدة من بناتي ، اشترت لنفسها ثوبا .. ليس من نوع ما رأينا من الموديلات بالطبع ، ولكنه جميل جدا ، برتقالي اللون ، كان مخططا .. ولكن يمكنك أن تراه علي بعد ميل من مكان العرض .. وأخواتها كلهن دسسن أنوفهن فيه .. قلت لنفسي: الغريزة ..

ستات : (يوقف فجأة المناقشة) نعم ، يا سيدي .. الغريزة الأنبل بين الغرائز التي تديم جنسنا البشري . دعونا نرتقي أرضا عالية في هذا الشأن أيها السادة ..

قنسطنطين : (دون حراك) الأعلي ، يا سيد "ستات" . لو فكرت أن تدير "وايماوث" ، لمدة شهر في السنة ، من داخل كابينة ممارسة الجنس العشوائي بكل التداعيات التي تتطلبها العادة ، فهذه طريقة مثلي لإدامة جنسك البشري ..

حسنا ، أنا لا أوافقك .. ولكنها وجهة نظر . ما أسأل
عنه ، لماذا الرائد "توماس" ، وأنا نفسي .. مستعد- ربما-
لأن يكون في حالة زواج دائم .. أينبغي أن تعيش
مدينتنا ، لندن ، مشغولة بهاجس .. ما هذا الشيء؟

فيليب : قبة الحساء "هيلين" الجديدة ، يا أبي .

قنسطنطين : والآن ، هذا قد يكون قبيحا .. أمل ألا أكون اقترفت
بنفسي أبدا أي شيء قبيح تماما كهذا .. ولكنه جذاب .

فيليب : (بوجه ملتوٍ) لا ، يا أبي .

قنسطنطين : أليس كذلك ، رائد "توماس" ؟

توماس : (بأمانة) حسنا .. إنها تجعلك تنظر إليهن ، عندما لا تكاد
تبالي بهن ..

قنسطنطين : نعم .. إنها مستفزة ، مثيرة . وتقصد ألا يتم إنجاز عمل
في الدنيا ، بينما تحيط به . وحين تكون حولي دائما ،
أعترف بأمانة مرة أخرى ، بأنني لا أستطيع أن أضطلع
بنصبي من العمل . ومما يثير الاضطراب أن تشكل وعي
المرأة علي الدوام . للنساء شغلهن في العالم ، كما عبرت
عنه بسعادة بالغة يا سيد "ستات" ، الشغل الخالد ..

ويخدم بقاء الدنيا بشكل أفضل ، بادخارهن بصرامة له .
 هل أولئك السيدات المثيرات (يقلب القبعة بين أصابعه
 ثانية) رائعات لمسألة تخليد الجنس البشري هذه الأيام؟

ستات : (ينفجر فيه ، وإن يكن هذه المرة كسير القلب) أنا لا
 أحتمل هذا يا سيدي . . لا أحتمل أن تتبني هذه الواجهة
 في النظر إلي الحياة . . ولا يمكن لرجل ذي إحساس أن
 يتبناها . بالإضافة إلي أنها رجعية . . أنت علي المسار
 الخاطئ ، ولا بد أن تعود إلينا يا سيدي . لقد منحتنا فرحة
 وسرورا . . أيمكن أن نعمل بدونهن؟ ، حين وجدت
 نفسك مرة أخرى بين عالم الحسان ، ساعدتنا أن
 نقدسه . . أتمنى لو غيرت رأيك . ماذا كانت نهاية تلك
 القصة القصيرة للدوقة؟ في الليلة إياها ، اكتست في
 إبداعها من يدي "مدراس" ، كيف عبرت صالة الرقص
 بجفيف تنورتها الحريرية ، تفوح عطرا كما جاءت . . بينما
 منافساتها الأصغر منها شاحبات ، أمام نشوة جماها ، وكل
 رجل في الصالة ، شابا كان أو كبيرا يكافح ليظفر بلمحة
 منها أو كلمة أو نظرة (يبدأ في التحليق مرة ثانية) صالة
 الرقص يا سيدي . . أليست واحدة من أحلى المشاهد في

العالم؟ عندما تتألق المصاييح مشرقة علي النساء
الجماليات والرجال الشجعان . تصدح الموسيقى بأخر
صيحاتها الشهوانية . العيون الناعسة تنظر بعشق إلي
العيون التي تجاوبها . والكل يصبح مرحا كما زفاف "بيل" ،
"بايرون" - يا سادة- علمني وأنا علي ركبتي "أمي" .
شاعر الحب والحرية . . يقرؤونه في كل مدرسة أمريكية
(في نهاية هذه المعزوفة التي يكاد "هاكستابل" يمنع نفسه
من التصفيق لها ، يستمر "قنسنطين" برود)

قنسنطين : سيد "ستات" ، تلك قضيتي . الحياة في كل طبقتنا ، والتي
يحاول أن يقود فيها كل من له كلمة في حكومة البلاد . .
تجري أحولها كما كانت في قاعة الرقص . الرجال تتبختر
أمام النساء ، والنساء تبصبصن إلي الرجال . في يوم من
الأيام كان الصبي يتكلف عبء اجتياز الرجولة ، ولكن
الآن ومن البداية نفسها . . ! في بلادكم المتقدمة . . . تعليم
مختلط . أوه! ، يا سيدي العزيز: تعليم مختلط . . !

ستات : تأثير ناعم . .

قنسنطين : (علي نحو غير متوقع) أوه ، بالطبع كذلك . وما الذي
يتمخض عنه كل التعليم هذه الأيام أكثر من ذلك؟ كتاب

التعليم . لأن المرأة مجرد لمسة في ذلك . . مع أنها اهتمام ثانوي تماما للرجل .

توماس : (باحساس) وهو كذلك .

قنسطنطين : والتأثير الأخلاقي . أخلاقية المرأة . . الأسوأ في العالم .

فيليب : أخلاقية عبيد .

قنسطنطين : نعم . وقرأ " نيتشة " ، كما يقول صديقي " تارلتون " (كل ما يستخلص من هذا التلميح الغامض ، أن "هاكستابل" يستهجن سيرة "تارلتون" ، وبالتبعية " نيتشة ") في أكسفورد وكمبريدج تصبح الأسوأ . . الأساتذة المتزوجون . . في " نسيونهام " ، و " جيرتون " . . مسألة تصويت في الانتخاب . . ومسألة نقاء . .

هاكستابل : بالطبع بعض الروايات . .

قنسطنطين : من سن السابعة عشر إلي الرابعة والثلاثين . . السنوات التي يتعين علي الرجل فيها أن يكرس جهده لاكتساب الفضائل السياسية . . فحيثما ولي وجهه يجد نفسه مشتتا ، مثارا ، ومعذبا بحضور النساء السافر . كيف يحتفظ بذهنه صافيا للقضايا الكبرى في الحياة ؟ ، لماذا تقدمون

جندا يا رائد "توماس" متطوعين بهذه الحمية للخدمة
الأجنبية؟

توماس : (بقفزة) الله كريم . . لم أفكر قط في ذلك .

قنسطنطين : وما النتيجة؟ كل مسألة عامة كبري . . في السياسة . .

الديانة . . الاقتصاد ، تنحدر لمستوى انفعال النساء . هذا
الانفعال ، مثير للإعجاب في أسلوبه . . فاتن في
مكانه! . . ولكنه يلين العالم ويطوعه للعاطفة ، ويضعف
من شأنه ، ويحيط به ، إذا تركته في حاضنة التفاهة
والحلاوة الدافئة . والرجال لا يدركون كيف يتعفنون إلي
حد بعيد بعمليتهم المتبعة . . . وهذا ما يعد جد قاتل .
إننا تعودنا علي غضبة شعب كلها ، ينفث عن نفسه
بالتوبيخ . . أو تعودنا إلي حد بعيد علي فكرة أنه من
الشقاوة أن تكون غاضبا علي الإطلاق . العدالة تنحط
إلي شفقة . . وذلك لا يفاجئنا . الدين لحن ترتيل جميل ،
يحمينا من خشية الظلام . أنتم أربعة تعساء أمكنهم
امتلاك الحقيقة ولو مرة فقط . . . لا تحتاجون إخبار
زوجاتكم .

ستات : أنا لست متزوجا . .

قنسطنطين : يمكنني تخمينها .

ستات : (مندهشا قليلا) ولكن . . لا يهم .

قنسطنطين : (بتقدير كامل لما يقول) النساء لا أخلاق لهن ولا ثقافة ،

بما تعني الكلمات . لهن قيم أخرى غير متوافقة ، بقدر ما

هي مهمة ، لا شك . اتركهن بعيدا عن الحياة العامة ،

والمعرض العام . من المهانة أن تتكامل معهن . . . ربما

تأخرنا كثيرا بالفعل . . ولكن أوه ، عزيزي

العاطفي (يخاطب المتألمين ، مع أنه يعجب السيد "ستات")

لو أننا استطعنا أن نعيد زرع غابات الغار سميكة بما

يكفي ، ربما كان في مقدورنا أن نعيد اكتشاف عالم الرجال

الرفيع الذي افتقدناه حتى الآن . (فيما عدا "فيليب" الذي

يجلس معزولا ومنتبها ، فكلهم مكتشبون إلي حد بعيد من

الحكم الصادر عليهم)

توماس : (متعافيا بما يكفي للسؤال) هل تدعو لتعدد الزوجات في

انجلترا؟

قنسطنطين : هذا ما ينبغي أن يحدث فيها . .

توماس : حسنا . . أعتبرها صدمة إلي حد كبير . (ثم ببعض
الاهتمام المأمول) وهل هذا عملي؟

قنسطنطين : لم أتوقع الإصلاح علي مدى عمري . . ولهذا هجرتها
إلي الشرق .

فيليب : (أخيرا) لقد فعلت الصواب تماما ، يا أبي . وأتمني لو أن
كل واحد يفكر بطريقتك ، فعل مثلك

قنسطنطين : (متأهبا له) وهل أنتم مستعدون لإخلاء البلاد من كثرة
سكانها؟ ، فكروا في النساء اللائي سيأتين من الغد . .

هاكستابل : (يفيق من حالة التخدير ليقول بتأكيد هائل) أبدا!

قنسطنطين : خطأ ، يا هاري!!

هاكستابل : لست مخطئا مجرد أنك تقولها! ينبغي أن تصغي إلي قليلا
أحيانا . فأنا سمعتك دائما .

قنسطنطين : بوركت سرعة بديهتك ، يا من تقاوم ابتسامة "قنسطنطين" . .
حسنا ، لست مخطئا

هاكستابل : أوه . . استمر . . قل لي لما أنا مخطئ . . أجرؤ أنا أقولها
لنفسي .

قنسطنطين : حتى لو أحببت أن تربى ستة بنات ، ولم ترهن متزوجات . . كيف تراهن أحبين هذه التربية؟ كان ينبغي أن تغرقهن عند الميلاد ، يا هاري . .

هاكستابل : ينبغي أن تكون لك دعابتك ، أليس كذلك؟

قنسطنطين : ولذلك ، لكم هو سار لك كثيرا ، ولكم هو أفضل لبناتك . . لو أنك وجدت رجلا واحدا مستعدا ، لاعتبار بسيط ، أن يتزوج بالجملة .

هاكستابل : (بابتهاج شديد) الآن ، لو أنني قلت لزوجتك ذلك ، فلن ترى غرامك . .

قنسطنطين : آخر الخنادق المحررة للمرأة ، يا سيد "ستات" ، حقيقة أن النساء ستدافع عنه ، وتقف إلي جواره . لا تقترف أي خطأ ، فهذه مسألة جادة لهن . . . عن الصحة والسعادة . . أحيانا عن الخبز والزبد . استثناء من كل زبائنا هنا . . بقيت النساء ، كل واحدة منهن . .

ستات : (بشيء من التنبيه) لم تقلها!

قنسطنطين : (ينتقذه بلطف من الفخ الصغير) من الناحية الاقتصادية ، بقين بأزواجهن . . . وإذا كن تعشن علي أرباحهن ، فقد

أبقاهن المجتمع .

فيليب : وماذا عن الرجال الذين يعيشون علي أرباحهن؟

ستات : لا .. كيف لا تتركونا نستمر في السياسة .

قنسطنطين : .. واستثناء من أولئك الأسرى في القلعة الصغيرة المنيعة

علي تل الدفرك .. تعودنا أن نعين ، يا هاري ، بيننا .. .

ماذا؟ مائتين أو ثلاثمائة من النساء الأحرار المستقلين ..

تصمن الثياب للسيدات الأخريات . إنهن أحرار بقدر

ما تحب .. أحرار لتذهبن ولأن تجعن . كم تبتهجن

بحريتهن في كسب معاشهن بتخريب صحتهن وكبح

غرائهن ؟ أجبني يا هاري ، فأنت وحش الشر حسن

الطبع .

هاكستابل : وما هذا؟

قنسطنطين : احتفاظك بجرم نساء صناعي !!

هاكستابل : بماذا !!

قنسطنطين : ماذا غير شركتك مع " روبرتس " ، ولكن حريم الصناعة .

أعرف أن هذا يصيب المسلم العاقل بالرعب؟ . أنك

تشتري هؤلاء الفتيات من سوق مفتوح .. وتحتفظ بهن

تحت القفل والمفتاح!

هاكستابل : وهل أفعل ذلك؟

قنسطنطين : صحيح تماما يا " هاري " ، ولا ضير . (ثم يغرق صوته في أقصى جدية) ولكنك تستمد أرباحك منهن ، بوضعهن في معرض لعشرة ساعات يوميا . . نظراتهن الناعسة ، سلوكهن الجذاب . . أنوثتهن . تأجيرهن لأي غريب ليتحسهن كشيء رخيص لبضعة دقائق ، بقدر ما تسمح آداب العامة . وحين تجردهن من ثيابهن ، تطردهن . . ناسيا حتى أسماءهن . . ولا تكاد تعرف وجوههن إذا التقيت بهن يعن تذاكر المباريات علي بابك . لمثل معاملة الأمموة المحتملة علي هذا النحو ، يدين نبي " محمد " ، الرجل في الجحيم .

هاكستابل : (في دهشة متقطع الأنفاس) لم أفعل ذلك طوال أيام حياتي . . ! يمكنهن الزواج باحترام ألا يستطعن؟ ، إننا نحب لهن أن يتزوجن .

فيليب : نعم ، عمي . . خضت صباحا في هذه المسألة مع الأنسة " ياتيس " ، ومدام " بريجستوك " .

قنسطنطين : (مستكملا قضيته) أسألكم جميعا . . ما الذي سيحدث لكم كأمة؟ من أين يأتي مستقبل أجيالكم؟ ماذا عن أولئك النساء الحبيسات ، اللاتي تغازلونهن ، وتجميلونهن ، حتى أنهن لن تعطينكم أطفالا . . ماذا عن أولئك الطليقات اللاتي تشغلونهن بأسعار السوق ، حتى أنهن لن تعطينكم أطفالا . .

هاكستابل : (نصف عبوس بشكل مضحك) الأنسة "ياتيس" ، التزمت بنا ، علي أية حال .

فيليب : (يكتمه بسرعة) وكنا سنظردها .

هاكستابل : (يتوهج ثانية بالاعتراض) وماذا يمكن أن نفعل غير ذلك؟ ولكن قلت لك ألا تكون قاسيا مع البنت . لن أكون حزينا بهذا الشكل . أريد أن أعالج الأمور كما أجدها . . . وذلك كما تعودت أن أجدها . . . قبل أن يشيع أي من هذه الأفكار حولنا . وأنا واثق أننا كنا أسعد بدونها . كبح غرائزهن . . يا لها من طريقة مرعبة في الكلام . وأنا لا أومن بها . أمكنني أن أرسل لكل بنت في المحل ، ولا واحدة منهن تلمح لفكرة الكبح معي . (لقد انتصر بنفسه حتى الآن ، ولكن ضميره الثقافي المولود

حديثا يهوي به) ليس هذا مما يبرهن علي أي شيء ،
 ليس كذلك؟ إنني أحق . هذا عالم متوحش . ولكن لست
 أنا من صنعه بهذا الشكل ، أنا من صنعته؟

فيليب : ومن إذن؟

هاكستابل : أناس آخرون (ونظرة فيليب عليه) أوه ، أراها علي
 لسانك ، ستقول إننا جميعا هؤلاء الآخرون ، أو شيء من
 هذا القبيل . إنني أفيق لك يا "قنسطنطين" .

قنسطنطين : (بحرص شديد) وما هذا الذي يتعلق بالآنسة "ياتيس" ؟

فيليب : مزعجة صغيرة تحت ، في "بيكهام" . سأقص عليك خبرها
 فيما بعد ، لو أحببت . . .

قنسطنطين : لا . . . لا حاجة لذلك . (شيء ما في لهجة العبارة
 الأخيرة ، جعل "فيليب" يتطلع بسرعة . ولكن السيد "
 ستات" بتفكير مفاجئ يحدق في ساعته ، وعند رؤيتها ،
 يهم من المنضدة)

ستات : أيها السادة ، هل نحن واعون للوقت؟ . يمكنني أن أعلن
 أن عندي موعدا في المدينة في الساعة الرابعة .

قنسطنطين : (مهذبا ولكن بتمهل) هل نعوقك يا سيد "ستات" ؟ ،

تعدد الزوجات ليس عالميا ولا هو إجباريا يا رائد "توماس". سيعد ذلك كلاما فارغا. توزيع ألوان الجنس نفسه، مجرمه. ولكن الاعتراف به، أحد النتائج المنطقية لمنهج الحكومة الأرستقراطية.. وهذا المنهج الوحيد المطلق. أما كل المناهج الأخرى فخطط مؤقتة، للتفتيش بعيدا عن التنويعات الأرستقراطية. مجتمع المستقبل سيخصص وظائفه. وستجد النساء- فيما آمل- بعض الرفاق المثقفين مثل ابني، الذي سيحظى- إلي جانب ذلك- باهتمام لطيف في مجلس المقاطعة. سيكون هناك رجال بقلب واحد مثل "هاري"، راضيا بنظام الحياة العائلية القديم. وسيكون هناك شعراء مثلك يا سيد "ستات"، تحلم بالنساء وبكيفية لبسهن.. أجسادهن في الحرير، وفضائلهن في العبارات. ويجب أيضا أن يكون هناك رجال من طرازي أنا والرائد "توماس".

توماس: لا.. لا..! لست من هذا الطراز.. بأي شكل من الأشكال. فلم يكن لي رفيق بالجيش يستدرجني إليه

ستات: محادثة مثير بقدر ما أتذكر. من الصعب قليلا أن أتابع أحيانا.. ولكنها تستحق أكثر بكثير من التضحية بإنجاز

أي عمل مجرد .

قنسطنطين : (يتلقى التلميذ بتلطف ، مستعدا للعمل علي الفور)
غلطتي !! سنوافق يا سيد "ستات" ، علي الكثير من
عرضك ، بقدر ما لا تكون لديك نوايا لتعديله؟ إننا
نتفاوض علي كلى الدكانين .

ستات : نعم . ما الذي نقترحه لثمين الدكانين يا رائد "توماس" ؟

توماس : ثمانية آلاف وستمائة

قنسطنطين : "فيليب" . . . وكم كنا مستعدين لقبوله؟

فيليب : تسعة آلاف

قنسطنطين : هامش موثوق به! ، قبلنا عرضك يا سيد "ستات" . . .

ستات : (يشعر بأنه يجب أن يطير فرحا بمثل هذه التصرف الرائع
في العمل) ينبغي أن أشير إلي أنك رضيت فقط بثمانية
آلاف .

قنسطنطين : (مستبقيا المزية) ألم يكن عملا رومانسيا بشكل مجرد . . . ألم

يكن الشكل الأفضل لعمل الفن؟؟

ستات : نعم . . . ولكنك تعرف الشروط؟

قنسطنطين : قبلنا شروطك . فإن لم نقبلها ، ستصبح قلقا لتعديلها .
العمل تم .

هاكستابل : (جاخذ العينين) تعالوا هنا ..

فيليب : عمي " هاري " ، لديه ما يقوله ..

هاكستابل : (بحسم) نعم ..

قنسطنطين : شيء مختلف يا هاري؟

هاكستابل : (بعدهما ينتهي التفكير) لا ..

قنسطنطين : (يعود إلي موضوعه بسعادة) ما يهمني بشأن موضوع

المرأة هذا .. الذي أدليت فيه بدلوي الآن .. أنني أتساءل

كيف تستطيع أوروبا ، المعوقة بمثل هذه المشكلة بلا حل ،

أن تصمد أمام الإحياء الشرقي؟

توماس : وما هذا؟

قنسطنطين : ستسمع عنه باختصار . هناك ، فوق الخليج الفارسي

حيث أمكنني أن أعيش ، استطعنا أن نغل قمحا يكفي

لتغذية الإمبراطورية البريطانية . الحياة بسيطة وفسيحة ..

الهواء غير ملوث ، وكل ما نرجوه جنسا سعيدا وجريئا

من الرجال ، وسننجه في ظل حكومة رشيدة . ولكن

أنتم الأوروبيين ، هل هذا هو الرمز الذي تنضون تحت
لوائه إلي المستقبل؟ (يحد مرة ثانية قبعة الحساء "هيلين"
ويلوح بها) قبعة العبودية! كلكم تعبدون وثن النساء...
كما أنهن عبيد وثنيتكم.

ستات: (بإعجاب غير مقنع) سيد "مدراس"، أنا فخور أن ألتقي
بك مرة ثانية. وإذا قلت كلمة أخرى، سأكون مهتما
بردك، وبذا يضيع موعدي. معطفي؟ شكرا سيد "فيليب".
يجب أن ألتقي رجلا بشأن "إدارة مؤسسة ريفية"، يريد
مني أن أموها. وأكاد أتمني مناقشة أخرى متسامية علي
ذلك.

قنسطنطين: ولم لا؟

ستات: لو كنت مكانه!! إلي اللقاء يا سيدي.. نهارك سعيد سيد
"هاكستابل. إلي الغد رائد" توماس". لا.. لا يا سيد
"فيليب".. لا توصلني لأسفل

(يخرج لصفقته التالية. يصطحبه "فيليب" إلي الباب
بتحضر، قائلا...)

فيليب: أعتقد أن سيارتك علي مدخل شارع "بوندي" (ثم يعود إلي

مكانه . "قنسطنطين" يحتفظ بنظرة نصف ودية علي
"هاكستابل" الذي يتململ تحتها . توماس يلتقط نفسا ،
ويشكو)

توماس : هكذا يتخذ قرارات العمل ، ولكنه يترك لنا الأوراق
لنعدها . سأخذ أوراقني إلي البيت . قطار الرابعة
والنصف يجعلني أدخل من الباب في السادسة إلا ربع .
وقت فنجان الشاي! .. فيليب ، هل جئت بشاي صيني؟
فيليب : في الدور الأرضي .

هاكستابل : أعتقد أنني يجب أن أكون في طريق العودة ..

قنسطنطين : هاري .. أنت تتهرب مني .

هاكستابل : (في اعتراف صادق ومسلٍ) نعم .. كنت . عادة كما
تعرف .. عادة .

قنسطنطين : (بالتعاطف الأكثر مودة) لنفرض أنني سأمشي معك ..
جزءا من الطريق . كيف ترجع؟

هاكستابل : بالأتوبيس .

قنسطنطين : لنفرض أننا سنمشي معا . . . بالأتوبيس؟

هاكستابل : (مخادعا للغاية) عظيم جدا لن يروني معك . . نحن
لا نغلق قبل الساعة .

قنسطنطين : (يتهلل وجهه) لا . . لا ، تأكد . "فيليب" . . أخشي ألا
يمكنني أن أحضر للعشاء .

فيليب : أوه ، كنت سأخبرك . أمي ستكون معنا . "تومي" . . أنت
تعرف غرفة الشاي .

توماس : (بكل كياسة) أوه . . تمام !!

فيليب : آخر السلم مباشرة ، أولا إلي اليسار ، والممر الثاني .
سألتق بك . (يرحل توماس)

قنسطنطين : (بلا مبالاة) إذن ، سأدخل بعد العشاء . .

فيليب : أئن تغير رأيك ؟

قنسطنطين : لا . . (وهنا يقف "هاكستابل" أولا علي قدم واحدة ثم
الاثنين . عصيبا للغاية . يتسم له "قنسطنطين" . "فيليب"
لا يستطيع أن يمنع نفسه ، فيقول . .)

فيليب : لقد حان الوقت الآن . عمي . . انطلق . (ينخرج)

هاكستابل : (مازال "قنسطنطين" يتسم . المسكين "هاكستابل" يبذل

جهدا يائسا ليتصرف علي نحو صحيح مع هذا الفاسق .
يشكل وجهه في عبوس . لا فائدة ، ستأتيه ابتسامة إجابة .
ثم يستسلم أخيرا) اسمع . . . لن نتحدث عن "آماليا" .

قنسطنطين : لا . . لا نبش أبدا في الماضي

هاكستابل : يا إلهي ! وفي أي شيء آخر يفكر الرجل ؟

قنسطنطين : وهذا هو السبب في أنك تبدو عجوزا .

هاكستابل : وهل أبدو كذلك الآن ؟

قنسطنطين : كم عمرك يا "هاري" ؟

هاكستابل : ستون . . (يجلسان معا)

قنسطنطين : لا بد وأن تأتي وتقيم معي في "هايت" . . ليس بعيدا عن

"هيليل" ، هيليل ، بابل يا هاري

هاكستابل : (بفضول) وما شكلها ؟

قنسطنطين : البيت أبيض ، وتحيط به أشجار النخيل . . . وليس بعيدا

عن تدفقات نهر الفرات .

هاكستابل : يشبه ما جاء في التوراة بالضبط . (بوجه كئيب)

قنسطنطين . . .

قنسطنطين : نعم . . يا " هاري .

هاكستابل : قلت أشياء غريبة هذه الظهيرة ، لم أسمعك تقولها من قبل .

قنسطنطين : ومن المحتمل لا .

هاكستابل : (مدهشا) ولم أفهم ما قلته حقيقة . ولكن أو من أنها المرة الأولى التي لم أفهمك فيها . وربما كان ذلك من حسن حظي .

قنسطنطين : (بتشجيع) أوه ، لماذا يا " هاري " ؟

هاكستابل : لأن . . . هل تعتقد أننا لم نكن أذكيا لنبقي . . . علي سلامة تصرفاتنا ؟

قنسطنطين : وهل أبقتك سعيدا ؟

هاكستابل : (نافد الصبر إزاء الكلمة) أي واحد يمكنه أن يكون سعيدا . ما يقلقني ، أنني بعدما بلغت أجلي ، ومنذ فترة قصيرة ، لم أعد أفهم شيئا علي الإطلاق . ولا تستطيع أن تتعلمه من الكتب ، أيها العجوز . التنجيم لا يمكن أن يثبتك بالحقيقة . . علي الأقل ليس بأي مما يمكنني أن أجده . أتساءل لو أن فيّ بعضا من كلب مثلك . . . ؟

ولكنها هناك . . لا يمكنك أن تفعل الأشياء عن قصد .
والأسوأ ، أنك لا تصل إلي الاعتقاد بأنني كنت سأفعلها
لو أنني استطعت . . المعرفة بها تصبح خطأ . (ثم يراوده
اكتشاف) ولكن كنت دائما أغار منك ، يا قسطنطين ،
نظرا لأنك تبدو وقد بلغت الأفضل من كل شيء . .
وأعرف أن الناس لا يمكنهم أن يحثوا أنفسهم للغرام
بك . . لأنني أنا نفسي مغرم بك مهما فعلت . من
الغريب أن نبدأ بهذا . والآن ها نحن هنا ، كلانا رجل
كبير . .

قسطنطين : (بينما يقذف برأسه للخلف) لست عجوزا . .

هاكستابل : (بتوجس مفاجئ) لست نادما ، هل ندمت ؟

قسطنطين : علي ماذا ؟

هاكستابل : قالت "كاثرين" هذا الصباح . . إنك ربما ولكن ما
كنت لأخشى من هذا . (والآن يهز رأسه بحكمة)
تعرف . . أنتم صنيع الشيطان . . تززعجوننا جميعا ،
وتجرحون مشاعرنا ، وبالطبع لا ينبغي أن تشعروا بالعار
من أنفسكم . ولكن . . . حسنا . . الأمر أشبه بالمرّة

الوحيدة التي سافرت فيها إلي الخارج ، سافرت مريضا . . . كنت منزعجا بشكل مخيف كرهت الطعام . . . وعدت أيضا مريضا . ولكن ما كنت لأتغيب عن السفر . . !!

قنسطنطين : (في رفقة ودودة رائعة) تعالي إلي بلاد العرب يا هاري .
هاكستابل : (مثير للشفقة بطرافة عن الدعوة) لست تتلاعب بي .
عمري انتهى . ماذا تراني فعلت به ، الآن؟ تزوجت .
بيت عائلة . كنت رئيسا لبضعة مئات من الفتيات والرفاق الذين لم يهتموا حقا ولو قليلا بي . جعلوا مني مرحاضا . . . تلك هي حياتي . . . ولهذا أحسدك . لقد شققت طريقك . . ولا تنظر إليه الآن كما لو كنت ستلعن بسببه . .

قنسطنطين : (في مواجهة لا تخلو من نبل) لن أكون .

هاكستابل : (يهز قبضة إلي حد ما في اتجاه السقف ، وإن يكن بشكل غير واع) ليس عدلا . ولست أبالي بمن يسمعي أقول ذلك .

قنسطنطين : تصور أننا نصرخ بشكوانا من أعلي الأتوييس . (بينما

يبدآن ، يعود "هاكستابل" إلي نفسه بطبيعتها الدنيوية
المسئولة)

هاكستابل : ولكن تعرف أيها العجوز . . . ستعذرني ، أنا متأكد . . .
والموقف كله جيد جدا بعد التمتع بالنظريات والقدرة
علي الكلام . . مازال هناك أنك عاملت "آماليا" بشكل
بالغ السوء ، وكذا أولئك الأخريات . . قل أي رجل
أنت !! دع ذراعي ، ستتركها !!

قنسطنطين : لماذا؟

هاكستابل : (هواجس حرجه أقل قوة من لمسة يد "قنسطنطين"
الناعمة) حسنا ، ربما لا تحتاج . (تصكه فكره) هل
ستهرب بالفعل للخير هذه المرة؟

قنسطنطين : غدا .

هاكستابل : (مركزا عليه) إذن ، تعالي للبيت لترى الأم والبنات .

توماس : (يعود وينظر حوله) اعذروني . . أنسيت قبعتي .

قنسطنطين : دعوتك ستزعجهن جدا . . .

هاكستابل : (تتلاشى ابتسامته) أعتقد ذلك؟ ألن تسعدهن . . توسع

أفق عقولهن؟ (يعود "فيليب" أيضا) "فيليب" . . هل

أصطحب أباك للبيت للاتصال؟

فيليب: (بعد زفرة واحدة لهذه الإمكانية، يقول بابتهاج عظيم)
بالتأكيد.

قنسطنطين: سأكون معك حوالي التاسعة يا "فيليب".

هاكستابل: (وقد أخفق قلبه الشيطاني الجسور، ثانية) رأيي... من
الأفضل ألا نبدو أصدقاء جدا، ونحن نمر في الشركة..

قنسطنطين: (مازال مبتسما، ولكن لا يتخلى عن تأبط ذراع
"هاكستابل". ويخرجان).

توماس: (مازال يبحث عن قبعته) أين وضعتها أيها الشيطان؟

فيليب: مؤسف ألا تستطيع أن تحل محل أبي علي العشاء، يا
"تومي".

توماس: (يتوقف وينظر إليه بغبن) هل تثيرني؟

فيليب: كان يمكننا أن نلقي بمزيد من الضوء علي مسألة المرأة.
رأي أمي، ورأي "جيسكا" في رجال من أمثالك ومثل
أبي. (يلتقط بعض الأوراق، ويجلس إليها علي المنضدة)

توماس: اسمعني يا "فيليب"... لا تهيجني إلي تصرف متسرع. ها

هي (يجد قبعته علي قوس أنابيب الغاز ، ويصفقها علي رأسه)

فيليب : مع "جيسكا" ؟

توماس : (بنخوة شرسة) نعم .. امرأة جذابة ملعونة .

فيليب : كافتراض مجرد .. رغم ذلك . "تومي" .. تعدد الأزواج بالضبط كمنهج بسيط وبقدر ما نعرف ، كمنهج طبيعة ، مثلما يكون الآخر . كان يتعين أن ننسب هذه النقطة إلي المسلم المتحضر .

توماس : (بعد تأمل هذه النقطة بغير جدوى للحظة) فيليب .. لكم أود أن أراك غارقا في حب امرأة .. فرما خدم ذلك حقوقك .

فيليب : (فجأة يتخلى فيليب عن نبرته الهازئة ويصبح وجهه لطيفا حزينا) تومي .. ما هدف هذا كله؟ ضع جانبا ألوان التمرغ العاطفية للسيد "يوستاس بيرن ستات ، وإله الإبداع "أبي" .. للحظة .. ماذا نحصل نحن المتحضرون الذين تربينا ببطء ، من الحب .. ومن جمال النساء .. ومن الوضع الفني الذي يتطلبه ذلك الجمال؟ الذي ندفع

من أجله ثمننا كبيرا إلي حد كبير، فاهم! "تومي" ..
ماذا نكسب منه؟

توماس : (غارقا في بحر) لا أدري .

فيليب : هذا سؤال هام . فكر فيه في القطار .

توماس : أيها الرجل .. التمس عفوك ... مجلس المقاطعة ،
مكانك الأفضل . سيمنع بلبلتك في هذه الأحاجي
السخيفة .

فيليب : (بدقة) بالعكس ..

توماس : (بعبارة المفضلة ثانية) ماذا تقصد؟

فيليب : لنخرج ... ستفقد قطار الرابعة والنصف .

(يخرج توماس . ينكب " فيليب " ، علي العمل المزري بتهور)

(الفصل الرابع)

"فيليب"، أمه و"جيسكا" يجلسون بعد العشاء، حول مدفأة غرفة الاستقبال في حدائق "فيليمور". "جيسكا" معزولة إلي حد ما علي مقعد "البيانو" الأسود الطويل، ترتب نوتات موسيقي مربوطة، بينما يكاد يصل إليها ضوء نار المدفأة. ولكن هذا يرتعش علي السيدة "مدراس"، ومع ذلك يؤثر بعمق زائد علي الخطوط المريرة في وجهها، وتترك وميضاً هناك من قبيل التعويض. إنها تجلس كسيدة مسنة مسكينة، قلقه، لا تحرق في النار، ولكن إلي الحاحز النحاسي البراق، ويدها بمحضنها كالمعتاد. بين الحين والحين ترفع رأسها لتصغي. "فيليب" مسترخياً علي أريكة في المقابل، يدخن بالإضافة إلي أنه مستغرق بعمق - ربما - في مطالعة تقرير الأقلية ذي الحجم الثقيل إلي حد ما، عن لجنة قانون الفقراء.

إنها غرفة ساحرة، الحوائط رمادية، الدهان من الرمادي القاتم. والستائر المسدلة علي النافذتين الطويلتين، من القماش الوردي المطرز الأكثر لطفاً. والأضواء التي تعلق علي مساند صغيرة واضحة من الحوائط، من الوردي الناعم أيضاً، وليس هناك ألوان أخرى في الغرفة، سوى كتلة من السجاد الفارسي علي الأرضية، والتألق المهدي للدهانات المقصبة علي الحوائط. ليس هناك مزيد من الأثاث عم يمكن الاحتياج إليه، وليس هناك إضاءة زائدة عن الاحتياج، كما أنها ليست خالية أو كئيبة حتى الآن. ليس هنالك شيء متنافر، ولا يمنع الروح الحساسة من الراحة فيها.

تدخل خادمة صالة الاستقبال، ترتدي الرمادي أيضاً، بلا غطاء رأس، وبعض الأشرطة السوداء (يميل بيت "جيسكا" حقاً، إلي أن

يكون نفيسا قليلا). إنها تحضر خطابات ، واحدا إلي "جيسكا" ، واثنين إلي "فيليب" ، وترحل .

فيليب : آخر بريد .

جيسكا : التاسعة والنصف . من المفترض أن أباك ينتوي الحضور .

فيليب : هذا ما قاله .

م. مدراس : هل خطاب مسل يا "جيسكا" ؟

جيسكا : إيصال استلام .

م. مدراس : هل تدبيرين الفواتير؟

جيسكا : الكثير .

م. مدراس : وهل هذا من الحكمة تماما؟

جيسكا : التجار يفضلونه . (تمشي بالعبارة إلي منضدتها للكتابة .

سلوك "جيسكا" مع حماتها غير الشرعية ، مبالغ في

الكياسة ، بحيث يعد سلاحا قاسيا ضد سيدة مسنة ،

ولكنها نصف واعية به ، بلا حيلة إزائه تماما . "فيليب"

يفض الخطاب الثاني ويصفر لمحتواه اللحن الذي في

رأسه) .

جيسكا : إيه الحكاية يا "فيليب" ؟ (لتأكيد مشاعره يؤدي المقطع

الغاني بتنويحات) أهي سيئة إلي هذا الحد؟ (لتعليق أخير
يصل بالمسألة إلي الإنهاء الكامل ، بإيماءة معبرة ، ويعد
عنه الخطاب . "جيسكا" تنقر علي كتفه بطريقة مسلية)

م. مدراس : يا له من سخف !! لا تستطيعين علي الأقل أن تقولي ما
يعنيه .

جيسكا : لا .. (بصبر إجباري تخطو عائدة إلي البيانو)

م. مدراس : يمكن أن تعزفي لنا شيئًا يا "جيسكا" . . . فقط لإزكاء
الوقت . .

جيسكا : (بشكل غير ملحوظ ، توجه "جيسكا" عينها إلي السقف)
ماذا تريدن؟

م. مدراس : أنا واثقة أنك تعزفين كل المقطوعات المتأخرة .

جيسكا : أخشى ألا تكوني أحببت عزفي بالفعل .

م. مدراس : اعتقد أن عزفك محترف إلي حد ما . ولكنني أفضل شيئًا
أكثر نعومة . .

جيسكا : (تغادر البيانو) أخشى أن نكون قد جعلناك تقضين أمسية
مملة .

م. مدراس : (بتلك المفاجأة التي تجسد عائلة "هاكستابل") لماذا لم تدعني "أمي" أبدا يا "جيسكا" ؟

جيسكا : ألم أفعل ؟

م. مدراس : (متمعضة من المراوغة) تعرفين أنك لم تقولينها .

جيسكا : من المفترض أنني لم أفكر فيك قط بهذا الشكل .

م. مدراس : وما الذي ينبغي أن تفعله بهذا الشكل ؟

جيسكا : (لبقة بهرود أكثر من ذي قبل) لا شيء .. لا شيء .. يا أمي .

م. مدراس : ولا هذه بالنبرة اللطيفة في التصرف ، أليس كذلك ؟

جيسكا : (علي حافة الانفجار) تبدو لي طفولية بما يكفي ..

م. مدراس : (تكشف عن جرح مضاعف) لا أعرف ما تقصدينه . من

السهل أن تكوني ذكية أيضا معي يا "جيسكا" ..

فيليب : (يتدخل في رحمة) أمي .. ماذا تعتقدي أن الآباء يكسبون

بإصرارهم علي الاحترام والمودة من الأطفال حين

يكبرون ؟

م. مدراس : أليس هذا حقهم ؟

فيليب : ولكني أسأل عمّ يكسبونه . .

م. مدراس : أليس هذا طبيعياً؟ ، عندما تخسر المرأة المسنة زوجها ، أو الأوسوأ ، إذا خسرت طفلها أيضاً ، فماذا يتبقى لها؟

جيسكا : (تستعيد نفسها ، بقليل من الشفقة) أمومتها ، يا أمي .

فيليب : أمومتها القديمة ، كما تعرفين ، قد تكون امتلاكاً جميلاً .

(تدخل خادمة الاستقبال وتعلن "السيد قنسطنطين مدراس" . يظهر "قنسطنطين" في ضوء الصالة المتألق ، وقورا بشكل درامي ، عمّ كان . وبينما "يدخل- مع ذلك- يبدو كما لو أنه يبذل أقل جهد بإزاء سلوكياته الساحرة . إنه لم يغير ثيابه للأمسية؟ يتجه مباشرة إلي "جيسكا" ، ويبدو أن لديه أسلوباً ناعماً يثير الفضول ، للمصافحة مع النساء)

قنسطنطين : كيف حالك "جيسكا"؟ أجداك تبدين رائعة الحسن .

("جيسكا" تتقبل المجاملة بقليل من الانحناء المترفع برأسها ، وتتركه ، ثم بنظرة إلي فيليب تغادر الغرفة . "قنسطنطين" ، يتجه مباشرة إلي زوجته . إنها لا تتطلع إليه ، ولكن وجهها يتجدد بشكل يثير الشفقة . ويتكلم

أخيراً) حسناً . . آماليا؟ (بالنسبة للسيدة "مدراس" ، ينبغي أن يؤدي الموقف إلي استيائها ، أو دموعها ، أو كليهما . ولكن الاستياء يجلب أولاً)

م. مدراس : أهذا هو الأسلوب الذي تكلمني به ، بعد ثلاثين سنة؟
 قنسطنطين: (متفهماً) ربما ليس مناسباً . . ولكن لا يوجد الكثير من التنويعات لاختيار التحية ، أليس كذلك؟ ("فيليب" يومئ إلي أبيه ، متقدماً من الباب ، ويدلف خارجاً منه) تركونا وحدنا . وكأننا مخطوبان . . (تلتزم "السيدة" مدراس" بالصمت ، وبمعاناة شديدة تتجنب عينه . يأخذ مقعداً ويجلس بجوارها . يمكنه أن يقول - كما أمكن لجيسكا أن تقول لنفسها بلا شك - إنه يتحدث إليها بطيبة) حسناً "آماليا" ، معذرة . أكرر نفسي ، وأنت تكرهين العبارة . وآمل - مع ذلك - أن تكوني بحالة جيدة؟ ، لا تبكي عزيزتي "آماليا" . . ما لم يكن - بالطبع - تريد أن تبكي . حسناً . . ابك إذن . . وحين تكفي عن البكاء . . . لست متعجلاً . . ستخبريني لماذا أردت أن تريني . . . وتخوضي مغامرة إزعاج نفسك بهذا الشكل . .

م. مدراس : (تكفكف عينيها) لست أبكي غالباً . . لا أجد غالباً

الفرصة .

قنسطنطين : أخشي أن تكون هذه الطريقة الوحيدة لتقولي إنك

تفتقديني

م. مدراس : (تبعد المنديل عن عينيها ، وتواجهه) هل ستعود فعلا إلي

تلك البلاد ثانية في الغد؟

قنسطنطين : في الغد صباحا ..

م. مدراس : للأبد؟

قنسطنطين : (بحمد الله) للأبد .

م. مدراس : (حازمة بشكل يائس) وستأخذني معك؟

قنسطنطين : (يستغرق لحظة قبل أن يتمكن من الرد) لا ، يا "آماليا" ..

لن آخذك معي .

م. مدراس : (برد فعل هستيري تقريبا) وأنا واثقة أنني لا أريد

الذهاب ، وواثقة أنني لم أكن أقصد أن أطلبها . إنك لم

تتغير ولو قليلا يا "قنسطنطين" .. بالرغم من لحيتك . (ثم

يحتضر صوتها تقريبا وفجأة) أنا تغيرت ..

قنسطنطين : فقط من الخارج .. أنا متأكد .

م. مدراس : لماذا تزوجتي؟ تزوجتي من أجل أموالي ..

قنسطنطين : (مبديا السأم) كان ذلك من عهد بعيد ..

م. مدراس : لا ، لم يكن .. بل يبدو وكأنه بالأمس . ألم تتزوجني من أجل أموالي؟

قنسطنطين : إلي حد ما آماليا ، إلي حد ما .. وأنت لماذا تزوجتي؟

م. مدراس : أردت أن أتزوجك .. كنت حمقاء .

قنسطنطين : (مازال بالتعادل معها) كنت حمقاء ، ربما ، ولكن أن

تضيقي بنتائج تحقيق ما أردته ، كان يمكن أن يكون أرحم

بي- لا شك- من ألا أتزوجك . ولكني كنت أكثر تهورا

إذن ، وبالطبع أقل خبرة . لم أدرك أنك ما كان يمكن أن

تغيري قط فكرتك عمّ يجب أن يكونه الزوج الصالح ،

ولا كم من الضروري أن تصبحي ما يجب أن تكونيه .

م. مدراس : كيف تجرؤ أن تلتمس أعذارا لأسلوبك في معاملتي؟

قنسطنطين : كان ثمة عذران . كنتُ الأول في حياتك . وكنت أخشي

أن تصبحي الثانية في النهاية .

م. مدراس : (بصحوة معنوية) دافعت فقط عن حقوقي .

قنسطنطين : وحصلت عليها ، أيضا . انفصلنا ، وكانت نهايتها .

م. مدراس : لم أكن قط سعيدة من وقتها .

قنسطنطين : لا شيء في ذلك تفخرين به يا عزيزتي .

م. مدراس : (تشعر بأن الغربية بينهما تنقشع) ما الذي حدث لتلك

المرأة ، وابنها .. أعني "فلورا" ؟

قنسطنطين : الابن مهندس .. واعد بشكل رائع ، بهذا أخبرني أرباب

عمله . " وفلورا " تعيش في " هتشن " ، بشكل مريح تماما ..

وعندي أسبابي لهذا الاعتقاد .

م. مدراس : كانت أكبر مني .

قنسطنطين : أعتقد في نفس عمرك تقريبا .

م. مدراس : أعطيتها مالا ؟

قنسطنطين : (يرتفع حاجبيه) بالتأكيد .. كنت أزود كليهما بالمال .

م. مدراس : ألم تتوقع مني أن أغار ؟

قنسطنطين : (بتنهيدة) ومازلت آماليا ؟

م. مدراس : ألا تراها أبدا الآن ؟

قنسطنطين : لم أرها من سنوات .

م. مدراس : يبدو لي أنها حظيت بمعاملة طيبة ، بقدر ما حظيت . . إن لم يكن أفضل .

قنسطنطين : توقعتُ ما هو أقل .

م. مدراس : وماذا عن الأخريات؟

قنسطنطين : (وقد بدأ صبره ينفد) لا . . ثلاثون عاما مضت بالفعل . . ولا يمكن أن أخوض معارك المتتهية ثانية . من فضلك قل لي ما الذي يمكن أن أفعله لك ، من وراء رجوعك معي .

م. مدراس : (منكمشة من أقل قسوة) لم أقصد ذلك . لا أدري ما الذي جعلني أقولها . ولكنه مشهد مخيف أن أراك مرة أخرى ، ونكون وحدنا معا .

قنسطنطين : والآن ، هل ستبكين مرة أخرى يا أماليا؟

م. مدراس : (تجز علي أسنانها) لا . .

قنسطنطين : وهذا الصواب . .

م. مدراس : (تستجمع نفسها بالفعل ، وتصبح معقولة بشدة) ما

أريدك أن تفعله حقا ، من فضلك يا "قسنطين" ، ألا تهرب . لست أتوقع أن نعيش معا . . بعد الطريقة التي تصرفت بها ، لا يمكنني أن أقبل هذا . ولكن لا بد وأن يعني بك أحد إذا مرضت ، والأهم من هذا ، أنا لا أعتقد أنه ينبغي أن ترحل ، وتموت خارج بلدك .

قسنطين : (يقارع حجة بحجة) عزيزتي . . لقد شكلت روابط أخرى

م. مدراس : ستشرح لي - لو سمحت - ما تعنيه بذلك؟

قسنطين : أنا مسلم . .

م. مدراس : هراء!!

قسنطين : من المحتمل ألا تكوني قد تعرفت علي قوانين الزواج الإسلامية .

م. مدراس : هل تقصد أن تقول إنك لست متزوجا مني؟

قسنطين : لا . . فعلتها مع أنه لم يكن ضروريا بالنسبة لي أن أضعها في حساب التوافق معها .

م. مدراس : حسنا . . لم أظن أبدا أنك قد تكون أسوأ . لماذا لم تكن راضيا بأن تجعلني تعيسة؟ إذا كنت رحلت وتعهدت بالكفر ، أيضا . . لا أدري ما الذي سيجري منك يا

قنسطنطين .

قنسطنطين : "آماليا" ، لو أنني كنت مسلما من البداية ، ربما كنت تعيشين معي في سعادة .

م. مدراس : كيف تستطيع أن تقول هذا التصريح المفزع؟ ولنفترض أنه كان صحيحا؟

قنسطنطين : جئت من الشرق .

م. مدراس : لا . . . لم تأت . . .

قنسطنطين : لنكن واضحين . جدي كان يهوديا من "سومر"

م. مدراس : ولم تعرفه قط . أمك ربتك لتكون معمدانيا .

قنسطنطين : ما كنت أستحق . وكمعمداني أنا مدين لك بالاعتذار عن

تصرفي . ما الذي يدينني به ذلك المذهب الممتاز من أجل

جحيم الغواية والعار والندم ، الذي أمرُّ به بسببه؟

م. مدراس : (بدهشة مثيرة للشفقة) وهل تعذبت يا قنسطنطين؟

قنسطنطين : تعذبت

م. مدراس : لم تخبرني قط بهذا .

قنسطنطين : (بكبرياء رجولي) ما كان ينبغي .

م. مدراس : ولكنني كنت اتمني لو جعلتك تقول إنك نادم ، وتركني
أغفر لك . مرتين وثلاثة كنت قد غفرت لك . . وأنت
تعرف يا "قنسطنطين" .

قنسطنطين : (يستعيد مرحة ، وكياسته الفاترة ، ولا إنسانيته ، التي
فقدتها مؤقتا) نعم ، لم يكن سهلا أبدا أن أفرّ من غفرانك .
إن لم يكن من أجل محمد- نبي الله يا "أماليا" - يجب أن
أكون هاربا منه الآن

فيليب : (يدخل بكياسة) عفوا . . أنسيت كتابي (يأخذه من علي
البيانو)

قنسطنطين : لا تمش يا "فيليب" . .

فيليب : (ينضم إليهما ، ثم يقول بينما يتابع صمت التغيير ، بفرحة
واضحة) لما وصلتكم؟

م. مدراس : (ينطلق لسانها) "فيليب" ، لا تكن ثرثارا ، علي حد قول
ابن خالك "إيرنست" . أبوك سافر وادعي أنه تزوج عديدا
من النساء التعساء ، في تلك البلاد التي أريتني إياها علي
الخريطة ، ولا أدري ما سيحدث . رأسي دائخة .

قنسطنطين : ليس كثيرا يا أماليا .

م. مدراس : لو بعض الناس أخبروني - عندما كنت فتاة في المدرسة ،
 وأتعلم شيئاً من هذا القبيل في التاريخ والجغرافيا - إنني
 يجب أن أجد نفسي في موقف كهذا ، لما صدقتهم . (تكوّم
 المعاناة) قنسطنطين . . كيف ستواجهني فيما بعد؟ هل
 فكرت في ذلك؟ ألم يعقد زواجنا في السماء؟ يجب أن
 أعرف ما سيحدث لنا . . ببساطة يجب أن أعرف . طالما
 باركت أنك قد تعود إليّ ، وأنني قد أغلق عينيك إزاء
 الموت . تعرف ذلك يا "فيليب" ، وطالما سألتك أن تجربه
 بذلك . ليس من حقه أن يرحل ، ويقترف هذه الشرور .
 في نظرة الرب أنت ليّ يا قنسطنطين ، ولا يمكنك الإنكار

قنسطنطين : (بلا إنذار يتعكر مزاج "قنسطنطين" فيقفز إليها ويرعد
 فيها) اسكتي يا امرأة!! (ثم وكأنه شعر بالعار ، يولي عنها
 بظهره ويقول بصوت بارد) "فيليب" . . لدي كثير من
 المسائل أود إنهاءها معك . اقترح عليّ أمك أن تتركنا
 وحدنا

فيليب : (محتجا عليّ كلا المزاج وجرح الكرامة) لن أفعل شيئاً من
 هذا القبيل ، مادام أبي في إنجلترا . كما أنه في بيتي ،
 ويستطيع عليّ الأقل أن يعامل زوجته بشيء من اللياقة .

م. مدراس : (برضاء لا يخلو من وداعة) أوثر لو أنه لم . . إنها محض

سخرية مني . سأذهب لأنام أوثر كثيرا لو تعكر مزاجه .

(تخطو للرحيل ، فيوقفها صوت "قنسطنطين" العاصف)

قنسطنطين : "فيليب" . . حينما كنت صغيرا ، أمك تشاجرت معي ذات

مرة في حضورك .

فيليب : (في "مرارة أيضا) أتذكر . .

قنسطنطين : شعرت بالعار لذلك في هذا اليوم . .

م. مدراس : (بسرور تام) حسنا . . واثقة أنني لا أتذكر ذلك . ما

الحكاية؟

قنسطنطين : أوه ، هذه بلد مرعبة . كل ساعة أقضيها فيها ، تبدو

وكأنها تسلبني ذرة احترام للنفس .

م. مدراس : (عند هذه النقطة ، تنضم إلي المعركة ثانية) وبعد . . لم

عدت؟ ولم لم ترني من قبل . . أو تكتب لي؟

قنسطنطين : (في قنوط مضحك) آماليا . . لا تهيجي أعصابي ثانية . .

اذهي للنوم ، لو كنت ستنامين .

م. مدراس : أتمني لو ما كنت رأيتك مرة أخرى .

فيليب : عمت مساء ، يا أمي (تستدير فيسقط عليها ضوء الصلاة المتألق . تنظر بكراهية إليه ولا تزيد برد آخر ، وتخرج . يعود "فيليب" إلي المدفأة . فكل ما حدث يشعره بمرارة . أيضا . يرمق أبيه)

قنسطنطين : أنا آسف . أنا حزين . . كنت حزينا حين جئت إلي هنا .

فيليب : إيه الحكاية؟ زيارتك إلي تل الدغرك؟

قنسطنطين : (الذي أنسي ذلك فيما يبدو) لا . . لم أذهب إلي هناك ، رغم ذلك .

فيليب : أفزعك؟

قنسطنطين : (مقبلا الاستهزاء) لا بأس . يمكن أن أقولها . ما أن خرجنا من الأتوبيس ، " هاري " بدأ يثرثر عن جرح مشاعرهم ، نعم . . أفزعني ذلك أيضا . . قلت له أن يجبرهم بشكل لا يقبل الشك كيف كانت معنوياته عالية معي . سفح ثلاثة دمعات بينما نفترق .

فيليب : نعم . . أمي كانت وحيدة هنا . إنها امرأة يائسة . . . مبتلاة بالمرض . أحدهم دفع بها في موقف الضعف . ولكن خالتي "كاتي" . . قوية وواثقة ، بست بنات متشدات

تدعمنها .

قنسطنطين : تعتقد بالطبع أنني دائما أعامل أمك بطريقة سيئة؟

فيليب : لا أستطيع أن أعين هذا التفكير . أكانت هذه الطريقة الوحيدة لمعاملتها؟

قنسطنطين : وهل كنت أقصد أن أقضي بقية عمري لأجعلها تنسى أنها تعيسة ، مثل أولئك الناس الذين عاشوا دائما لأطول مما تقضي أهدافهم؟

فيليب : أنا شخصا عندي هذه الضغينة ضدكما معا ، يا أبي العزيز . كابن ابتلي بزيجة مليئة بالشجار ، أصبحت ميالا لكراهية الرجال ، واحتقار النساء . إنك ممتلئ هكذا بهدف أن تحصل علي الذرية . ولنفترض أنك فكرت أكثر قليلا في تربيتهم .

قنسطنطين : وما المشكلة في زواجك؟

فيليب : لا بيت لي!

قنسطنطين : قضيت يوم أحد معي مرة في كل شهر . وذهبت إلي المدرسة الأكثر رجولة التي أمكنتني أن أجدها .

فيليب : لا يهم كيف تعلمت اللاتينية والإغريقية اللتين علمتاني

أن كل امرأة جميلة عاجزة كانت فريسة للرجل . . . وكيف
أمر زوجتي أن تخرج من الغرفة؟!

قنسطنطين : (بلا مبالاة) ولدي العزيز . . إنهن تحمين ذلك .

فيليب : تحبينه؟

قنسطنطين : حسنا . . وبأي طريقة أخرى تعاملهن؟

فيليب : أبي . . ألا تدرك ذلك . . في إنجلترا المنحطة ، علي الأقل ،
أسلوبك هذا الأكثر رجولة ، أصبح خارج الزمن إلي حد
ما . . ألا تدرك أنك ونوعيتك ، يبدوون حمقى أخيرا؟

قنسطنطين : (ناطقا بانزعاجه الذي يمتلكه) الحمد لله ، سأكون خارج
البلاد تماما في الغد! قضيت هنا مؤخرا هذه الأمسية لأنني
سافرت ثلاثة محطات بعيدا جدا في هذا الأتوبيس
التعس ، جالسا في مواجهة مثل هذا الشيطان الجميل
الصغير . كانت هكذا حية ، تجهش بالبكاء لتتمكن . .
كانت ذات انحناءة في مشط القدم ، والحيلة الصغيرة
لأرجحة قدمها ، تلك التي لم أستطع أن أقاومها . وكيف
يمكن لرجل أن يقاومها؟ نعم . لكم كان مضحكا ،
ومخزيا ، ومهينا . . هربت من إنجلترا لأفر منها . وكبيرة

السن هنا . . طليقة الشفتين ، تختلس النظرات . كدت
أطلب منك أن تطلق علي الرصاص في البداية .

فيليب : وهل هذا ما كان يزعجك؟

قنسطنطين : لا . . . (يتجههم ، فأفكاره تمضي بعيدا لمكان آخر .
لحظات من الصمت ، يكسره فيليب)

فيليب : أبي ، ماذا تعرف عن شئون تلك المدعوة الأنسة " ياتيس "؟

قنسطنطين : (يسدد له نظرة حادة ، ثم عاديا بعناية) ما أخبرتني به .

فيليب : لا أكثر؟

قنسطنطين : وهل تعرف المزيد؟

فيليب : (ينقض علي الخطاب الذي كان يعلق عليه بالصفير)

جاءني هذا من الأنسة شانسلر

قنسطنطين : ومن " شانسلر " هذه؟

فيليب : مدبرة الفرع في " بيكهام " ، التي اتهمت بتعجل " بريجستوك " ،

بأنه الطرف المسئول عن حالة الأنسة " ياتيس " .

قنسطنطين : أهي؟

فيليب : لا أظن . ولكنها أرفقت الخطاب الذي تسلمته من وكلاء

"بريجستوك"، للدعاء بأن كل من الاعتذار والتعويض من حقه، وإلا أثير الافتراء عليه في المحكمة. الوكلاء المخلصون: "ميرك"، و"هودجز".

قنسطنطين: لا أعرفهم.

فيليب: كنا لم نزل جميعا نكوّن ملاحظات شخصية في الثانية عشرة والنصف اليوم. . . وهكذا يجب أن أقول إن كليهما بأنصارهم. . . ربما شركة من الدرجة الأولى. ولكن تصور أن كل شيء أصبح علينا. . . إذن مسألة الأبوة ينبغي أن توضح. الأنسة "ياتيس" تقول إن الأمر ليس من شأن أحد غيرها. وهذه فكرة غريبة، وعليها، إذا اختارت أن تتمسك بها، فإن القانون- فيما يبدو- يساندها. (نظرتة الثابتة وصوته الواثق، يجعلان التوتر- فيما يبدو- غير محتمل، وقد قصد فيليب أن يكونا كذلك. ولكن توقع أو يكاد هذا الانفجار. أما "قنسطنطين"، فقد تملكته نوبة هستيرية بطريقته الدرامية الوقورة)

قنسطنطين: "فيليب"، رأيته بحقيبة السفر الصغيرة، حين أغلق الدكان. أصررت علي الاجتماع معها. تعرف كيف تصرفتُ دائما في مثل هذه الأمور، ولم يكن أحد أكثر

رحمة . إلا أنها رفضت المال .

فيليب : (يستغيث بالآلهة أن تشهد هذه المناسبة) حسنا . . أمكنني

أن أؤمن . أوه . . أنت عجوز فاسد!!

قنسطنطين : أهانتني . . قالت إنها فعلتها معي . . أنكرت حقوقي علي

طفلي . إنني حتى أخذتها بعيدا . ولكن هكذا تبدو عاجزا ،

لا حول لك ولا قوة . لم أشعر بمثل هذا الذل في حياتي .

فيليب : من الحق أن تخدم نفسك!

قنسطنطين : ولكن جنون البنت! . . فكر في مشاعري . ما الذي تفعله

بي؟ ، وهل عرفت ما كانت تقوله؟

فيليب : (واضعا أفكاره في إطار أخيرا) من المحتمل لا . . ولكني

ممتن جدا أن إحدى النساء تظهر أخيرا لتضعك في

مكانك . (هذه المسارات من العلاقة بين الأب والابن

وضعت كلاهما في مواجهة الآخر ، مشدودين إلي درجة

الصياح . وأصبحا مدركين بحالتيهما حين دخلت "جيسكا

إليهما سيرا برقة)

جيسكا : أمك انصرفت؟

فيليب : إلي الفراش . .

جيسكا : (واعية بالرعد) وهل أنا متطفلة؟ أدخلتُ "فيليب" من فترة مضت ليأتي بكتابه . لم يعد ، ولذا قرت أنه كان . . ربما . . لستُ؟ (يشعر "قنسطنطين" أنه سيد موقفه ثانية . ومع ذلك يده التي تقبض علي الرسالة التي أعطاه إياها "فيليب" ، مازلت ترتعش قليلا)

قنسطنطين : حسنا . . وماذا تريد الآنسة "شانسلر" ؟

فيليب : تسألني النصيحة .

قنسطنطين : اطرده "باكستر" .

فيليب : تقصد "بريجستوك" ؟

قنسطنطين : ليكن "بريجستوك" ، اطرده . .

فيليب : وما الذي فعله ليستحق الطرد؟

قنسطنطين : يبدو أنه رخو تافه ، وليس خشنا بما يكفي ليعترف

لزوجته ، ويخاطر بوظيفته . هل تود أن تحمي رجلا من

تداعيات شخصيته؟

فيليب : مجتمع يتحالف ليحميه . .

قنسطنطين : إذن لتدفع له خمسين باوند ، للأضرار المترتبة علي سمعته

السخيفة . وفي هذه نتيجة عادلة لك ، عن تعاطفك معه .

فياييب : وتمسك بالآنسة "شانسلر" ؟

قنسطنطين : بالتأكيد . اشكرها باسم الشركة ، لإثارها الفضيحة .

فياييب : وماذا عن الآنسة "ياتيس" ؟

جيسكا : تلك الفتاة التي كانت في مكتبك هذا الصباح ؟

فياييب : نعم ..

جيسكا : في المشكلة المعتادة ؟

فياييب : وكيف عرفت ؟

جيسكا : من نبرة صوتك .

قنسطنطين : (بكثير من البطء والعناية وبقليل من الامتعاض) اطرد

الآنسة "ياتيس" ، ولكن ضع عينيك عليها .. وخلال سنة

ابحث لها عن موقع أفضل في الشركة .. بقدر ما تستطيع .

في واحدة من فروع "مدراس" الجديدة ، التي ستتبع السيد

"ستات" .. يبدو أنه سيدفع مرتبات مجزية . (ثم يتنفس

الصعداء ، ويستعيد ثانية صورة العجوز ساحر النفس)

لنغير الموضوع .. كيف حال "ميلدرد" ، يا "جيسكا" ؟

جيسكا : تكبر . . .

قنسطنطين : عندي موعد مع المحامي الليلة ، في العاشرة . سأخصص ألفان أو ثلاثة باوند لتلك الشابة ، في وصيتي . أعني أن أتركهم مهرا لزواجها ، وفوائدهم تدفع لها إذا أصبحت عانس في الثلاثين . . التي تحرمها السماء .

فيليب : وماذا ستفعل بالبقية يا أبي ؟

قنسطنطين : سأخصص ألفا أو اثنتين . . سأعتبرهم : ميراث الشرف ؟ . . ما يتبقى سيكون لك . .

فيليب : نعم . . لا أريدهم . . أشكرك .

قنسطنطين : مبلغ غير كبير .

فيليب : خذه معك إلي " هايت " ، تلك القرية الساحرة علي حدود جنوب أفريقيا . الصقه في الأرض . . . اتركه يفقس مزيدا من الذرة والنفط من أجلك . لدينا الكثير منه بالفعل . . يفقس هنا البطالة : .

قنسطنطين : عزيزي !! (مازالوا يدردشون)

جيسكا : كنا نناقش تخفيض دخلنا ببضعة مئات سنويا . .

فيليب : إنني أرفض العمل تحت إدارة "ستات" .

جيسكا : ومع ذلك ، انتظر من "فيليب" ، أن يخبرني من أين تأتي المدخرات ..

فيليب : كان ينبغي أن نغير مدرسة "ميدررد" أولاً ..

جيسكا : كلام فارغ ، يا فيليب !

فيليب : أبي العزيز .. قضيت يوماً هناك مع الطفلة ، وصدقوني .. الشيء الوحيد الذي تعلمته ، ولن يكون سوى إنجاز عاطلين ، هو فلاحه الحقائق . وحتى في حقائقهم غير مسموح بالخضروات .

جيسكا : "فيليب" .. لأحب أن تقول أي كلام فارغ ، مع "ميدررد" ، بشأن كسب معيشتها . النساء البارعات تقضين وقتاً طيباً في الدنيا .. أما الجادات فلا . أريد لابنتي أن تكون سعيدة .

فيليب : لو أن لدينا بقية حياة تكفي لأن نكون فيها سعداء ، لتعين علينا أن نستبقى أنفسنا فقراء بشكل محترم .

قنسطنطين : (ينهض) هل يمكن أن تجد ليّ سيارة أجرة؟ ، كانت السماء تمطر حين أتيت ..

فيليب : ستكون هناك سيارة في الموقف المقابل .

قنسطنطين : لا يجب أن أتأخر علي المحامي " فويسي " . يحقق مكرمة بالحضور بعد ساعات .

جيسكا : إنني أرسخ بصراحة لأذواق غالية . أحب لكل شيء حولي أن يكون جميلا . ولا أدري ماذا تعني المدنية غير ذلك .

قنسطنطين : أن واثق أن فيليب لا يمكنه أن يرفض لك شيئا .

فيليب : لو أنني سأطرد الأنسة " ياتيس " ، أتساءل إذا ما كان ينبغي أن أفعل ذلك بقسوة كافية بحيث تقتنع بقبول بعض التعويض .

جيسكا : ولم؟

فيليب : لن تقبل مالا من هذا الوجيه المحترم . . . كائنا من يكون . . . وذلك حتى لا تكون مرشوة للاعتراف بعارها .

جيسكا : حين تخطئ امرأة ، ألا يمكن أن يكون من واجبها ، بالنسبة للأخريات ، أن تعترف به؟

قنسطنطين : (الذي كان مازال واقفا من برهة ، مسمدا لحيته) إن لم يمرر محاسبوك مبلغا محترما يسعدني أن أرسل لك شيكا ،

يا "فيليب".

فيليب: (بابتسامة ساخرة) سيكون كرما بالغاً منك يا أبي

قنسطنطين: إلي اللقاء، جيسكا..

جيسكا: إلي اللقاء

قنسطنطين: "فيليب محظوظ في زواجه.

جيسكا: جميل منك لو فكرته بذلك.

قنسطنطين: لديك بيت ساحر. وإنني لأتساءل كم تكلفت من مدينتك

الأنثوية، لتغزين قلبي. حسناً أترككما لمحدثتيكما. تمنياتي

لكم بحياة سعيدة.. (ينحني علي يديها كما لو كان

سيقبلها ولكنها تستعيدها- متحرجة- من قبضته الناعمة.

ولذا ينحني ثانية ويغادرها) فيكتوريا في الساعة الحادية

عشر صباح الغد، يا "فيليب"..

فيليب: نعم... سأودعك.

قنسطنطين: ينبغي أن أتسوق قليلاً، مبكراً بشكل كاف.

فيليب: تسوق!!.. وماذا يمكن أن يبعث الغرب إلي الشرق؟

قنسطنطين: يجب أن أعود بجلية رخيصة أو اثنتين.

فيليب : بالتأكيد . . إننا نفعل الشيء نفسه في سفرنا .

(يصطحب "قنسطنطين" عبر الصلاة إلي الباب الأمامي يلوح لسيارة أجرة ضالة ، ويتخلى عنه . "جيسكا" تتحرك تقريبا كما لو كانت تتحرر من جو هذه الزيارة . وحين يعود "فيليب")

جيسكا : هل من عادة أبك أن يبعثر الشيكات هكذا ، بسخاء ولا مبالاة . . ؟

فيليب : "جيسكا" . . بينما أكن كل احترام لاستقلال تلك الشابة . . مازالت أرى أن مائتي باوند فيهم نفع كبير لتربية الطفل . . فلماذا لا يتعين أن تحتفظ الأنسة "ياتيس" بسرها ؟

جيسكا : نعم . . أنا لا أحب أبك . وأحيانا أخشى أن تكون مجرد طبيعة مثقفة منه . مسألة حيوية - بالطبع - أن تمضى في إغواء كل واحدة بطريقة تفكيرك . ولكنها بالفعل غير متحضرة تماما . كان يجب أن تتعلم كيف تتحدث عن المناخ .

فيليب : لا يمكنني الكلام فيما لا نفع فيه . (يلتمس مقعدا

وسيجارة، ولكنه لا يلبث أن يتخلى عن كليهما ويبدأ
محاكاة- بدلا من ذلك- بجيوية. حجج "فيليب" المثيرة،
تتقافز حول الغرفة باختصار، وبإشارة غير إنجليزية شاذة)
إنني لأتساءل أكثر فأكثر أي شيطان تقصدون بالتمدين.
هذه الغرفة تمدين. أي تمدين؟، ليس نحن..

جيسكا : (في يأس ساخر) أوه! عزيزي!

فيليب : افرحي!.. ألم تتزوجيني لأنني فكرت كثيرا في "باخ"، عن
بذاعة "باخ"؟ لم لا تشاركي في مجموعة اتهامات جديدة؟،
هذا النوع من الزواج يستحق فترة، أتفهمين. حتى
مشاجرات الإنسان لها كرامتها المؤكدة.

جيسكا : استمر.. استمر.. بورك قلبك.

فيليب : (يهز قبضته في وجه العالم عموما) مدنيتنا هي المصلى
الأبيض بالشارع العام.

جيسكا : لا أعرفه.

فيليب : ولذا لا تفعلين يا عزيزتي أكثر مما فعله أبي بوجهة نظره
في الحياة، باعتبارها نوعا من المطاردة الغرامية. (يتفحص
الغرفة الساحرة، التي تعد بيته) سجاد فارسي علي

الأرضية . العشاء الأخير علي رف المدفأة . الأريكة التي تجلسين عليها صنعت في فرنسا المنسية . هذا متحف . وتحت في تلك المدرسة الغالية ، ما يزرعونه في عقل " ميدرد " ، ليس سوى متحف آخر . . . من السلوك المتقن والذوق الرفيع (يمسك جيسكا بنظرة نصف محتقرة ، نصف عطوفة متسائلة) هل سنجد لنا مكانا في هذا؟

جيسكا : إذا أرادت أن تعيش " ميدرد " بمثابة في طريق المصلي الأبيض ، فعليك أن تجعل منه مكانا ملائما لها .

فيليب : (يتلقى الطعنة ويستمتع بردها بكفاءة) إذا ما عاشت فيه ، سيصبح كذلك . لماذا أتخلى عن تصميم الأزياء ، وإدارة محل للموضة ، لأستمر في مجلس المقاطعة . . . إذا أمكن أن أنا لها؟ لا لأنحت صورة رشيعة هناك . ولكن لأكون علي رأس لجنة أو لجان . لا لأتحدث بترفع رغم ذلك - اللهم احفظني من الغواية- ولكن لأكون غيبا ، وأبذل ما في وسعي بشأن المجاري والمطهرات و . .

جيسكا : حسنا . . لماذا ، فيليب؟ . . ربما أفهمك أفضل

فيليب : لأنقذ روحي وأبقيها حية .

جيسكا : ثق أنني أتمني لو أمكنك . ولكن ما الذي كنت ستزرعه في روح المسكينة "ميدرر" ؟

فيليب : (يتوقف عن التحرك في الغرفة) لم لا يكون وعيا بالقبح؟
ألم تنظري أبدا إلي شارع لندن .. تجولت فيه جيئة وذهابا
ببطء ثلاثة مرات .. تذوقته بكل حس ثقافى؟
جيسكا : نعم .. إنه يثير الاشمئزاز .

فيليب : وماذا فعلت؟

جيسكا : وماذا يمكن للواحد أن يفعل؟

فيليب : تعودين إلي البيت وتعزفين سوناتا "بيتهوفن"!! هل ذلك يغرق مناظره ، أصواته ، ورائحته؟
جيسكا : نعم .. يغرقها ..

فيليب : (في ثورة عنيفة) ليس لي .. يا إلهي! ليس لي

جيسكا : (متمعضة بلطف) الفن بالنسبة لكثير جدا من النساء ،
يجعل الحياة ممكنة يا فيليب

فيليب : تصوري أننا نعلم "ميدرر" أن تطل من النافذة علي الحياة
في الخارج . ولكننا نريد أن نجعل ذلك مستحيلا . لا الفن

ولا الدين ولا السلوكيات الراقية جعلت من العالم المكان الذي يمكن أن أعيش فيه ، لو أمكن أن أعينه . (يقذف نفسه في مقعد) هل تذكرين إبان شبابي حينما تعودت أن أقضي جانبا من أجازتي محاضرا عن "شيللي" ؟

جيسكا : نعم . .

فيليب : أذكر ذات مرة كنت أسافر بالقطار مع تعس مسكين كان يعيش - كما قال لي - علي هوامش ربح استطاع أن يلتقطه بالتوسط العاجز إلي حد بعيد بين حقل الذرة والخباز أو منجم الفحم والنار . . أو مالك ومستأجر . . . أنسيت أيهم . كان مرهقا وعصيا وعليلًا . وكره "جونز" لأن "جونز" استخرج له نصف بالمائة ، عن مبلغ مائتين وخمسين "باوند" . . ولو كان المبلغ أكبر ، لقاضاه ، ولهذا كرهه . نهاية "برومثيوس" كانت تطن في رأسي . . هكذا كنداء المجد . عملاق ، سيكون رائعًا ، عظيمًا ومرحًا ، جميلًا وحرًا . . وحسبته رفيقًا عاديًا . وبعدها ، أخبرني . . كم خشبي الإفلاس ، وكيف أن عمه - الذي كان كاتبًا - جاء إلي الملجأ . . . وأي خزي كان في هذا كله . وخشيت أنه كان سكيرًا صغيرًا . وتساءلت إذا ما كانت إثارة

اهتمامه بموقف "تشيللي" من العروض الشعرية .. أو حتى جمالية بطولة "برومثيوس" .. قد تريجه علي الإطلاق . ولكن حين سألتني عن سبب سفري إلي "مانشستر" ... هل تعرفين أنني خجلت أن أخبره؟ (يحل قليل من الصمت ، تخترقه أصواتهم بصعوبة)

جيسكا : نعم .. عالم مفرع ، قبيح ، غبي .. عالم متلاف ... عالم كرهه .

فيليب : ورغم ذلك ، يا "جيسكا" ، ينبغي أن نعلم "ميدررد" ، ماذا يعني حب الدنيا ، حتى وإن كان عملاً مزعجاً .. حتى وإن كان يعني حرمانها من أرسقراطية المشاعر الطيبة ، والذوق الراقى .. آخر امتيازات الطبقة نفسها . أصارحك أنني لم أتوصل لهذه الشكوك بسهولة . إنني أهتم بكل الأصوات والمشاهد والأفكار الجميلة التي ورثناها عن الدنيا . إن توصيلها أشبه بتجسيد روعي التي خلقها الله بعناية ، خارجي قبل الموت .

جيسكا : (بقذف مفاجئ ليديها) توصيلها لمن؟

فيليب : (هاذا يديه علي المدفأة) أخشي أن يكون لبقاء كل من

أولئك الذين أغرينا بكراهيتهم ، واحتقارهم ، لتلك الحياة العامة . تلك هي الديمقراطية ، ولكنها ديموقراطية المستقبل . (ينظر عبر زوجته بشيء من الفضول) أعرف أنه أصعب عليكم أنتن النساء . تتخلين عن دروعكن للرجل الذي تحبينه ، وعدا ذلك فلديكن شرفكن وكرامتكن وطهارتكن .

جيسكا : أتريد عالما بدون هذا أيضا؟

فيليب : أريد أن أعرف فقط أي عالم تصل إليه أولئك الفتيات الست النحيفات في بيت عمي . . وما نصل إليه منهن أو ما تصلن إليه منه؟ تبدو لي الآن تجاوزات الأنسة " ياتيس " الصغيرة ، وكأنها رجحا حولها . .

جيسكا : خطآن لا يصنعا حقا . .

فيليب : (بترافة) يصنعان غالبا . . . من المحتمل ، مزيجاً . بالطبع استطعتن أنتن النساء خدمة أنفسكن جيدا ، بالتطلع إلي لوردات الخليقة أمثال أبي ، وبشكل مريح تماما ، بوعي واحد إن شئت .

جيسكا : (تزم شفيتها) أشكرك . . . نحن لسنا ماشية .

فيليب : لا ، ولكن أعتقد أن هناك ثمنا لا بد وأن يدفع للأثوثة الحرة . . . وكم من النساء ترغبن في دفعه؟ اخرجني وكني امرأة عادية بيننا نحن الرجال العاديين؟ (ينحني نحوها ويعمق صوته) "جيسكا" . . . تشعرين بأنه أنت من غلبها الشيطان المسكين منذ ستة شهور مضت؟ . . . أنه أنت من ستشئني في الغد؟

جيسكا : لا أعتقد أنني أفعلها

فيليب : إذن فهو جسمك الذي يباع في أحد الشوارع هذا المساء؟
جيسكا : (تأتي برجفة بسيطة من أكثر الرجفات أصالة) أكره أن تفكر في مثل هذه الأمور .

فيليب : (ملخصا) هناك قليل من أمل ثمين في ملكوت السماء علي الأرض . أعرف أنه يبدو مجرد هراء ، ولكن يقيني أنه حقيقي . إن لم نستطع حب القبيح بقدر ما نحب الجميل . . . أن نشاركهم جميعا الآن . . . الهواء المنعش والفن . . . القذارة والإثم . . . إذن فالناس الطيبون والأذكياء يكلفون العالم كثيرا جدا . عقولنا تكلف كثيرا جدا ما لم نعطيها بجرية . جمالك يكلف كثيرا جدا ، لو أنه

أعجبني فقط بسبب المرأة الأقبح التي أراها . . . حتى فضيلتك قد تكلف كثيرا جدا يا عزيزتي . الخرق البالية تكلف مالا للتزين ، القبح يكلف للتجميل ، والإثم يدفع مالا من أجل الفضيلة . لماذا لا يستطيع شيء أن يحتفظ لفترة طويلة بكثير من الجمال لفترة طويلة في عين رجل طيب ، عن الشيء القبيح علي الأرض ؟ لماذا لا نحتاج أن يكون الرجل أحكم ، عن أن يكون الأحمق الأكبر علي الأرض ؟ ، لماذا لا يربح لا الرجل ولا المرأة اللذان سيصبحان أكثر استقامة ، عن الأثم الأعظم علي الأرض ؟ (يطبق يديه مجسم) هذه هي الألباز التي يلقيها علي أبو هول العالم . فنانونك ، علماءك ، وعاطك ، لا يجيبون عليها . . . ولذا ينبغي أن أولي بوجهي قليلا عن الفنان ، والعالم ، والواعظ . . . ثلاثتهم . . .

جيسكا : (تنظر إليه متعاطفة بينما يكمل تبريره ، وإن لم تكن فاهمة . ثم تحتشد له بمزاح) وحتى تجد حل ألغازك يا عزيزي "فيليب" ، لن أتوقف عن الاشتراك في حفلات لندن السيمفونية . . . وسأتوقع أن تصحبي من حين لآخر .

فيليب : (يقفز متراجعا من عالمه الفلسفي) أوه . . . هذا

يذكرني . . . عندي رسالة لك من "تومي" .

جيسكا : أحقا معك؟ لقد كان مثيرا للأعصاب فعلا هذا الصباح .

فيليب : ينبغي أن نعامل "تومي" ، بروح الدعابة والمرح . لم تكن رسالة بقدر ما كانت واحدة من انفجارات الاعتداد الطفولي بالنفس . . . إنه يجب نفسه إلي واحدة منهم من وقت لآخر .

جيسكا : إلي أنا؟

فيليب : نعم . . هذا ما يفهم منها . من فضلك لا تبسطي معه كثيرا ، فلا وقت عنده ، كما أنه جد مخلص لي ولزوجته ، ولا يريد أن يجد نفسه متورطا بجدية في حبك . (والآن لم يقل "فيليب" هذا ، بلا حذر ، وقد أدركته "جيسكا" . فلن تنزلق إلي فخ صغير أعد لزهوها ، أو ما شابه . ومازالت تقول ببساطة ، بصوت يكاد يكون منتظما)

جيسكا : شكرا علي الرسالة . . (يستمر فيلب بمرح مقلبا صفحات كتابه)

فيليب : إنه لا يتصور علي الإطلاق أنك تحبيني . . سواء بجدية أو غير ذلك .

جيسكا : (بثبات) وأنت؟

فيليب : لا ..

جيسكا : (مازالتم نبرتها حادة) وهل هذه المرة الأولى التي تناقش فيها أموري مع "تومي" ، أو غيره؟ من فضلك لتكن الأخيرة ..

فيليب : أغاضبة أنت يا "جيسكا"؟

جيسكا : أكثر من غاضبة .

فيليب : آسف ..

جيسكا : (بعدها تسيطر علي مزاجها بنجاح ، إن لم يكن مزاج الدعابة الذي نبهها "فيليب" إلي التماسه ، تسمح لنفسها الآن بانفجار متعمد للاستياء) إنني أحتقر الرجال .. احتقرتهم وأنا في الخامسة عشر .. أول سنة وعيتهم فيها . تخبطت في كثير من الآراء منذ هذا الوقت .. ولكنني عدت إلي احتقارهم .

فيليب : كان يخشى ألا تكوني مسرورة معه ، ولكنه حظي بتعاطفي ، يا "جيسكا" .

جيسكا : (تلقى برأسها للخلف) تعاطفك!!

فيليب : "تومي" ، يعتبر ما أسماه السيد "ستات" ، علي سبيل
التسلية هذه الظهيرة ، بالرجل الحسي المعتدل .

جيسكا : (باحترار مطلق) نعم .. عندما كنا وحدنا- بعد حديث
مرح عن الأمور في العموم- كان طوال الوقت يفكر في
أنني أريده أن يقبلني .

فيليب : بينما ما تريدينه حقا أن تجعله يريد تقبيلك ، ولكن دون
أن يقبلك أبدا ..

جيسكا : (في احتجاج) لا ..

فيليب : (يثبتها بإصبع) أوه .. نعم .. "جيسكا".

جيسكا : (يعاود "جيسكا" حس الدعابة للحظة) حسنا .. لا
أستطيع مطاوعة القبلة ، لو يفعلها .

فيليب : تستطيعين بالطبع . وسيعتبرك رجل الحس المعتدل ،
تستخفين بالقبلة .

جيسكا : (ترمي بوجه جدي ، ليس لأنها تستطيع أن تستبقي واحدا
بتألق فيليب ينتصر عليها) أعطيك كلمتي ، بأنني لم أحاول
قط أن أتبسط بالغزل مع "تومي" .. باستثناء مرة أو اثنتين

حين كان يضجرتني . وربما مرة أو اثنتين حين كنت مهجورة . . وقتها كان . . وكنت أضجر منه . أعرفه تماما لأتغزل معه . . لا تستطيع أن تتغزل مع رجل تعرفه جيدا . ولكنه كان يضجرتني مؤخرا ، وتصورت أنني كنت ضجرة قليلا . ولكن بافترض أنني كنت أتغزل معه . . كنت أعتقد أنه آمن بما يكفي . (هذه المحاولة تفشل ، وتترك أثرا ، وبناء عليه تدبر بالفعل لأن تعيد نفسها إلي الامتعاض) ومن السفالة أن أمضي في الكلام معك حول هذه المسألة .

فيليب : هكذا قال . . هكذا قال .

جيسكا : الأسوأ من السفالة . . البشاعة ! . . لم أسمع قط بشيء كهذا . . ما كان ينبغي أن تسمح له .

فيليب : هل كان ينبغي أن أطرحه أرضا ، حين ذكر اسمك .

جيسكا : نعم . . أتمني لو كنت فعلتها .

فيليب : شيء من السوقية !

جيسكا : لا يمكنني أن أسخر . . أنا جرحت .

فيليب : عزيزتي . . لو أن لديك أي وعي علي الإطلاق ستسألينه

الخروج للعشاء ، وتمازحينه حول هذا الموضوع . . .
أمامي .

جيسكا : ألدك أي فهم بما تحسه المرأة عندما يعاملها الرجال بهذه
الطريقة؟ الذل والرخص .

فيليب : (ولكن النبرة الأخلاقية العالية ، لن يوقفها فيليب . يسقط
المزاح ، ويعالج "جيسكا") أستطيع أن أخبرك بما يحسه
الرجل . إما سيكون أبي أو أنا . . وهذا اختيارك . "تومي" ،
سيكون أبي حين ترتدين أفضل ثيابك لتهاجميه ، أو سيكون
مثلي حين يقول بأمانة إنه يفضل لو لم تشائي منه أن يصبح
أبي أو أنا؟ هذه هي المسألة الأولى بالنسبة لك .

جيسكا : أريد رجلا يعامل المرأة بكياسة واحترام .

فيليب : وكيف يتأتى ذلك؟ ، يا عزيزتي . . ألا تعرفين أن الرجل
الحسي المعتدل . . لا ، ليس "تومي" تحديدا ، ولنقل "ديك" ،
أو "هاري" . . . ينظر إليكن جميعا كلقيمات منتقاة . . وإلي
حلاوتكن ، ثيابكن المتبلة ، موسيقاكن ، وفنكن . . كمثلك
كثير من الصلصة يفتح شهيته . والشيء الوحيد الغامض
الذي تدعينه فضيلتك ، يمنعه من التكالب . . بالقوة

تقريبا ، إن لم يكن خشية البوليس ، يا "جيسكا" . هل
تجيبين ذلك؟

جيسكا : لست أصدقه .

فيليب : وهل حقا تصدقين أن تصرفات الرجال الرقيقة نحو معظم
النساء الجميلات أي شيء آخر سوى تصرفات رقيقة؟

جيسكا : أنا أفضل تصرفاتك أنت الرقيقة . (وبعد ينقذها مرة ثانية
كل من الذوق الرفيع ، وحس الدعابة) لا .. هذه
وقاحة .

فيليب : (بكثير جدا من المودة عمّ توحى الكلمات) إنني أعاملك
كما يعامل رجل رجلا آخر ، لا أفضل ولا أسوأ . هل
ضاع الثناء والتقدير؟

جيسكا : (ذاهلة من هذا العالم غير المعقول) أريد أن أصبح صديقة
للرجال . ربما أصبحت قريبا صديقة لهم . ولكنهم هم من
يغازلونني . لماذا؟

فيليب : (مؤذيا بشكل مزمن) بالطبع .. أنسيت أي شكل تبدين
فيه .. لم ألاحظ قط ما .. ولكن أظن أنهم يغازلونك
لأنك جميلة إلي حد بعيد وجذابة ..

جيسكا : ألا تريد أن تكون النساء كذلك؟

فيليب : (سلبيًا كلية) لا ..

جيسكا : أمرٌ ممرض . طبعًا ، لو أنجبت اثنتي عشر طفلًا ، وأصبحت

مسنة مع الأخير ، ربما كنت بعيدة تمامًا عن الخطر . ولكن

لسنا جميعًا كذلك . . . لا نريدنا أن نكون كذلك؟

فيليب : (سلبيًا كلية) لا (يتركها حرة لتبرر نفسها)

جيسكا : إنني أقوم بمسئولياتي . . أحافظ علي بيت لك . أسلي

أصدقاءك . تمديني يكلف عاملك الثمين الكثير جدًا

ولكنك تريد لكل أولئك أن يحدث . (ثم باحتياطي أنثوي

مؤكد) ولكن لنفترض يا " فيليب " . . إنني لم أكن ألطف -

بالفطرة - عن بعضكم أنتم الرجال؟ عندما كنت طفلة ،

ما لم أكن عصية الإرضاء ، لكان يجب أن أكون نهمة

حزينة . إن ثقافتني . . وتمديني . . لا يمكن أن يكونا كافيين

تمامًا للاحتفاظ بالرائع " تومي " ، كصديق محترم لي ، ولكن

لهذا فوائدة . .

فيليب : (ولكن فيليب يقصد إلي السخرية من هذا ، وينفيه عن

المحاكمة) اسمعيني . . لو أن ثقافتك فقط ما يصونك عن

تقبيل "تومي" .. قبله .

جيسكا : (انقياد "فيليب" علي هذا النحو من موضع إلي آخر ،
يستفزها) فيليب .. أعتقد أحيانا أنني سأكون في القريب
متزوجة من أبيك!

فيليب : لماذا؟

جيسكا : لو بقيت كما كان ، بدلا من أن تكون ما أنت عليه ..
ينبغي أن أكون آسفة .. ينبغي أن أحتقرك .. ولكن هذا
يوترني جدا ، ويثقل علي احترامني لنفسي بشدة . (ثم
بقليل مما يثير الإعجاب) ولكن هذا حين تفقد إنسانيتك
يا "فيلي" .. التي أغرتني قليلا جدا ..

فيليب : (تائبا في الحال) أعرف أنني .. (ثم يهم ليقف ناظرا إلي
المدفأة ، وصادقا في ما يقوله) ولكني أتصرف علي هذا
النحو كرها لعالم مزرعة الجنس .. الرجال والنساء دائما
يعاملون بعضهم البعض بهذه الطريقة غير الودية ..
واخشي أن يفسدني هذا بالقسوة

جيسكا : (من جانبها ، وبلطف مع نظرة فقط إليه) أكره هذه
القسوة أيضا .. ولكن يسعدني أنني أحبك يا "فيليب" ..

(بيتسما لبعضهما)

فيليب: نعم يا عزيزتي . وإذا أمكنك برقة أن تتغلي عليها ..
فلكم أحب أن أقبلك .

جيسكا: لن أقبلك .. ويمكنك التغلب عليّ

فيليب: أيمن أن نلتقي في منتصف الطريق؟ (يلتقيان بمنتصف
الطريق ، ويقبلان بعضهما كزوج وزوجته . يقفان معا ،
ويحدقان في المدفأة) أتعرفين العالم الذي أود الحياة فيه؟

جيسكا: أينبغي أن أحبه؟

فيليب: ألم تبلغ الإنسانية سن الرشد أخيرا؟

جيسكا: أبلغته؟

فيليب: ألا يمكن أن نأمل ذلك؟ التبرج يستقر بشكل رائع علي
الأطفال . وبعدها يتهادون ويتعاشرون بعشية .. حتى
مشاجراتهم في كليتها تنم عن حسن النية والبراءة .
ولكنني لا أرى سببا لأننا نحن الرجال والنساء ، لا نجد
كل السعادة .. والجمال أيضا .. في الأغراض الجادة . ولم
لا تكون دائما- مع كل منا- لمسة الفهم المطمئنة ، في
أفضل الحالات .

جيسكا : (بسعادة) تقصد حينما نريد أحيانا وفجأة أن نتصافح؟

فيليب : (بسعادة أيضا) هي كذلك ، وأريد من الفن والثقافة ألا يكونا محض قشرة للهمجية . ولكن يجب أن يتفجرا بأحلى الأوقات من سعادة الناس كلهم .

جيسكا : (تمنح نفسها هزة خفيفة من الحس الأنثوي العام) حسنا . . وماذا قد يحدث؟

فيليب : (لا أحد أكثر عملية منه) أنا كنت قدمت اقتراحات . يجب أن نتعلم كيف نعيش علي ألف باوند سنويا . . نضع " ميدرد " في مدرسة معقولة . . ويجب أن أستمر في مساعي إلي مجلس المقاطعة . هذا ما تتمخض عنه الثورات الروحية في الممارسة ، لنبدأ به .

جيسكا : (كواحدة تطالب بحق) وأين نصيبي من العمل؟

فيليب : (واعيا بشيء من العجز) وكيف لرجل أن يخبرك؟ هناك الكثير لتختاري منه .

جيسكا : (وعليها وطأة مصير جنسها الحالية) آه! . . شخصيتك غير العادية تجعلك إما رجلا خيرا أو سيئا . . لطيفا أو تقيا . ثمة تجارة للنساء السيئات ، وعديد من المهن

للا تقياء . ولكني كنت تعلمت كيف أكون فاتنة ، وأن
أحب الثياب اللذيذة . وأصارحك أنني مثيرة وانفعالية . .
ولكن لا أستطيع التحكم في ذلك . وأعرف أنني متزوجة
منك والحمد للرب . وأنت تجعلني بين حين وآخر ، أنسي
أنني أنثي .

فيليب : الذكر والأنثى خلقهم الله . . . وتركنا نعمل الباقي .
والرجال والنساء لفترة طويلة في حالة عمل . . أليسوا
كذلك ؟

جيسكا : (بجسد) أوه . . أنت بخير تماما !!

فيليب : (بشيء من المعرفة المتواضعة بنفسه) أنحن بخير ؟

جيسكا : ولكني أقول لك يا "فيليب" ، ليس من السهل علينا . إنك
دائما لا تسمح لنا بالفرص الأفضل . هل تسمح ؟

فيليب : لا ، أوافق أن الأمر ليس سهلا . ولكن سيكون سهلا .

جيسكا : نعم (لم تنهي كلامها ، إذ لا نهاية بالفعل
للموضوع . ولكن للحظة أطول أو اثنتين ، يقفان سعداء
معا ، ويتطلعان إلي المدفأة . الختام)

الفهرس

٣.....	مقدمة الترجمة
٣.....	١- حضور الإسلام
٤.....	٢- الفعل وتحديد السياق
٩.....	٢- شبكة العلاقات وخائر النكد!
١٤.....	٣- الخطاب الفكري والدرامي
٤٣.....	(الفصل الأول)
١٠٤.....	(الفصل الثاني)
١٦٢.....	(الفصل الثالث)
٢٣٢.....	(الفصل الرابع)
٢٧٩.....	الفهرس

obbeikan.com